البَابا شنودَه الثالث

تأملات في سفر الرؤيا

Contemplations

On The Book of Revelation

ByH.H. Pope Shenouda III

الطبعة الثالثة
أغسطس ٢٠١٢
القاهرة

3rd Print
Aug. 2012
Cairo

الكتاب: تأملات في سفر الرؤيا

المؤلف: البابا شنوده الثالث

الناشر: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس

المطبعة: الأنبا رويس الأوفست – الكاتدرائية – العباسية بالقاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب: ٢١٩١٠ / ٢٠٠٤

I.S.B.N. 977-5345-85-5

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)

مقَدمة الكتاب

ليست هذه تأملات في كل سفر الرؤيا، إنما فقط في الأصحاحات الستة الأولى منه.

إنها محاضرات ألقيت في الكاتدرائية المرقسية الكبرى بالقاهرة في أيام الجُمع من سنة ١٩٧٠م. وقد أتيح لها الآن أن تُنشر في كتاب بعد ٣٤ عامًا. وسبق نشرها في جريدة وطني.

إنها خليط من التفسير والوعظ والتأمل.

تظهر فيها روحانية سفر الرؤيا، والانتفاع بكلماته كغذاء روحي لكل أحد، حتى إن كانت بعض أجزائه موجهة إلى الكنائس السبع التي في آسيا، أو كانت وصفًا لبعض الرؤى التي رآها القديس يوحنا الحبيب. ولكنها ككلام الوحي الإلهي هي: "رُوحٌ وَحَيَاةٌ" (يو٦: ٦٣).

على أن هذه المحاضرات قد تم تسجيلها في ١٥ شريط كاسيت يمكن لمن يشاء أن يقتنيها من مكتبتنا الصوتية ليسمعها.

أتركك أيها القارئ العزيز بين صفحات هذا الكتاب الذي اكتفيت فيه بهذا الجزء فقط من سفر الرؤيا.

ولتصحبك نعمة الرب أثناء القراءة.

البابا شنوده الثالث

مقدمَة للسَفر

كاتب السفر:

كاتب سفر الرؤيا هو القديس يوحنا الإنجيلي.

أحد الرسل الاثني عشر. وهذا واضح من السفر ذاته. إذ يقول في أوله: "أَنَا يُوحَنَّا أَخُوكُمْ وَشَرِيكُكُمْ فِي الضِّيقَةِ وَفِي مَلَكُوتِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَصَبْرِهِ. كُنْتُ فِي الْجَزِيرَةِ الَّتِي تُدْعَى بَطْمُسَ مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (رؤ١: ٩). والمعروف أن القديس يوحنا الحبيب قد نُفي إلى جزيرة بطمس.

وكون القديس يوحنا هو كاتب هذا السفر. هو أمر قد تسجل أيضًا في آخر هذا السفر. إذ يقول كاتبه: "وَأَنَا يُوحَنَّا الَّذِي كَانَ يَنْظُرُ وَيَسْمَعُ هذَا" (رؤ٢٢: ٨). كما ورد قبل هذا أيضًا: "وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ" (رؤ٢١: ٢).

✠ ✠ ✠

وأهمية هذا السفر أنه تقريبًا آخر ما كُتب في الكتاب المقدس.

كُتب حوالي سنة ٩٥ أو ٩٦م. في وقت كان فيه جميع الآباء الرسل قد استشهدوا. ولم يبق سوى الرسول يوحنا الحبيب فقط. وكان القديس يوحنا كاتب هذا السفر، يُعد المرجع الأول والأكبر والأساسي للمعلومات الدينية في الكنيسة المقدسة.

✠ ✠ ✠

مضمونه:

وهذا السفر عبارة عن إعلان من الله.

قد كشــفه لعبده يوحنا لذلك سُــمى كشــفًا Revelation وهكذا ورد في أوله: "إِعْلاَنُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي أَعْطَاهُ إِيَّاهُ اللهُ، لِيُرِيَ عَبِيدَهُ مَا لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ" (رؤ١: ١) وفيه كلام كثير من فم الرب مباشرة، وكلام من فم ملاكه.

وهو الســفر الذي يشــرحه: "مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ" (رؤ٢: ٣) فهو ســفر يكشف لنا ما يريد أن يقوله لنا الرب.

✠ ✠ ✠

وهو سفر فيه كلام كثير "عسر الفهم" ليس من السهل تفسيره.

فيه كلام عن الأرقام ودلالات الأرقام، وعن الحيوانات ودلالات الحيوانات. وعن الأحداث ودلائلها. وما أكثر ما فيه من أسرار ورموز، تحتاج كلها إلى نعمة من الروح القدس لفهمها.

ومثلًا: ما هو المعنى الرمزي لكلمة: "**سَــرِيعًا**" التي كررها الســيد الرب ثلاث مرات عن مجيئه الثاني في آخر هذا السفر (رؤ٢٢: ٧، ١٢، ٢٠).

وكذلك ما هي مدة النصف ساعة التي حدث فيها سكوت في السماء؟ (رؤ٨: ١).

✠ ✠ ✠

وسفر الرؤيا هو سفر عن الله والإنسان والخليقة.

فيه وصف للسيد المسيح وألقاب كثيرة له. فهو الأول والآخر، الألف والياء، البداية والنهاية (رؤ١: ٨،١١، ١٧). وهو خروف مذبوح (رؤ٥: ٦). وهو ملك الملوك ورب الأرباب (رؤ١٩: ١٦). وهو "الأَسَــدُ الَّذِي مِنْ سِــبْطِ يَهُوذَا" (رؤ٥: ٥). وهو "أَصْلُ وَذُرِّيَّةُ دَاوُدَ. كَوْكَبُ الصُّبْحِ الْمُنِيرُ" (رؤ٢٢: ١٦).

مع أوصاف كثيرة للرب يسوع وردت في السفر.

كذلك وردت آيات عن السماء، وعرش الله، والقوات السمائية، والملائكة السبع، والأربعة والعشرين كاهنًا، والأربعة أحياء المملوئين عيونًا... وعن أعمال عديدة قامت

بها القوات السمائية.

✠ ✠ ✠

ويتحدث سفر الرؤيا عن الماضي والحاضر والمستقبل.

يذكر الوحش وخطورته. وحربه مع القديسين وعدد اسمه (رؤ١٣). ويذكر أن الشيطان قد طُرح في الهاوية ألف سنة وخُتم عليه. ثم يحل من سجنه بعد الألف سنة. ويخرج ليضل الأمم.

أما عن نهاية الشيطان، فيذكر سفر الرؤيا عنه أنه "طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ، حَيْثُ الْوَحْشُ وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ. وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلاً إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (رؤ٢٠: ١- ١٠).

✠ ✠ ✠

كما يذكر سفر الرؤيا القيامة العامة والدينونة والنهاية.

وكيف أن الأموات قد قاموا. ووقفوا أمام الله صغارًا وكبارًا.

وفتحت الأسفار المكتوبة فيها أعمالهم. ودينوا كل واحد بحسب أعماله. وكل من لم يوجد مكتوبًا في سفر الحياة، طرح في بحيرة النار (رؤ٢: ١١- ١٥) (رؤ٢٢: ٨). كذلك نهاية الموت.

ثم يذكر زوال السماء والأرض. وظهور سماء جديدة، وأرض جديدة (رؤ٢١: ١).

✠ ✠ ✠

ويتحدث سفر الرؤيا عن أورشليم السمائية.

وهي مسكن الله مع الناس في الأبدية، وعن حالة الأبرار فيها. ويصف مجد هذه المدينة ومقاييسها، وسورها وأبوابها.

وأنها لا تحتاج إلى شمس وقمر لإنارتها، لأن الله ينيرها (رؤ٢١).

ويتحدث عن حياة الفرح فيها، وأنه لا يدخلها شيء دنس...

ومتعة الأبرار هناك. كما يتحدث عن نهر الحياة وشـــجرة الحياة (رؤ٢٢: ١، ٢).

وعرش الله فيها.

كما يتحدث سفر الرؤيا عن مكافآت الغالبين (رؤ٢، ٣).

✠ ✠ ✠

الــرؤى:

يشتمل سفر الرؤيا على كثير من الرؤى، نذكر من بينها:

الرؤيا الأولى الأساسية: (رؤ١، ٢، ٣).

وهي رؤيته للسيد في منظر رهيب: "وَوَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَهِيَ تُضِـيءُ فِي قُوَّتِهَا، وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ، وَصَـوْتُهُ كَصَـوْتِ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ"، وهو في "سَـبْعَ مَنَايِرَ مِنْ ذَهَبٍ"، هِيَ السَّــبْعُ الْكَنَائِسِ، وفي يمينه "سَــبْعَةُ كَوَاكِبَ، هِيَ مَلاَئِكَةُ السَّــبْعِ الْكَنَائِسِ"، وقد خاف القديس يوحنا ووقع على الأرض كميت. فوضـــع الرب يده اليمنى عليه. وقال له: "لاَ تَخَفْ، أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ! آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ" (رؤ١: ١٢– ٢٠).

وهذه الرؤيا شرح الرب فيها معنى المنائر السبع والسبعة الكواكب.

✠ ✠ ✠

الرؤيا الثانية: (الأصحاحات٤– ٧).

وفيها رأى العرش الإلهي، والجالس عليه، والأربعة والعشــرين قســيسًــا على عروشـــهم، والأربعة أحياء المملوئين أعينًا، كما رأى الســـفر المختوم بســـبعة ختوم، والخروف القائم كأنه مذبوح، والذي فك الختوم الســـبعة، وماذا حدث عندما فك كل ختم.

كما رأى المختومين وعددهم ١٤٤ ألفًا. والجموع الكثيرة الواقفة أمام العرش في ثياب بيض، أولئك الذين "غَسَّـلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُـوا ثِيَابَهُمْ فِي دَمِ الْخَرُوفِ... لَنْ يَجُوعُوا بَعْدُ، وَلَنْ يَعْطَشُوا بَعْدُ، وَلاَ تَقَعُ عَلَيْهِمِ الشَّمْسُ وَلاَ شَـيْءٌ مِنَ الْحَرِّ، لأَنَّ الْخَرُوفَ الَّذِي

فِي وَسَـــطِ الْعَرْشِ يَرْعَاهُمْ، وَيَقْتَادُهُمْ إِلَى يَنَابِيعِ مَاءٍ حَيَّةٍ، وَيَمْسَـــحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ" (رؤ٧: ١٤– ١٧).

✠ ✠ ✠

الرؤيا الثالثة: وتشمل (الأصحاحات ٨، ٩، ١٠، ١١).

وفيها رأى القديس يوحنا سبعة ملائكة أمام الله، وقد أعطوا سبعة أبواق، فنفخوا فيها فحدثت أنواع من الخراب أشـد، حتى قال الرائي: "ثُمَّ نَظَرْتُ وَسَـمِعْتُ مَلاَكًا طَائِرًا فِي وَسَطِ السَّمَاءِ قَائِلاً بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: وَيْلٌ! وَيْلٌ! وَيْلٌ لِلسَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَجْلِ بَقِيَّةِ أَصْـوَاتِ أَبْوَاقِ الثَّلاَثَةِ الْمَلاَئِكَةِ الْمُزْمِعِينَ أَنْ يُبَوِّقُوا!" (رؤ٨:١٣). "وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ سَيَطْلُبُ النَّاسُ الْمَوْتَ وَلاَ يَجِدُونَهُ، وَيَرْغَبُونَ أَنْ يَمُوتُوا فَيَهْرُبُ الْمَوْتُ مِنْهُمْ" (رؤ٩: ٦).

ولكن نشـكر الله إنه إلى جوار هؤلاء الملائكة الممسـكين الأبواق: "جَاءَ مَلاَكٌ آخَرُ وَوَقَفَ عِنْدَ الْمَذْبَحِ، وَمَعَهُ مِبْخَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَأُعْطِيَ بَخُورًا كَثِيرًا لِكَيْ يُقَدِّمَهُ مَعَ صَـلَوَاتِ الْقِدِّيسِـينَ جَمِيعِهِمْ عَلَى مَذْبَحِ الذَّهَبِ الَّذِي أَمَامَ الْعَرْشِ. فَصَـعِدَ دُخَانُ الْبَخُورِ مَعَ صَلَوَاتِ الْقِدِّيسِينَ مِنْ يَدِ الْمَلاَكِ أَمَامَ اللهِ" (رؤ٨: ٣، ٤).

كما نشكر الله أيضًا أنه مع البوق الأخير: "حَدَثَتْ أَصْوَاتٌ عَظِيمَةٌ فِي السَّمَاءِ قَائِلَةً: قَدْ صَارَتْ مَمَالِكُ الْعَالَمِ لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (رؤ١١: ١٥).

✠ ✠ ✠

الرؤيا الرابعة: وتشمل (الأصحاح ١٢).

وفيها رأى القديس يوحنا "امْرَأَةٌ مُتَسَـرْبِلَةٌ بِالشَّـمْسِ، وَالْقَمَرُ تَحْتَ رِجْلَيْهَا"، وهي حبلى متمخضـة. وقد "وَلَدَتِ ابْنًا ذَكَرًا عَتِيدًا أَنْ يَرْعَى جَمِيعَ الأُمَمِ بِعَصًـا مِنْ حَدِيدٍ". وتنين وقف ليبتلع هذا الابن ثم: "حَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّـــمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ، (الشـيطان) وَمَلاَئِكَتُهُ الذين لم يقووا بل طُرحوا إلى الأرض. ثم بعد ذلك التنين "اضْطَهَدَ الْمَرْأَةَ الَّتِي وَلَدَتْ الابْنَ الذَّكَرَ".

✠ ✠ ✠

الرؤيا الخامسة: خاصة بالوحش ثم الأطهار (رؤ١٣، ١٤).

وفيها رأى القديس يوحنا وحشًا طالعًا من البحر. "أُعْطِيَ أَنْ يَصْنَعَ حَرْبًا مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَيَغْلِبَهُمْ، وَأُعْطِيَ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَأُمَّةٍ. فَسَيَسْجُدُ لَهُ... الَّذِينَ لَيْسَتْ أَسْمَاؤُهُمْ مَكْتُوبَةً... فِي سِفْرِ حَيَاةِ الْخَرُوفِ".

ثم رأى "وَحْشًا آخَرَ طَالِعًا مِنَ الأَرْضِ". "وَيَصْنَعُ آيَاتٍ عَظِيمَةً" والذين يتبعونه لهم سمة. وعدده ٦٦٦ عدد إنسان (رؤ١٣: ١٨).

ثم رأى الرب ومعه ١٤٤ ألفًا من الأطهار "الَّذِينَ لَمْ يَتَنَجَّسُوا مَعَ النِّسَاءِ"، والذين يتبعون الرب حيثما ذهب، ويترنمون بترنيمة لم يتعلمها غيرهم.

ورأى الرب وفي يده منجله، فحصد الأشرار (رؤ١٤).

✠ ✠ ✠

الرؤيا السادسة: خاصة بالملائكة أصحاب الجامات السبع (رؤ١٥، ١٦، ١٧).

وهم يصبون غضب الله على الأرض، بالضربات السبع، وشرح ما الذي حدث من ويلات كلما سكب أحد الملائكة جامه ثم في أصحاح ١٨ ذكر سقوط الزانية العظيمة بابل أم الزواني ورجاسات الأرض (٤، ٥) والوحش الحامل لها. ثم النواح عليها (رؤ١٨).

✠ ✠ ✠

الرؤيا السابعة: وهي الخاصة بالقيامة والدينونة، ثم أورشليم السمائية.

وتشمل فتح الأسفار ودينونة الخطاة. كما تشمل طرح الشيطان "فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ، حَيْثُ الْوَحْشُ وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ" (رؤ٢٠: ١٠) ثم زوال السماء والأرض وظهور أرض جديدة وسماء جديدة. كذلك رأى القديس يوحنا نهر ماء حي وشجرة حياة (مز٢١: ١، ٢) ورأى أورشليم السمائية "نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ"... "كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا"، وهي "مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ" (رؤ٢١).

ثم خاتمة السفر (رؤ٢٢) والهتاف بعبارة "تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ".

إعلان من اللــه

يبدأ سفر الرؤيا بهذه العبارة: "إِعْلاَنُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي أَعْطَاهُ إِيَّاهُ اللهُ، لِيُرِيَ عَبِيدَهُ مَا لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَنْ قَرِيبٍ، وَبَيَّنَهُ مُرْسِــلاً بِيَدِ مَلاَكِهِ لِعَبْدِهِ يُوحَنَّا، الَّذِي شَــهِدَ بِكَلِمَةِ اللهِ وَبِشَهَادَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِكُلِّ مَا رَآهُ" (يو١: ١، ٢).

وهنا أول نقطة تتضـــح لنا: أن الله لا يبخل على أولاده بالإعلان، بل إنه يكشف أسراره لمحبيه.

✠ ✠ ✠

❖ لما أراد الله أن يحرق سادوم وعمورة، من فرط فسادهما: "فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ، وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟ لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ " (تك ١٨: ١٧– ١٩).

ولم يستطع الرب – في محبته لإبراهيم – أن يخفي عنه ما سوف يفعله، بل أعلنه له. ولم يكتف بالإعلان، بل أعطاه أيضًـــا فرصـــة لكي يبدي رأيه، وأن يناقش الأمر مع الله (تك١٨: ٢٣– ٣٢)

حقًا، إن "سِرُّ الرَّبِّ لِخَائِفِيهِ" (مز٢٥: ١٤).

✠ ✠ ✠

❖ ولما أراد الرب أن يفني الشــعب الإســرائيلي، بعد عبادتهم للعجل الذهبي، قال الرب لموســى: "اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَــبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأُصَــيِّرَكَ شَــعْبًا عَظِيمًا" (خر٣٢: ١٠). كما لو كان موســـى ممســـكًا بيد الرب، فيلزم أن يترك يده ليفعل ما يشاء!

ولم يكتفِ الرب أن يعلن لموسى ما سوف يفعله، بل أيضًا أعطاه الفرصة أن يحتج على إفناء الشعب، وأن يقول: يا رب "اِرْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ" (خر٣٢: ١٢). وقد كان.

✠ ✠ ✠

❖ **وهكذا كان بعض الأبرار يتعجبون إن أخفى الرب عنهم أمرًا مهمًا لهم. وقد يعاتبونه في ذلك.**

حدث هذا بالنسبة إلى أليشع النبي: لما أتته المرأة الشونمية حزينة بسبب موت ابنها، أنه قال لتلميذه جيحزي: "أَنَّ نَفْسَهَا مُرَّةٌ فِيهَا وَالرَّبُّ كَتَمَ الأَمْرَ عَنِّي وَلَمْ يُخْبِرْنِي" (٢مل٤: ٢٧).

وحدث أيضًا لما زار القديس مكاريوس الإسكندراني أحد أديرة القديس باخوميوس في أقصى الصعيد متخفيًا. وما كان رهبان الدير يعرفونه. ولكنهم بهتوا من نسكه، وصغرت نفوسهم داخلهم. فذهب القديس باخوميوس إلى الجبل، وألقى نفسه أمام الله، وقال له: "لماذا يا رب أخفيت عني حقيقة هذا الإنسان من هو؟" فكشف له الرب إنه القديس مكاريوس الإسكندراني.

✠ ✠ ✠

إن إعلان الرب أسراره لبعض أبنائه يحمل لونًا من الحب والاهتمام.

إنه يكشف أسراره لأبناء بينه وبينهم نوع من الدالة.

ويوحنا الحبيب كانت له هذه الدالة مع الرب. وكان لقبه "التِّلْمِيذُ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ" وكان يتكئ في حضنه (يو١٣: ٢٣). فليس عجبًا إذًا أن يفتح الرب قلبه ويعلن أسراره، لهذا التلميذ الذي كان يتكئ على صدره، ويسمع دقات قلبه.

✠ ✠ ✠

وكشف الرب أسراره للبشر، يحمل أيضًا معنى التواضع.

حقًا إنه تواضع من الرب أن يحكي لبعض البشر ما يريد أن يفعل، "مَا لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَنْ قَرِيبٍ" (رؤ١: ١). سواء بالنسبة إليهم شخصيًا كما كشف ليوسف الصديق في حلم، ما سيكون بالنسبة إلى مستقبله (تك٣٧). أو يكشف الرب ما سوف يحدث للآخرين، كما ذكر لأبينا إبراهيم ما سيحدث لأولاده بعد أكثر من أربعمائة سنة (تك١٥: ١٣).

✠ ✠ ✠

ويدخل في هذا الكشف ما أعلنه الرب للأنبياء.

سواء بالرؤى أو بالأحلام، عما سيحدث في المستقبل، وحتى في آخر الأيام. كما شرح لدانيال النبي في الرؤيا وقيل له: "إِنَّ الرُّؤْيَا لِوَقْتِ الْمُنْتَهَى" (دا٨: ١٧). كما فسرّ له أحلام نبوخذ ناصر، وما سوف يحدث. ويعوزني الوقت أن أتكلم عما كشفه الرب لدانيال بالذات.

كذلك ما كشفه الرب ليوسف الصديق عما سيحدث لرئيس السقاة ورئيس الخبازين (تك٤٠). وما كشفه عما سيحدث لمصر من سبع سنوات شبعًا وسبع سنوات جوعًا. فأعجب به فرعون وقال عنه لعبيده: "هَلْ نَجِدُ مِثْلَ هذَا رَجُلاً فِيهِ رُوحُ اللهِ؟" (تك٤١: ٣٨).

✠ ✠ ✠

والذي يكشف له الله يعتبر إنسانًا مفتوح العينين.

كما كشفت بعض نبوءات لبلعام، فقال عن نفسه: "وَحْيُ بَلْعَامَ بْنِ بَعُورَ. وَحْيُ الرَّجُلِ الْمَفْتُوحِ الْعَيْنَيْنِ. وَحْيُ الَّذِي يَسْمَعُ أَقْوَالَ اللهِ. الَّذِي يَرَى رُؤْيَا الْقَدِيرِ، مَطْرُوحًا وَهُوَ مَكْشُوفُ الْعَيْنَيْنِ" (عد٢٤: ٣، ٤).

وكما قال السيد الرب لتلاميذه: "طُوبَى لِعُيُونِكُمْ لأَنَّهَا تُبْصِرُ، وَلآذَانِكُمْ لأَنَّهَا تَسْمَعُ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَنْبِيَاءَ وَأَبْرَارًا كَثِيرِينَ اشْتَهَوْا أَنْ يَرَوْا مَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ وَلَمْ يَرَوْا، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا" (مت١٣: ١٦، ١٧).

✠ ✠ ✠

إن العيون المفتوحة موهبة من الله، دائمة أو مؤقتة.

المؤقتة تحمل إعلانًا معينًا في وقت من الأوقات، وينتهي الأمر. أما الموهبة الدائمة، فهي التي تستمر، كالرسل الذين لهم عيون تبصر. ومثلما قال القديس بولس الرسول عن نفسه: "وَلِئَلاَّ أَرْتَفِعَ بِفَرْطِ الإِعْلاَنَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلاَكَ الشَّيْطَانِ لِيَلْطِمَنِي، لِئَلاَّ أَرْتَفِعَ" (٢كو١٢: ٧). إنها "كثرة استعلانات". وفي إحداها اختطف إلى السماء الثالثة، وسمع كلمات لا يُنطق بها (٢كو١٢: ٤).

العجيب أن علماء الأرواح يسمّون هذه الموهبة الدائمة باسم "**الجلاء البصري**". فمن عندهم هذا الجلاء البصري، يرون أشياء كثيرة لا يراها غيرهم. على أننا نتكلم هنا عن جلاء روحي. كموهبة من الله، وليس كطبيعة لروح إنسانية.

✠ ✠ ✠

هذا الإعلان الذي كشفه الله ليوحنا، أعلنه له ليرى عبيده ما لا بد أن يكون، أي ليعلنه أيضًا لغيره.

وهكذا قال له أيضًا: "وَالَّذِي تَرَاهُ، اكْتُبْ فِي كِتَابٍ وَأَرْسِلْ إِلَى السَّبْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسِيَّا:" (رؤ١: ١١).

وقد كتبه يوحنا في سفر الرؤيا، وأعلنه للعالم أجمع. وهنا: هل يحق لنا أم لا يحق، أن نعاتب معلمنا بولس الرسول لأنه لم يكشف لنا ما رآه وما سمعه في السماء الثالثة التي أُختطف إليها؟! لا شك أن له عذره، لأنه قال عما سمعه من كلمات، إنها: "كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا، وَلاَ يَسُوغُ لإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا" (٢كو١٢: ٤).

وهكذا قال الله أيضًا لقديسه يوحنا: "وَالَّذِي تَرَاهُ، اكْتُبْ فِي كِتَابٍ وَأَرْسِلْ إِلَى السَّبْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسِيَّا" (رؤ١: ١١).

وقد كتبه يوحنا في سفر الرؤيا، وأعلنه للعالم أجمع.

إذًا هناك إعلانات خاصة، لم يسمح الله أن تكون للإعلان العام.

مثلما حدث للقديس بولس الرسول عن السماء الثالثة.

أما القديس يوحنا فقد سُمح له أن يكشف رؤياه وأن يكتبها.

✠ ✠ ✠

ما أكثر الذين رأوا أشياء، ولم يخبروا بشيء منها!

مثال ذلك: لعازر أخو مريم ومرثا، الذي أقامه الله في اليوم الرابع. لا شك أنه في الأيام التي سبقت إقامته من الموت، قد رأى أشياء كثيرة بعد موته. ولكنه لم يخبرنا كيف خرجت روحه؟ وأين ذهبت بعد خروجها من الجسد؟ وماذا كان شعورها وقتذاك وطول تلك الأيام؟ وماذا رأت؟ ومن رأت؟ وكيف رجعت وكيف أتحدت بجسدها مرة

أخرى؟! لعلها هي أيضًـا أمور "لا يسـوغ لإنسـان أن يتكلم بها" كما قال معلمنا بولس الرسول. إنها مختومة بسبعة ختوم.

✠ ✠ ✠

ونحن نشكر الله أن رؤيا يوحنا، سمح له أن ينشرها.

وســـمح لنا نحن أيضًـــا أن نقرأها. بل قال أكثر من هذا: "طُوبَى لِلَّذِي يَقْرَأُ وَلِلَّذِينَ يَسْـــمَعُونَ أَقْوَالَ النُّبُوَّةِ، وَيَحْفَظُونَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهَا" (رؤ١: ٣). إذًا طوباك أيها القارئ العزيز الذي تقرأ معنا هذه الرؤيا التي من أهميتها نظمت الكنيســة قراءتها في ليلة (أبو غالمسيس) بعد الجمعة العظيمة، أي ليلة سفر الرؤيا. وتردد مع قراءتها: "مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ" (رؤ٣: ٢٢).

وكلمة "يسمع" هنا ليس معناها مجرد سماع الأذن.

بل معناها: "من يســـمع ويعمل" كما قال الرب في آخر عظته على الجبل (مت٧: ٢٤). فلان يسمع الكلام أي يسمع ويطيع.

وهكذا قال: "لِلَّذِينَ يَسْـــمَعُونَ أَقْوَالَ النُّبُوَّةِ، وَيَحْفَظُونَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهَا" أي يحفظونه في قلوبهم. كما قال داود النبي: "خَبَأْتُ كَلاَمَكَ فِي قَلْبِي لِكَيْلاَ أُخْطِئَ إِلَيْكَ" (مز١١٩: ١١).

✠ ✠ ✠

القديس يوحنا يبدأ بعبارة "نعمة لكم وسلام":

فيقول: "يُوحَنَّا، إِلَى السَّبْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسِيَّا: نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ الْكَائِنِ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي" (رؤ١: ٤).

وكونها مرسلة إلى: "السَّبْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسِيَّا" إنما تعني أيضًا أنها مرسلة إلى كل كنائس العالم. مثلما نقول عن رسائل القديس بولس الرسول: إن بعضها مرسلة إلى رومية أو كورنثوس أو غلاطية أو أفسـس أو فيلبي. وهي في نفس الوقت مرسـلة إلى كل بلاد العالم، وليست إلى المدن المذكورة وحدها...

✠ ✠ ✠

وعبارة "نعمة لكم وسلام" تعود الآباء الرسل أن يبدأوا بها كل رسائلهم.

نلاحظ هذا في كل رسائل القديس بولس الرسول.

إنها النعمة التي يهبها الرب للإنسان، لكي يستلم بها كلمة الله ورسالته إليه. والنعمة التي تعطيه فهم ما يقرأ، والتي تعطيه القوة على التنفيذ، وتقوده في حياته كلها.

والسلام أيضًا هو الدعاء الذي يبدأ به كل لقاء وكل زيارة، وكل رسالة، حسب تعليم الرب، وحسب لقائه مع تلاميذه بقوله: "سلام لكم" وأيضًا حسب قوله: "سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ" (يو١٤: ٢٧).

وأيضًا يكون لكم سلام، حينما تقرأون في هذه الرؤيا عن الضربات التي ستصيب العالم من الأبواق والجامات التي يحملها الملائكة السبع، والتي يُصب فيها غضب الله على العالم.

✠ ✠ ✠

هذه النعمة وهذا السلام ليس مصدرهما القديس يوحنا، وإنما هما من الله نفسه.

ولذلك يقول: "نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ الْكَائِنِ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي" (رؤ١: ٤). فهو الكائن منذ الأزل، والذي كان معكم في القديم وفي فترة تجسده على الأرض، والذي سوف يأتي في مجيئه الثاني: "يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّاهِدِ الأَمِينِ، الْبِكْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَرَئِيسِ مُلُوكِ الأَرْضِ" (رؤ١: ٥).

فمن نِعمهِ هذا الذي كان ومن سلامه: "أنه الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً للهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ" (رؤ١: ٥، ٦).

وعبارة "**ملوكًا وكهنة**" لا تعني هذا المعنى الحرفي. فكما أن الكل ليسوا ملوكًا بالمعنى الحرفي، كذلك ليسوا كلهم كهنة بالمعنى الحرفي. وقد تعني الذي جعل من البشر ملوكًا وكهنة. وكما قال القديس بطرس الرسول: "كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيِّينَ

-كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ- بَيْتًا رُوحِيًّا، كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ" (١بط٢: ٥).

✠ ✠ ✠

أما عن المجيء الثاني للسيد الرب، فقال: "هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَالَّذِينَ طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ" (رؤ١: ٧). وهذا الكلام يُخجل شهود يهوه الذين – مخالفين للنص الكتابي – يقولون إن مجيء المسيح الثاني سيكون مجيئًا غير منظور!! لا تنظره كل عين والذين طعنوه!

✠ ✠ ✠

جميل بالقديس يوحنا، أنه على الرغم من أسلوبه الروحي في إنجيله ورسائله، يتكلم أيضًا كلامًا في عمق اللاهوتيات، حتى لقبوه "القديس يوحنا اللاهوتي":

فهو هنا يردد كلام السيد المسيح: "نَعَمْ آمِينَ. أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (رؤ١: ٨).

وعبارة: "**الذي يأتي**" تعني السيد المسيح، فهو الذي سيأتي، على السحاب. إذًا كل الصفات تنطبق عليه، وتدل على لاهوته. فلا يستطيع كائن مخلوق أن يقول أنا الألف والبداية. إنما يقول ذلك: الذي ليس قبله من يخلقه. والذي قال في سفر إشعياء النبي: "قَبْلِي لَمْ يُصَوَّرْ إِلهٌ وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ" (إش٤٣: ١٠) "أَنَا هُوَ. أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ" (إش٤٨: ١٢).

أنا يُوحَنا أخوكم
وشريككم في الضيقة (رؤ١: ٩)

سؤال هام يفرض نفسه. وهو متى حدثت رؤيا يوحنا؟ وأين؟

تمت وقائع هذه الرؤيا، حينما كان القديس يوحنا منفيًا في جزيرة بطمس، حيث نفاه إليها الإمبراطور دومتيان.

وهناك في المنفى، لم يتركه الله بلا عزاء روحي. بل فتح له بابًا في السماء (رؤ٤: ١). وأراه العرش الإلهي، والقوات السمائية، وما لا بد أن يكون (رؤ١: ١). بل أراه نفسه متجليًا في صورة مهيبة، وتحدث إليه. وسلّمه رسائل ليكتبها ويوصلها إلى الكنائس.

✠ ✠ ✠

من العجيب أن القديس يوحنا الحبيب، ما سمعناه يحكي لنا عن رؤيا جميلة رآها في أورشليم مدينة الملك العظيم (مت٥: ٣٥). وإنما هو هنا يروي لنا عن رؤيا رآها في المنفى، في الأسر، وهو في الضيقة. وكأن الله يقول له وهو في المنفى:

أنا معك حيثما كنت. معك في هذه الجزيرة النائية. أريك ما لم تره عيناك في أورشليم. لست أتركك وأنت منفي...

لا بد أن يوحنا كان في أعماقه يمجد هذا المنفى، الذي فيه رأى ما لم تره عين أخرى، سواه...

✠ ✠ ✠

إن رؤيا يوحنا، ومكانها، وزمانها، تشرح لنا قاعدتين أساسيتين:

١. إن الله لا يمنع الضيقة، حتى عن أحب الناس إليه.

٢. إنه يكون مع أحبائه في الضيقة، ويصنع معهم عجبًا...

❖ لقد كان مع الثلاثة فتية القديسين في أتون النار، حيث قيل إنه كان معهم رابع "شَبِيهٌ بِابْنِ الآلِهَةِ" (دا٣: ٢٥). لقد حلّهم من وثاقهم، وتمشى معهم وهم محلولون، ولم يسمح للنار أن تكون لها قوة على أجسادهم، ولا حتى على ثيابهم، فلم تحترق...

إنها خبرة تمتع بها الثلاثة فتية، وما كان لهم أن يتمتعوا بها، إلا في أتون النار!!... في الأتون اختبروا الرب وعجائبه...

❖ونفس الخبرة تمتع بها دانيال النبي، حينما ألقوه في جب الأُســـود. وهناك رتّل أنشودته الجميلة: "إِلهِي أَرْسَلَ مَلاَكَهُ وَسَدَّ أَفْوَاهَ الأُسُودِ" (دا٦: ٢٢). وهكذا كان الرب مع قديسين آخرين في ضيقاتهم.

✠ ✠ ✠

القديس بولس الرسول، كتب رسالته إلى أفسس، وهو أسير.

وهكذا قال لهم فيها: "أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ، أَنَا الأَسِـيرَ فِي الرَّبِّ: أَنْ تَسْـلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا" (أف٤: ١).

كان "أسـير في الرب" ومع ذلك يكتب رسـائل إلى الكنائس، إلى أفسـس وإلى غيرها. كما كان القديس يوحنا الحبيب أسـيرًا، منفيًا في بطمس، ويكتب رسـائل "إِلَى السَّبْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسِيَّا" (رؤ١: ١١).

وكأن يوحنا يقول لتلك الكنائس إن نفيه في تلك الجزيرة النائية، لم يمنع إطلاقًا صلتي بالله، ولا صلتي بكم!

فمن جهة صلتي بكم، ها أكتب إليكم، وإلى غيركم.

ومن جهة صـــلتي بالله، "كُنْتُ فِي الرُّوحِ فِي يَوْمِ الرَّبِّ، وَسَـــمِعْتُ... رَأَيْتُ" (رؤ١: ١٠، ١٢).

✠ ✠ ✠

وفي كتابة القديس يوحنا الرسول إلى الكنائس، يقول:

"أَنَا يُوحَنَّا أَخُوكُمْ وَشَـرِيكُكُمْ فِي الضِّـيقَةِ وَفِي مَلَكُوتِ يَسُـوعَ الْمَسِـيحِ وَصَـبْرِهِ. كُنْتُ فِي الْجَزِيرَةِ الَّتِي تُدْعَى بَطْمُسَ مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ شَـــهَادَةِ يَسُـــوعَ

الْمَسِيحِ. كُنْتُ فِي الرُّوحِ فِي يَوْمِ الرَّبِّ، وَسَمِعْتُ وَرَائِي صَوْتًا عَظِيمًا كَصَوْتِ بُوقٍ" (رؤ١: ٩، ١٠).

ويبدأ القديس يوحنا بعد ذلك في أن يروي ما رآه وما سمعه، وما كلّفه الرب بتوصيله من رسائل للكنائس. ولكن قبل أن ندخل في هذه التفاصيل، نود أن نتأمل في عبارات مقدمته.

✠ ✠ ✠

"أَنَا يُوحَنَّا أَخُوكُمْ وَشَرِيكُكُمْ".

من هو يوحنا هذا، الذي يقول "أَنَا يُوحَنَّا أَخُوكُمْ"؟

إنه القديس مار يوحنا الحبيب، واحد من الاثنى عشر رسولًا الذين اختارهم الرب. بل كان التلميذ الذي "كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ" (يو١٣: ٢٣) (يو١٩: ٢٦) (يو٢٠: ٢) (يو٢١: ٧، ٢٠).

وهكذا تكرر هذا اللقب في الكتاب عدة مرات: "وكان يتكئ على صدر يسوع" (يو٢١: ٢٠) (يو١٣: ٢٥).

❖ وهو أحد الثلاثة، الذين كان الرب يخصهم بمودة معينة، وينفرد بهم أحيانًا. كما أخذهم معه إلى جبل التجلي: بطرس ويعقوب ويوحنا (مر٩: ١). وكما أخبرهم مع أندراوس عن مجيئه الثاني وعلامات نهاية الأزمنة (مر١٣: ٣). وأخذهم معه أيضًا إلى بستان جثسيماني (مت٢٦: ٣٧).

❖ وهو الوحيد من الاثني عشر الذي تبع المسيح إلى الصليب. وعهد إليه السيد الرب برعاية القديسة العذراء. وقال له: "هُوَذَا أُمُّكَ. وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التِّلْمِيذُ إِلَى خَاصَّتِهِ" (يو١٩: ٢٧).

❖ وهو أحد الثلاثة الذين قال عنهم القديس بولس الرسول إنهم أعمدة الكنيسة. فقال: "فَإِذْ عَلِمَ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي يَعْقُوبُ وَصَفَا وَيُوحَنَّا، الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ أَعْمِدَةٌ، أَعْطَوْنِي وَبَرْنَابَا يَمِينَ الشَّرِكَةِ" (غلا٢: ٩).

❖ وهو الوحيد الذي منحه الرب هذه الرؤيا.

ومع كل ذلك يقول: "أنا أخوكم"...!

✠ ✠ ✠

ما أعظم تواضع القديس يوحنا الرسول في قوله: "أنا أخوكم"!!

في كتابته لسفر الرؤيا، كان هو الوحيد الباقي من الاثني عشر رسولًا. وكان قد مرّ عليه أكثر من ستين عامًا، وهو معتبر عمودًا في الكنيسة. كان من جهة السن أكبر شيخ في الكنيسة. وكان من جهة العلم والمعرفة أكبر معلم في الكنيسة في أيامه، بل هو المرجع الأصيل لكل معرفة دينية.

ومن جهة الكهنوت كان أسقفًا مسكونيًا وراعيًا، بل أكبر وأقدم أسقف وراعٍ في الكنيسة بوجه عام. والكل كانوا أولاده.

ومع ذلك قال في تواضع: "أَنَا يُوحَنَّا أَخُوكُمْ"!!

✠ ✠ ✠

قال: "أنا أخوكم" وهو أبو الكنيسة كلها، والكل أولاده!

وهو كان يعرف هذا جيدًا. وقد قال في رسالته الأولى: "يَا أَوْلاَدِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا" (١يو٢: ١).

ولكنه تواضع من هذا الرسول العظيم في كتابة سفر الرؤيا:

من جهة السن، كان أكبر الكل سنًا.

ومن جهة الكهنوت، كان الأكبر في الكهنوت، كرسول عظيم.

ومن جهة الدعوة، كان الأقدم طبعًا، فهو من الاثني عشر.

ومن جهة الصلة بالسيد المسيح، كان هو الأقرب صلة، فهو الذي دُعيّ حبيبًا للرب، وهو الذي كان يتكئ في حضنه. وهو الذي أخذ القديسة العذراء إلى بيته.

ومع ذلك كله، فإنه يصف نفسه بعبارة "أَنَا يُوحَنَّا أَخُوكُمْ وَشَرِيكُكُمْ فِي الضِّيقَةِ وَفِي مَلَكُوتِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَصَبْرِهِ"!! (رؤ١: ٩).

✠ ✠ ✠

إنه تواضع نتعلمه نحن من القديس يوحنا الرسول.

وهو قد تعلمه من الرب يسوع في عشرته له.

تعلمه من الرب الذي قال لمريم المجدلية ومريم الأخرى: "اِذْهَبَا قُولاَ لإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ، وَهُنَاكَ يَرَوْنَنِي" (مت٢٨: ١٠).

وهو الذي قال لتلاميذه: "لاَ أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيدًا... لكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ" (يو١٥: ١٥)

إنه المسيح الذي دعانا أخوة له. ليس تلاميذه فقط، بل البشر جميعًا – كما قال الرسول – "لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً، قَائِلاً: أُخَبِّرُ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي" (عب٢: ١١، ١٢). بل قيل عنه أيضًا إنه: "كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ" (عب٢: ١٧).

بل قال الرب عن الفقراء والمحتاجين إنهم إخوته الأصاغر: فقال عن الجياع والعطاش والعراة والغرباء والمحبوسين: "بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ" (مت٢٥: ٤٠).

إنه درس تلقاه يوحنا من معلمه، وفهمه ونفذه.

وهكذا قال لكنائس آسيا: "أنا يوحنا أخوكم".

✠ ✠ ✠

"أَخُوكُمْ وَشَرِيكُكُمْ فِي الضِّيقَةِ" (رؤ١: ٩).

لا تحسبوا أني أعيش في برج عالٍ، أو في حياة هادئة ناعمة، باعتباري رسولًا، وراعيًا، ورئيسًا دينيًا لكم!! كلا، بل أنا أخوكم وشريككم في الضيقة. لست أستريح، وأنتم تتعبون! بل أنا مشترك في الضيق معكم. بل إن السيد الرب قد حدثنا عن هذا الضيق قبلكم. فقال لنا: "فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ" (يو١٦: ٣٣) "إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَنِي قَبْلَكُمْ... إِنْ كَانُوا قَدِ اضْطَهَدُونِي فَسَيَضْطَهِدُونَكُمْ" (يو١٥: ١٨، ٢٠) "بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً لِلهِ" (يو١٦: ٢).

كما اشترك معنا المسيح في الضيق، وسبقنا إليه.

هكذا نحن نشترك معه في الضيقة، ونتقدمكم فيها.

✠ ✠ ✠

إن الضيق هو الطريق إلى الملكوت.

ولهذا، فأنا "شَرِيكُكُمْ فِي الضِّيقَةِ وَفِي مَلَكُوتِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَصَبْرِهِ".

أليس هو القائل منذ البدء: "ادْخُلُوا مِنَ الْبَاب الضَّيِّقِ، مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ" (مت٧: ١٣، ١٤). أليس هو القائل: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي" (مر٨: ٣٤). بل قال أكثر من هذا: "مَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُني فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي" (مت١٠: ٣٨).

لذلك نحن نرحب بالضيقة، لأنها الطريق إلى الملكوت.

وإن كنت شريككم في الملكوت، فأنا شريككم في الضيقة.

✠ ✠ ✠

مرحبًا إذًا بالنفي في جزيرة بطمس، فلا بد من هذا كله، لأنه طريق الملكوت، نشترك فيه، وفي الصبر أيضًا. لأن هكذا قال المسيح: "بِصَبْرِكُمُ اقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ" (لو٢١: ١٩) "الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ" (مت١٠: ٢٢) (مت٢٤: ١٣).

وليس فقط نتيجة الصبر لأجل الملكوت، إننا ننال الملكوت... بل بالصبر أيضًا نقتني أنفسنا، فننال نعم الرب هنا، في المنفى. ما دمنا فيه "مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (رؤ١: ٩).

فماذا كانت أول نعمة نلتها في هذا المنفى، وبهذا الصبر؟

✠ ✠ ✠

يقول مار يوحنا: "كُنْتُ فِي الرُّوحِ فِي يَوْمِ الرَّبِّ".

"كُنْتُ فِي الرُّوحِ" (رؤ١: ١٠).

المعروف أن القديس يوحنا، قد حلّ الروح القدس عليه في يوم الخمسين مع باقي الرسل: "وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (أع٢: ٤). وهكذا عاشوا ممتلئين من الروح القدس.

فماذا تعني عبارة "كُنْتُ فِي الرُّوحِ فِي يَوْمِ الرَّبِّ"؟!

أصـارحكم يا أخوتي أنني وقفت متحيرًا أمام هذه العبارة بعض الشـيء، ووقفت متحيرًا أمامها بعض الوقت.

هذا القديس العظيم المملوء من الروح القدس، ماذا يعني أنه كان في الروح في يوم ما؟ أهي نعمة خاصـــة مضـــاعفة وقتذاك؟ أو حالة روحية فائقة للطبيعة؟ لعلها كذلك. لست أدري.

الرؤيَـا الأولىَ

رأى فيها يوحنا السيد المسيح في منظر مهيب جدًا.

ولأن الرؤيا عظيمة هكذا، فقد مهد لها الرب تمهيدًا لازمًا: من جهة الحالة. ومن جهة الوقت، ومن جهة التدرج.

فمن جهة الحالة: قال القديس يوحنا: "كُنْتُ فِي الرُّوحِ" (رؤ١: ١٠).

أي كان في حالة روحية فائقة للطبيعة كما أظن، كما لو كان لا يشعر بوجوده في الجسد. كما قال القديس بولس الرسول مرة: "أَفِي الْجَسَدِ أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللهُ يَعْلَمُ" (٢كو١٢: ٣). كان يلزم للقديس يوحنا أن يكون في الروح، لكي يحتمل ويستوعب ذلك المنظر الروحي. وماذا أيضًا؟

✠ ✠ ✠

يقول إنه كان: "فِي يَوْمِ الرَّبِّ" (رؤ١: ١٠) أي باليونانية "كيرياكي" أي يوم الأحد. في يوم مقدس. في يوم الأحد الذي قدسه الرب بقيامته فيه. وبظهوره فيه للتلاميذ، إذ "نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ" (يو٢٠: ٢٢، ٢٣).

وفي نفس يوم الأحد الذي حل فيه الروح القدس على التلاميذ، يوم البنطقستي، وكان يوم مولد الكنيسة وتأسيسها، وبدء المواهب الروحية التي ساعدت على نشر الإيمان.

نعم، في مثل هذا اليوم المقدس تراءى الرب ليوحنا، لأنه ليست كل الأيام في درجة واحدة. بل إن يومًا يفوق يومًا في القدسية، وفي مدى صلاحيته للرؤيا الإلهية.

✠ ✠ ✠

ومع ذلك ظهر الرب له في تدرج، لكي يحتمل.

لم يظهر له مرة واحدة: "وَوَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَهِيَ تُضِيءُ فِي قُوَّتِهَا" (رؤ١: ١٦) فهذا صعب عليه، إذ لم يتعود أن يرى المسيح هكذا...

إن القديس بولس الرسول، لما رأى الرب في طريق دمشق (أع٩) لم يحتمل النور، وسقط على الأرض، ولم يستطع أن يبصر. واحتاج فيما بعد إلى أن القديس حنانيا: "وَضَعَ عَلَيْهِ يَدَيْهِ... فَلِلْوَقْتِ وَقَعَ مِنْ عَيْنَيْهِ شَيْءٌ كَأَنَّهُ قُشُورٌ، فَأَبْصَرَ" (أع٩: ١٧، ١٨).

ودانيال النبي: قال عن رؤياه فيما كان الملاك جبرائيل يشرح له: "وَإِذْ كَانَ يَتَكَلَّمُ مَعِي كُنْتُ مُسَبَّخًا عَلَى وَجْهِي إِلَى الأَرْضِ، فَلَمَسَنِي وَأَوْقَفَنِي عَلَى مَقَامِي" (دا٨: ١٨). "وَأَنَا دَانِيآلَ ضَعُفْتُ وَنَحَلْتُ أَيَّامًا، ثُمَّ قُمْتُ... مُتَحَيِّرًا مِنَ الرُّؤْيَا وَلاَ فَاهِمَ" (دا٨: ٢٧).

وموسى النبي: قال له الرب: "لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ" (خر٣٣: ٢٠). وجعله الرب في نقرة من الصخرة، وستر بيده عليه، حتى اجتاز مجده (خر٣٣: ٢٢).

✠ ✠ ✠

لذلك كان لا بد من التدرج مع يوحنا. فكيف كان ذلك؟

ابتدأ الأمر بصوت من ورائه، ثم حديث، ثم منظر "**شِبْهُ ابْنِ إِنْسَانٍ**" ثم المنظر الإلهي المهيب. وفي هذا يقول القديس يوحنا: "وَسَمِعْتُ وَرَائِي صَوْتًا عَظِيمًا كَصَوْتِ بُوقٍ قَائِلاً: «أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ. الأَوَّلُ وَالآخِرُ. وَالَّذِي تَرَاهُ، اكْتُبْ فِي كِتَابٍ وَأَرْسِلْ إِلَى السَّبْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسِيَّا: إِلَى... وَإِلَى... فَالْتَفَتُّ لأَنْظُرَ الصَّوْتَ الَّذِي تَكَلَّمَ مَعِي. وَلَمَّا الْتَفَتُّ رَأَيْتُ سَبْعَ مَنَايِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَفِي وَسْطِ السَّبْعِ الْمَنَايِرِ شِبْهُ ابْنِ إِنْسَانٍ" (رؤ١: ١٠– ١٣).

حقًا إن التدرج لازم، ومناسب لطبيعتنا البشرية الضعيفة.

بشيء من التدرج ظهر الرب في قيامته لمريم المجدلية، بشخص ظنته البستاني... إلى أن ناداها باسمها فعرفته (يو٢٠). وبالتدرج ظهر للأحد عشر، ليس أولًا بجسد ممجد كجسد الصعود، بل بجسد له لحم وعظام، يمكنهم أن يروه ويجسوه... بجسد يمكنهم أن يقدموا له سمكًا مشويًا، وشيئًا من شهد عسل، فأخذ وأكل قدامهم

(لو٢٤: ٣٩- ٤٣). وأخيرًا رأوا لاهوته في صعوده (أع١) (لو٢٤: ٥١).

وبالتدرج أيضًا، ظهر للقديس يوحنا الرائي. فكيف؟

✠ ✠ ✠

لم تظهر له الرؤيا مواجهة، وجهًا لوجه، فجأة فلا يحتمل.

إنما سمع وراءه صوتًا صوت بوق، يشعر بأن هناك شيئًا هامًا وعظيمًا سيحدث حتى التفت إلى ورائه ليدرك ما الذي يحدث.

كانت الخطوة التالية أنه سمع عبارة "أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ. الأَوَّلُ وَالآخِرُ".

وهذا لقب من ألقاب الله وحده، كما ورد في سفر إشعياء النبي: "أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَلاَ إِلهَ غَيْرِي" (إش٤٤: ٦). "أَنَا هُوَ. أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَيَدِي أَسَّسَتِ الأَرْضَ، وَيَمِينِي نَشَرَتِ السَّمَاوَاتِ" (إش٤٨: ١٢، ١٣).

وبهذا فإن الذي يكلمه يعلن له لاهوته، لأن الله وحده هو الأول، كما قال: "أَنَا هُوَ. قَبْلِي لَمْ يُصَوَّرْ إِلهٌ وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ. أَنَا أَنَا الرَّبُّ، وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ" (إش٤٣: ١٠، ١١).

والمخلوق لا يمكن أن يكون الأول. فلا بد من خالق قبله قد خلقه. والخالق هو الأول.

✠ ✠ ✠

إذًا بدأ القديس يوحنا، يشعر أنه أمام الله، والله يكلمه.

يذكرنا هذا بكلام الرب مع موسى من العليقة، حيث قال له معلنًا ذاته: "أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ" (خر٣: ٦) ... إنه أمر تمهيدي أن يعلن الله ذاته أولًا.

وبعد أن أعلن الرب ذاته ليوحنا، منحه فترة زمنية، ولم يجعله يراه بعد ذلك مباشرة. إنما قال له: "وَالَّذِي تَرَاهُ، اكْتُبْ فِي كِتَابٍ وَأَرْسِلْ إِلَى السَّبْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسِيَّا". إذًا انسى أنك في نفي، وانسَ جزيرة بطمس. وتذكر أنك رسول، وأنك أمام الرب يكلفك برسالة...

يقول يوحنا: "فَالْتَفَتُّ لأَنْظُرَ الصَّوْتَ الَّذِي تَكَلَّمَ مَعِي". ومع كل ذلك التمهيد لم يرَ الرب مباشرة. إنما رأى تمهيدًا آخر:

✠ ✠ ✠

يقول: "رَأَيْتُ سَبْعَ مَنَايِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَفِي وَسْطِ السَّبْعِ الْمَنَايِرِ شِبْهُ ابْنِ إِنْسَانٍ، مُتَسَرْبِلاً بِثَوْبٍ إِلَى الرِّجْلَيْنِ، وَمُتَمَنْطِقًا عِنْدَ ثَدْيَيْهِ بِمِنْطَقَةٍ مِنْ ذَهَبٍ" (رؤ١: ١٢، ١٣).

وفيما بعد قيل له: إن "الْمَنَايِرُ السَّبْعُ الَّتِي رَأَيْتَهَا هِيَ السَّبْعُ الْكَنَائِسِ" (رؤ١: ٢٠).

وكونها من ذهب، لأنها غالية وثمينة عند الله.

وهكذا نرى في العهد القديم مذبح الذهب (خر٣٩: ٣٨) و"مِبْخَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ" (عب٩: ٤) إشارة إلى أهمية العبادة والذبائح. ونرى رداء هارون يبرز فيه عنصر الذهب (خر٣٩: ٢) إشارة إلى القيمة العالية لسر الكهنوت، ونرى قسطًا من ذهب فيه المنّ إشارة إلى عظمة الطعام النازل من فوق. بل نرى أن الذهب كان من تقدمات المجوس للسيد المسيح في طفولته (مت٢: ١٢) إشارة إلى عظمة ملكه.

بنفس المعنى كانت المنائر السبع من ذهب رمزًا لعظمة الكنائس، حقًا قد يكون لبعض رعاتها أخطاء، ولكن هذا لا يمنع إطلاقًا من عظمة الكنيسة.

✠ ✠ ✠

وفي وسط هذه المنائر (الكنائس) رأى شبه ابن الإنسان.

وعبارة "**ابن الإنسان**" هي لقب معروف للسيد المسيح تكرر مرارًا عديدة في الأناجيل المقدسة، ليذكرنا بأهمية التجسد الإلهي لخلاص البشر. كما ذكر هذا اللقب أيضًا في نبوءة دانيال النبي (دا٧: ١٣).

لكنه في هذه الرؤيا ذكر عبارة "شِبْهُ ابْنِ إِنْسَانٍ" لأنه على الرغم من ناسوته كانت له صفات من الرهبة والمخافة والعظمة، لا يمكن أن يتصف بها إنسان

عادي... حتى أن القديس يوحنا يقول: "فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَـــقَطْتُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ كَمَيِّتٍ" (رؤ١: ١٧).

إنه هو نفسه ابن الإنسان الذي كان القديس يوحنا يتكئ على صدره، ولكنه في حالة من التجلي الرهيب.

لعلها مجرد لمحة عن لاهوته، الذي عبر عنه بقوله: "أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ. الأَوَّلُ وَالآخِرُ" (رؤ١: ١١).

✠ ✠ ✠

يقول عنه القديس الرائي أيضًـــا أنه كان: "مُتَسَـــرْبِلاً بِثَوْبٍ إِلَى الرِّجْلَيْنِ، وَمُتَمَنْطِقًا عِنْدَ ثَدْيَيْهِ بِمِنْطَقَةٍ مِنْ ذَهَبٍ" (رؤ١: ١٣).

"الثوب إلى الرجلين" بالنسبة إلى البشر دليل على الحشمة أما بالنسبة إلى الرب والملائكة وأرواح القديسين، فدليل على الوقار والمهابة. إنه درس لنا أن السيد المسيح يظهر متسربلًا بثوب إلى الرجلين.

نلاحظ أيضًا بالنسبة إلى الشاروبيم والسارافيم أنهم كانوا يظهرون "وبجناحين يغطون أرجلهم" مع أنهم ملائكة نلمح هذا أيضًـــا في منظر ملائكة القيامة. قيل عن الملاك الذي ظهر للمريمتين أن "لِبَاسُهُ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ" (مت٢٨: ٣). وأنهما رأيا ملاكًا "لاَبِسًا حُلَّةً بَيْضَاءَ" (مر١٦: ٥).

أيضًا القديس الأنبا بولا السائح الذي قضى ٨٠ سنة وحده لا يرى وجه إنسان، كان قد ضـــفر له ثوبًا من خوص النخيل، على الرغم من أنه كان وحده، لا أحد يراه، ولكنها الحشمة.

كذلك هرون رئيس الكهنة كان ثوبه إلى الرجلين، مغطى كله، لا يرى أحد شيئًا من جسده هكذا ظهر السيد المسيح رئيس الكهنة الأعظم.

✠ ✠ ✠

وكان أيضًا متمنطقًا بمنطقة من ذهب.

والمنطقة تدل على اليقظة والاســتعداد للعمل. وهي علامة المجاهدين كيوحنا

المعمدان، كانت: "مِنْطَقَةً مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقْوَيْهِ" (مر ١: ٦) وهكذا إيليا النبي: "شَدَّ حَقْوَيْهِ وَرَكَضَ" (١مل١٨: ٤٦).

ومن جهة الاستعداد أمرنا الرب قائلًا: "لِتَكُنْ أَحْقَاؤُكُمْ مُمَنْطَقَةً وَسُرُجُكُمْ مُوقَدَةً" (لو١٢: ٣٥) استعدادًا لمجيء الرب. وبنفس الوضع كان الشعب يأكلون خروف الفصح: "أَحْقَاؤُكُمْ مَشْدُودَةٌ" (خر١٢: ١١).

وكون منطقة المسيح كانت من ذهب، فذلك إشارة إلى أهميتها. وقد ظهر بها إشارة إلى العمل الذي يقوم به وسط الكنائس.

✠ ✠ ✠

كل ما سبق كان في مرحلة التمهيد والتدرج: السبع منائر، وشبه ابن الإنسان والثوب إلى الرجلين والمنطقة من ذهب.

أما المنظر المخيف، فلم يكن يوحنا قد رأه بعد. فماذا كان؟

يقول يوحنا الرائي عن المسيح: "وَأَمَّا رَأْسُهُ وَشَعْرُهُ فَأَبْيَضَانِ كَالصُّوفِ الأَبْيَضِ كَالثَّلْجِ، وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ. وَرِجْلاَهُ شِبْهُ النُّحَاسِ النَّقِيِّ، كَأَنَّهُمَا مَحْمِيَّتَانِ فِي أَتُونٍ. وَصَوْتُهُ كَصَوْتِ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ. وَمَعَهُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى سَبْعَةُ كَوَاكِبَ، وَسَيْفٌ مَاضٍ ذُو حَدَّيْنِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ، وَوَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَهِيَ تُضِيءُ فِي قُوَّتِهَا" (رؤ١: ١٤– ١٦).

حقًا إن وداعة الله في تجسده، لا تحجب قوته في لاهوته.

هنا ناسوته ولاهوته معًا، متحدان في طبيعة واحدة، في منظر واحد فيه تواضع التجسد، وعظمة الطبيعة اللاهوتية. وما أصدق القديس بولس حينما قال: "هُوَذَا لُطْفُ اللهِ وَصَرَامَتُهُ" (رو١١: ٢٢).

✠ ✠ ✠

نلاحظ في هذا المنظر، عنصر النار، في تفاصيل متعددة. "عَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ" "رِجْلاَهُ... كَأَنَّهُمَا مَحْمِيَّتَانِ فِي أَتُونٍ" "وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَهِيَ تُضِيءُ فِي قُوَّتِهَا". ألا يذكرنا كل هذا بقول الرسول: **"لأَنَّ إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ" (عب١٢: ٢٩).**

ألا يذكرنا بالنار المقدســـة التي كانت تأكل الذبائح؟ وبالنار التي نزلت من الســـماء حينما تحدى إيليا النبي أنبياء البعل من جهة محرقته، "فَسَـــقَطَتْ نَارُ الرَّبِّ وَأَكَلَتِ الْمُحْرَقَةَ وَالْحَطَبَ وَالْحِجَارَةَ وَالتُّرَابَ، وَلَحَسَـــتِ الْمِيَاهَ الَّتِي فِي الْقَنَاةِ" (١مل١٨: ٣٨).

ألا تذكرنا بالنار في المجمرة ورموزها، وبالنار التي كانت تشـــتعل في العليقة كما رآها موســـى النبي؟ (خر٣: ٢). إن النار ما كانت تخلو منها خيمة الاجتماع، ولا الهيكل، ولا أية كنيسة في قداستها. وكانت تشير إليها أيضًا: السرج.

✠ ✠ ✠

ماذا إذًا عن قوله "وأما رأسه وشعره فأبيضان"!

مع أن يوحنا الرسول لم يرَ المسيح أبدًا بشعر أبيض كالصوف الأبيض كالثلج بل رآه في سن الثلاثين وما بعدها!!

هنا الشـــعر الأبيض يرمز إلى أزليته، إلى أنه القديم الأيام، مع أنه ظهر في تجسده في ملء الزمان مولودًا من امرأة (غلا٤: ٤).

وعبارة "سَيْفٌ مَاضٍ ذُو حَدَّيْنِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ".

دليل على قوة كلامه، كما قال الرسول: "لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ" (عب٤: ١٢).

✠ ✠ ✠

أمام هذا وقع يوحنا عند قدمي الرب كميت. فوضع يده اليمنى عليه:

وقال لـه: "لاَ تَخَفْ، أَنَـا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَـا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ! آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ" (رؤ١: ١٧، ١٨).

نلاحظ أن عبارة "الْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْ" تدل على أن المتكلم هو أقنوم الابن الذي يقول عن نفسه أيضًا: "أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ". وقد كرر هذا اللقب ثلاث مرات في هذا الأصحاح (رؤ١: ٨، ١١، ١٧).

الكنائس السَبع

قال الرب للقديس يوحنا الرائي: "وَالَّذِي تَرَاهُ، اكْتُبْ فِي كِتَابٍ وَأَرْسِلْ إِلَى **السَّبْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسِيَّا: إِلَى أَفَسُسَ، وَإِلَى سِمِيرْنَا، وَإِلَى بَرْغَامُسَ، وَإِلَى ثَيَاتِيرَا، وَإِلَى سَارْدِسَ، وَإِلَى فِيلاَدَلْفِيَا، وَإِلَى لاَوُدِكِيَّةَ**" (رؤ١: ١١) ... "اكْتُبْ مَا رَأَيْتَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا هُوَ عَتِيدٌ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ هذَا. سِرَّ السَّبْعَةِ الْكَوَاكِبِ الَّتِي رَأَيْتَ عَلَى يَمِينِي، وَالسَّبْعِ الْمَنَايِرِ الذَّهَبِيَّةِ: السَّبْعَةُ الْكَوَاكِبُ هِيَ مَلاَئِكَةُ السَّبْعِ الْكَنَائِسِ، وَالْمَنَايِرُ السَّبْعُ الَّتِي رَأَيْتَهَا هِيَ السَّبْعُ الْكَنَائِسِ" (رؤ١: ١٩، ٢٠).

"هذَا يَقُولُهُ الْمُمْسِكُ السَّبْعَةَ الْكَوَاكِبَ فِي يَمِينِهِ، الْمَاشِي فِي وَسَطِ السَّبْعِ الْمَنَايِرِ الذَّهَبِيَّةِ" (رؤ٢: ١)

✠ ✠ ✠

فما هو تفسير أو رموز تلك الكنائس السبع، التي كان يرعاها القديس يوحنا الرسول في آسيا الصغرى، والتي ما بقيَ منها شيء؟!

ما أكثر تأملات الكُتّاب والمفسرين في هذه الكنائس السبع:

البعض يتناولها بتفسير حرفي. والبعض يتناولها بطريقة روحية تأملية. والبعض يأخذها بطريقة رمزية بحتة، والبعض يتعرض لها بتتابع تاريخي من عصر الرسل إلى يومنا هذا.

والبعض يمزج بين هذه الطرق جميعًا، أو يختار البعض منها ويرفض الآخر. أو يسبغ عليها أو على بعضها نظرة مذهبية معينة...!

ونحن قبل أن نعرض لهذا كله، نود أن نتأمل تلك الرؤيا روحيًا.

ظهرت الكنائس السبع في هذه الرؤيا كمنائر.

لكي تقدم لنا عمل الكنيسة في العالم. فكل كنيسة عبارة عن مركز للنور. وهذا هو الوضع الذي طلبه منا السيد المسيح، حينما قال: "فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ،

لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت٥: ١٦). الكنيسة بوضعها الطبيعي هي حاملة للنور.

كانت المنائر في تلك الأزمنة تضيء بالزيت (كما في السُرُج). والزيت في الكتاب المقدس يرمز إلى الروح القدس.

ولذلك فالمؤمنون ينيرون العالم، ليس بنورهم الذاتي، إنما بمدى ثباتهم في روح الله الذي يعلمهم كل شيء (يو١٤: ٢٦).

✠ ✠ ✠

ولعل الرب في هذا المنظر ذكّرنا بالصورة في خيمة الاجتماع.

حسبما قال الرب لموسى: "وَتَصْنَعُ مَنَارَةً مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ" (خر٢٥: ٣١). وقال في وصفها: "جَمِيعُهَا خِرَاطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ. وَتَصْنَعُ سُرُجَهَا سَبْعَةً، فَتُصْعَدُ سُرُجُهَا لِتُضِيءَ إِلَى مُقَابِلِهَا... وَانْظُرْ فَاصْنَعْهَا عَلَى مِثَالِهَا الَّذِي أُظْهِرَ لَكَ فِي الْجَبَلِ" (خر٢٥: ٣٦، ٣٧، ٤٠).

هذا هو النور السباعي الذي للكنيسة. وربما الرقم سبعة يرمز إلى كمال إضاءتها، أو إلى كمال انتشار ضوئها.

وما زلنا حتى الآن، نحتفظ بلقب (منارة) في بناء كل كنيسة، مع أن الوضع تغير عن الصورة القديمة، لكن الهدف واحد من كلمة (منارة).

✠ ✠ ✠

وفي المنظر الذي رآه يوحنا، كان السيد المسيح في الوسط، والمنائر السبع حوله.

ولعل هذا يذكرنا بقوله لنا: "حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ" (مت١٨: ٢٠). إنه مركز الكنيسة. وإن لم يكن في وسطها، لا تكون الكنيسة كنيسة. ولكنه طمأننا بقوله: "هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ" (مت٢٨: ٢٠).

وكون المسيح وسط المنائر السبع، يعطي فكرة عن وحدة الكنيسة.

وما دام الرقم سبعة يرمز إلى الكمال، إذًا السبع الكنائس التي في آسيا الصغرى قد تعني كنائس العالم كله، أو ترمز إليها. إلى كل الذين: "فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ" (يو ١: ١٢). والسيد المسيح في وسط الكل. وهذه صورة بلا شك لوحدة الكنيسة، ودعوة كل المؤمنين في أرجاء المسكونة أن يجتمعوا معًا، والمسيح في وسطهم.

✠ ✠ ✠

في الرؤيا كان السيد المسيح في وسط الكنائس السبع.

وفي يده اليمنى السبعة كواكب أي ملائكة الكنائس السبعة.

وواضح أن هؤلاء الملائكة السبعة هم رعاة تلك الكنائس، أو هم أساقفتها. وكلمة "ملاك" وردت كثيرًا في الكتاب المقدس عن إنسان، وبالذات عن كاهن. كما وُصف يوحنا المعمدان الكاهن ابن الكاهن بأنه الملاك الذي يهيئ طريق الرب قدامه (مر ١: ٢) (ملا٣: ١).

ويؤيد هذا أن العبارات التى وردت في رسائل الرب لهؤلاء الملائكة السبعة، أنه يخاطب فيها بشرًا، وأنهم أساقفة الكنائس (رؤ٢، رؤ٣). وواضح طبعًا أن القديس يوحنا الرائي ما كان سيكتب رسائل ويرسلها إلى ملائكة سمائيين! إنما سيرسلها إلى أساقفة الكنائس.

ولقد اعتبر رعاة الكنائس ملائكة، بسبب نقاوتهم، وبسبب طاعتهم الكاملة في توصيل كلمة الرب للناس. كما قال داود النبي: "بَارِكُوا الرَّبَّ يَا مَلاَئِكَتَهُ الْمُقْتَدِرِينَ قُوَّةً، الْفَاعِلِينَ أَمْرَهُ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ كَلاَمِهِ" (مز١٠٣: ٢٠) وعن هذا نقول أيضًا: "لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ" (مت٦: ١٠).

وكلمة ملاك في اليونانية تعني أيضًا رسول Messenger. وفي هذا يقول سفر ملاخي النبي إنه من فم الكاهن يطلبون الشريعة: "لأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْجُنُودِ" (ملا٢: ٧).

✠ ✠ ✠

تقول الرؤيا إن هؤلاء الرعاة كانوا في اليد اليمنى للرب.

وهي بلا شك قاعدة: إنه لا يستطيع أحد أن يكون خادمًا للرب أو رسولًا له، ما لم يكن في يده اليمنى، يفعل به الرب ما يشاء.

في يمين الرب: "يَمِينُ الرَّبِّ صَنَعَتْ قُوَّةً" (مز١١٨: ١٦). وعن هذا قال الرب في الإنجيل: "خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي. وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي" (يو١٠: ٢٨).

وهذا هو موضع الأسقف أو موضع الراعي في الكنيسة – كما ينبغي أن يكون – أنه في يمين المسيح. فلا يتصرف في ذاته من شيء، إلا كما توجهه هذه اليمين، وكما تعطيه من القوة.

✠ ✠ ✠

هؤلاء الرعاة قد شبههم الرب بالكواكب.

والكوكب يضيء. ولكنه لا يضيء بذاته، إنما من نور شمس يسطع عليه.

والمسيح هنا وُصف بأنه: "كَالشَّمْسِ وَهِيَ تُضِيءُ فِي قُوَّتِهَا" (رؤ١: ١٦). وبنوره يضيء هؤلاء الكواكب السبعة. وقد قيل في سفر دانيال النبي: "وَالْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ الْجَلَدِ، وَالَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى أَبَدِ الدُّهُورِ" (دا١٢: ٣).

بعد هذه المقدمة، تبدأ رسائل الرب إلى ملائكة الكنائس السبع، إلى كل منهم على حدة. فيقول للقديس يوحنا الرائي: اكتب إلى ملاك كنيسة...

✠ ✠ ✠

تأمل عَام في الرسَائل السَبع

١ – الذين يتأملون بأسلوب تاريخي متتابع:

❖ يرون أن كنيسة أفسس تمثل عصر الآباء الرسل:

كما يشير الترتيب التاريخي إلى أننا الآن في أواخر الدهور في عصر كنيسة لاوديكية. وكيف ذلك؟

يستنتجون أن أفسس تمثل عصر الرسول من قول الرب لملاكها: "قَدْ جَرَّبْتَ الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ رُسُلٌ وَلَيْسُوا رُسُلاً، فَوَجَدْتَهُمْ كَاذِبِينَ" (رؤ٢: ٢). كذلك تحذيره له من النيقولاويين بقوله: "وَلكِنْ عِنْدَكَ هذَا: أَنَّكَ تُبْغِضُ أَعْمَالَ النُّقُولاَوِيِّينَ الَّتِي أُبْغِضُهَا أَنَا أَيْضًا" (رؤ٢: ٦). وأصحاب هذه البدعة كانوا من أتباع نيقولاوس، وهو واحد من الشمامسة السبعة (أع٦: ٥) في عصر الرسل. كما يقول بعض المفسرين، وقد ضلّ وابتدع.

✠ ✠ ✠

❖ ويرون أن كنيسة سميرنا تمثل عصر الاضطهاد الأول:

وكلمة سميرنا مأخوذة من كلمة: "المرّ". وتشمل في نظرهم الاضطهادات والاستشهادات في القرون الأولى. ويستنتجون من قول الرب لملاك تلك الكنيسة: "لاَ تَخَفِ الْبَتَّةَ مِمَّا أَنْتَ عَتِيدٌ أَنْ تَتَأَلَّمَ بِهِ. هُوَذَا إِبْلِيسُ مُزْمِعٌ أَنْ يُلْقِيَ بَعْضًا مِنْكُمْ فِي السِّجْنِ لِكَيْ تُجَرَّبُوا، وَيَكُونَ لَكُمْ ضِيْقٌ عَشَرَةَ أَيَّامٍ" (رؤ٢: ١٠). والمقصود بالعشرة أيام هنا، فترات عشرة ملوك من المضطهدين.

ولذلك هو يدعو ملاك هذه الكنيسة أن "يكون أمينًا حتى الموت".

✠ ✠ ✠

❖ ويرون أن كنيسة برغاموس تشير إلى فترة اقتران بين الكنيسة والدولة. لأن معنى كلمة برغاموس تعني "زواج".

والاقتران بين الكنيسة والدولة، يعني اعتناق الدولة الرومانية للديانة المسيحية، ابتداء من عهد قسطنطين الملك.

ويرى أولئك المفسرون أن تلك الفترة، وإن كان قد زال منها الاضطهاد بسبب الدين، إلا أنه كثرت فيها البدع التي تشير إليها عبارة "النيقولاويين". وكثر فيها الفساد الذي تشير إليه عبارة: "تَسْكُنُ حَيْثُ كُرْسِيُّ الشَّيْطَانِ" (رؤ٢: ١٣). وأيضًا الحديث عن: "ضلالة بلعام" (رؤ٢: ١٤) وطبيعي أنهم يأخذونها بأسلوب رمزي.

ولا نستطيع أن نوافق على اقتران الكنيسة بالدولة هنا وهو يشير إلى كرسي الشيطان. ذلك أن المسيحية انتشرت بشكل واسع جدًا، كما انقرضت الوثنية تمامًا. وكذلك ظهرت الرهبنة وانتشرت، لتقدم صورة جميلة لحياة النسك والوحدة لأجل محبة الله.

كما أنه في تلك الفترة ظهر أعظم أبطال الإيمان.

✠ ✠ ✠

❖ **عصر كنيسة ثياترا. وهذه الكلمة تعني "مسرح":**

أي أسلوب عصر لهو وعبث وفساد، بطريقة أولئك المفسرين.

ويرون أن زمن تلك الكنيسة يشير إلى العصور الوسطى التي سماها كثير من المؤرخين بالعصور المظلمة، والتي جاء بعدها عصر النهضة وانتشار العلم. والمفسرون البروتستانت في تفسيرهم لعصر تلك الكنيسة يهاجمون الكنيسة الكاثوليكية هجومًا شديدًا. ويقولون إنها تمثل عصر البابوية التي أنتشرت فيها محاكم التفتيش وصكوك الغفران.

وواضح جدًا التعصب المذهبي الشديد في هذا التفسير!

والتركيز على بعض أحداث معينة في التاريخ. وإن كنا نتخذ كلمة ثياترا رمزًا، فلترمز إذًا إلى الفساد في أي عصر من العصور... حتى في عصرنا الحاضر الذي كثرت فيه البدع، وكثر فيه الفساد الخلقي والبعد عن التوبة. كما قيل في الرسالة إلى

ملاك تلك الكنيسة، إشارة إلى إيزابل وزناها. وقول الرب عنها: "وَأَعْطَيْتُهَا زَمَانًا لِكَيْ تَتُوبَ عَنْ زِنَاهَا وَلَمْ تَتُبْ" (رؤ٢: ٢١).

✠ ✠ ✠

❖ عصر كنيسة ساردس. وهي كلمة معناها "بقية":

وهنا يدخل في التفسير أيضًا التعصب المذهبي. فيقول المفسرون من البروتستانت: إن هذه البقية هي التي خلصت من الثياترا الكاثوليكية في عصر لوثر وكلفن وزملائهما وخلفائهما، فيما يسمونه "عصر الإصلاح" Reformation. أو بالفرنسية: الميلاد الجديد Renaissance.

وإن كانوا يعتمدون في تفسيرهم على قول الرب له: "عِنْدَكَ أَسْمَاءٌ قَلِيلَةٌ فِي سَارْدِسَ لَمْ يُنَجِّسُوا ثِيَابَهُمْ، فَسَيَمْشُونَ مَعِي فِي ثِيَابٍ بِيضٍ لأَنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ" (رؤ٣: ٤). فلا ننسى أن ملاك كنيسة ساردس هو الذي قال له الرب: "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ، أَنَّ لَكَ اسْمًا أَنَّكَ حَيٌّ وَأَنْتَ مَيْتٌ!" (رؤ٣: ١). فكيف ينطبق هذا على عصر إصلاح أو ميلاد جديد؟!

يبدو أن التشبث بالتفسير على أساس التتابع التاريخي من عصر الرسل، هو تفسير له أخطاؤه!!

✠ ✠ ✠

❖ عصر كنيسة فيلادلفيا. وهي ترمز إلى المحبة الأخوية:

ويقولون إنه العصر الذي تتآخى فيه الكنائس وتتعاون معًا. وربما في نظرية التتابع التاريخي يشير إلى بدء الحركة المسكونية التي أصبح لها مجلس عام هو مجلس الكنائس العالمي .W.C.C، ومجلس كنائس الشرق الأوسط .M.E.C.C، ومجلس كنائس كل أفريقيا .A.A.C.C، ومجلس كنائس كندا .C.C.C، ومجلس كنائس كل أمريكا .A.C.C، ومجالس كثيرة. وهدف الكل هو الوحدة المسيحية، والتعاون معًا في مشروعات متعددة.

ويرون أن هذا العصر الذي ترمز له كنيسة فيلادلفيا، هو عصر بدأ

وسيستمر، وليست له نهاية.

✠ ✠ ✠

❖ عصـر كنيســة لاوديكية، ومعناها حكم الشــعب. ويرون أنه يشــير إلى عصرنا الحاضر، عصر الديمقراطية وحكم الشعب.

ونحن لا نستطيع أن نأخذ طبيعة العصر من أسماء معاني الكنائس. فعصر كنيسة لاوديكية قال عنه الرب: "لأَنَّكَ فَاتِرٌ، وَلَسْتَ بَارِدًا وَلاَ حَارًّا، أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَتَقَيَّأَكَ مِنْ فَمِي" (رؤ٣: ١٦). فهل هذا هو عصرنا كما يرى أصحاب نظرية التتابع التاريخي في التفسير؟! وهل هو الذي قال له الرب: "لَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَئِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ" (رؤ٣: ١٧)! هل مجرد المعنى اللغوي لكلمة لاوديكية يكفي؟!

✠ ✠ ✠

لذلك أفضل من هذا كله، أن نلجأ إلى التفسير الروحي.

ونرى أن كل كنيسة تمثل حالة روحية معينة للكنائس أو الأفراد.

فنقول مثلًا إن كنيسة ما، تحيا في حالة كنيسة سميرنا. وأخرى في حالة كنيسة برغامس. أو أن كنيسة تنتقل من حالة كنيسة كذا من الكنائس السبع إلى حالة كنيسة أخرى... دون أن نفرض حالة من التتابع التاريخي على كل كنائس العالم، بلا تمييز.

وما نقوله عن الكنائس يُقال أيضًا على الأفراد أو الجماعات.

✠ ✠ ✠

ملاحظات عَلىَ الكنائس السَبع

١- الملاحظة الأولى: أن الرب يقول لكل ملاك من الملائكة الســبعة – بلا استثناء – "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ".

وهو درس لكل منا، ولكل كنائســنا، أن أعمالنا كلها مكشــوفة أمام الله. يعرف الظاهر منها والخفي، باعتبار أنه ضابط الكل.

✠ ✠ ✠

٢- في كل الرســائل الســبع، يعد الرب بوعود جميلة لكل "مَنْ يَغْلِبُ". وهذه العبارة مكررة في كل رسالة. وأول وعد هو "فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي

فِي وَسَـطِ فِرْدَوْسِ اللهِ" (رؤ٢: ٧). والأخير هو: "مَنْ يَغْلِبُ فَسَـأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِي فِي عَرْشِي، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيْضًا وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ" (رؤ٣: ٢١).

✠ ✠ ✠

٣- والرب في رسـائله ينبه كل راعٍ إلى العيوب الموجودة عنده، بعبارة (عِنْدِي عَلَيْكَ). سواء من جهته شخصيًا كما قال لملاك كنيسة ساردس "أَنَّ لَكَ اسْمًا أَنَّكَ حَيٌّ وَأَنْتَ مَيْتٌ" (رؤ٣: ١). أو كما قال لملاك كنيســـة لاوديكية: "لأَنَّكَ فَاتِرٌ... أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَتَقَيَّأَكَ مِنْ فَمِي" (رؤ٣: ١٦).

أو أن الرب ينبه الراعي إلى أخطاء عند شـــعبه. كما قال: "عِنْدِي عَلَيْكَ قَلِيلٌ أَنَّ عِنْدَكَ هُنَاكَ قَوْمًا مُتَمَسِّكِينَ بِتَعْلِيمِ بَلْعَامَ" ... (رؤ٢: ١٤).

✠ ✠ ✠

٤- في آخر كل رسالة قدّم الرب نصيحة هامة وهي: "مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ" (رو٢، رؤ٣).

وأيضًـــا دعا إلى التوبة، وقدّم عقوبة لمن لا يتوب. كما قال لملاك كنيســـة أفسس: "وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ عَنْ قَرِيبٍ وَأُزَحْزِحُ مَنَارَتَكَ مِنْ مَكَانِهَا، إِنْ لَمْ تَتُبْ" (رؤ٢: ٥)

أُكتب إلىَ ملَاك كنيسَة أفسُس

هكذا قال الرب للقديس يوحنا الرائي:

"اُكْتُبْ إِلَى مَلاَكِ كَنِيسَةِ أَفَسُسَ: «هذَا يَقُولُهُ الْمُمْسِكُ السَّبْعَةَ الْكَوَاكِبَ فِي يَمِينِهِ، الْمَاشِي فِي وَسَطِ السَّبْعِ الْمَنَايِرِ الذَّهَبِيَّةِ. أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ وَتَعَبَكَ وَصَبْرَكَ، وَأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَحْتَمِلَ الأَشْرَارَ، وَقَدْ جَرَّبْتَ الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ رُسُلٌ وَلَيْسُوا رُسُلاً، فَوَجَدْتَهُمْ كَاذِبِينَ. وَقَدِ احْتَمَلْتَ وَلَكَ صَبْرٌ، وَتَعِبْتَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي وَلَمْ تَكِلَّ. لكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ: أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الأُولَى. فَاذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ، وَاعْمَلِ الأَعْمَالَ الأُولَى، وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ عَنْ قَرِيبٍ وَأُزَحْزِحُ مَنَارَتَكَ مِنْ مَكَانِهَا، إِنْ لَمْ تَتُبْ" (رؤ٢: ١– ٥).

✠ ✠ ✠

ملاك كنيسة أفسس كانت له علاقة محبة قوية مع الله، حياة شركة وعشرة. وكان قويًا في خدمته، له فيها تعب واحتمال وصبر. ولكنه بمرور الوقت ترك محبته الأولى، بل أيضًا سقط وأصبح محتاجًا إلى توبة!

هو ترك الرب، ولكن الرب لم يتركه.

وكأن الرب يقول له: إن كنت لا تحبني بنفس محبتك القديمة، فأنا ما زلت أحبك. وإن كانت ليست لك بي صلة قوية الآن، فأنا أريد أن أتصل بك. وعلى الرغم من أنك تركت محبتك الأولى، إلا إني أقول لرسولي يوحنا: "اُكْتُبْ إِلَى مَلاَكِ كَنِيسَةِ أَفَسُسَ".

وها أنا أرسل إليك رسالة لكي أعاتبك وأصالحك.

✠ ✠ ✠

إنه أسلوب الله باستمرار – قديمًا وحديثًا – أن يصالح أولاده.

في العهد القديم يرسل أنبياءه لمصالحتنا، فيقول في سفر إشعياء النبي: "هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ، يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ" (إش١: ١٨). وفي العهد الجديد يقول عنه القديس بولس الرسول: "اللهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ

الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ... إِذًا نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ" (٢كو٥: ١٨، ٢٠).

وفي قصة الابن الضال، حينما غضب الأخ الأكبر، ورفض أن يدخل البيت ليشترك في الفرح بعودة أخيه، خرج إليه الأب ليصالحه، ويقول له: "يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ. وَلكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ، لأَنَّ أَخَاكَ هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ" (لو١٥: ٣١، ٣٢).

✠ ✠ ✠

ونرى أن الرب في مصالحته لملاك كنيسة أفسس، يبدأ بقوله: "**هذَا يَقُولُهُ الْمُمْسِكُ السَّبْعَةَ الْكَوَاكِبَ فِي يَمِينِهِ، الْمَاشِي فِي وَسَطِ السَّبْعِ الْمَنَايِرِ الذَّهَبِيَّةِ**". فلماذا بدأ رسالته هكذا؟

نلاحظ في سفر الرؤيا أن صفة السيد المسيح تتنوع في كلامه من كنيسة إلى أخرى. كما أن مكافأته أيضًا تتنوع من كنيسة إلى أخرى. وحقًا إن أوصافه لا تعد، ولكنه مع ملاك كنيسة أفسس يقصد شيئًا معينًا. فما هو؟ إنه يقصد أن يقول له:

ما دمت أنا الممسك السبعة كواكب في يميني، وأنت أحد هذه الكواكب، إذًا فأنت في يميني، مهما تركت محبتك وسقطت!

مهما بعدت عني. وحتى إن حاولت أن تهرب مني، فأنا ما زلت أحافظ عليك في يميني، ولا أجعلك تفلت من يدي.

✠ ✠ ✠

أشبّه هذا بفتاة مخطوبة لشاب، ودبلة الخطوبة في يدها اليمنى. ومع أن محبته قد فترت، فهي لا تزال تحبه.

تقول له: قد تركت محبتك الأولى. ولكن دبلتك لا تزال في يدي اليمنى.

قلّت زيارتك لي، وقلّت هداياك لي، وربما قل اهتمامك بي، ولكن دبلتك لا تزال في يدي اليمنى. ما زلت محتفظة بك في يميني. فإن خرج الأمر عن حده، نقول له: "اذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ" وإلا فإني أزحزح منارتك من مكانها. أزحزح دبلتك من

يدي اليمنى، إن لم تتب! والرب هنا يقول لملاك كنيسة أفسس:

أنت في يميني، على الرغم من أنك تركت محبتك الأولى.

أنا لم أتخلّ عنك، ولا عن كنيستك، فأنا لا أزال "الْمَاشِي فِي وَسَطِ السَّبْعِ الْمَنَايِرِ"، أتجول بينها وافتقدها. وفيها منارتك.

عجيب هو الرب في محبته! لا يترك حتى الذين سقطوا ويحتاجون إلى توبة. "لأَنَّ هِبَاتِ اللهِ وَدَعْوَتَهُ هِيَ بِلاَ نَدَامَةٍ" (رو١١: ٢٩) ... حتى إن كنا غير أمناء، يبقى هو أمينًا.

✠ ✠ ✠

ماذا تعني أيضًا عبارة "الْمُمْسِكُ السَّبْعَةَ الْكَوَاكِبَ فِي يَمِينِهِ"؟

يمسكها في يمينه، أي تكون أداة في يمينه، يعمل بها عملًا، يعمل بها خيرًا، يستخدمها في بناء ملكوته. لأنها في يمين الرب التي صعنت قوة (مز١١٧). فاسأل يا أخي نفسك: ما الذي أمكن أن يعمله الرب بك؟ لأنه من غير المعقول أن يمسك الرب بشيء في يده، ولا يعمل به شيئًا! كمن يمسك بقلم في يده، لا بد لكي يكتب به شيئًا. فهل أنت أداة صالحة في يد الرب؟

الرب طمأن ملاك كنيسة أفسس بأنه ممسك به في يمينه وماذا أيضًا؟ قال له: "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ" (رؤ٢: ٢).

✠ ✠ ✠

"أنا عارف أعمالك". عبارة تُفرح وتخيف.

تُفرح الإنسان الذي لا يلومه ضميره على شيء. وفي نفس الوقت تخيف الذين ضمائرهم مثقلة بخطايا لم يتوبوا عنها بعد.

أنا عارف أعمالك الطيبة والرديئة، الخفية والظاهرة. أعمالك كلها. وما لا يعرفه الناس عنك. أعرفه أنا عنك، وكل ما تريد أن تكتمه، هو واضح أمامي.

أنا عارف كل عمل حسن عملته في الخفاء، حتى لا تنال عنه أجرًا من الناس. هذا سوف تجازى عنه علانية. كذلك أعرف خطاياك المكتومة. وهذه أريدك أن

تتوب عنها، حتى لا أزحزح منارتك من مكانها.

✠ ✠ ✠

والرب قد طمأن ملاك كنيسة أفسس، فذكر له أعماله الحسنة أولًا.

فقال له: "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ وَتَعَبَكَ وَصَبْرَكَ... وَقَدِ احْتَمَلْتَ وَلَكَ صَبْرٌ، وَتَعِبْتَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي وَلَمْ تَكِلَّ" (رؤ٢:٢- ٣) وأعرف ما قاسيته من الأشرار. "وَقَدْ جَرَّبْتَ الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ رُسُلٌ وَلَيْسُوا رُسُلاً، فَوَجَدْتَهُمْ كَاذِبِينَ". أنا عارف أعمالك الطيبة، وقد ذكرتها لك، حتى لا تفتخر بها وتذكرها بنفسك، كما فعل الفريسي (لو١٨: ١١، ١٢).

عجيب أن الرب يذكر لإنسان ترك محبته الأولى، أعمالًا طيبة له من قبل.

بينما البشر: إذا إنسان ترك محبته الأولى، ينسون له كل ما فعله قبلًا من أعمال طيبة. وإذا بالسنوات العجاف تأكل ما كان للسنوات السمان (تك٤١). أما الرب فلا ينسى شيئًا حتى كأس الماء البارد، كما قال: "وَمَنْ سَقَى أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تِلْمِيذٍ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ" (مت١٠: ٤٢).

✠ ✠ ✠

مثل أولئك الذين يقفون عن يمينه في يوم الدينونة الرهيب، ناسين ما فعلوه من أعمال رحمة، ويقولون له: "يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا فَأَطْعَمْنَاكَ، أَوْ عَطْشَانًا فَسَقَيْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيبًا فَآوَيْنَاكَ، أَوْ عُرْيَانًا فَكَسَوْنَاكَ؟"... فيذكرّهم الرب بما فعلوه قائلًا: "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ" (مت٢٥: ٣٧- ٤٠).

✠ ✠ ✠

وبعد أن ذكر الرب لملاك كنيسة أفسس أعماله الطيبة، قال له:

"عِنْدِي عَلَيْكَ: أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الأُولَى" (رؤ٢: ٤).

وهذا درس لنا أن نذكر محاسن الناس أولًا قبل أن نتعرض لشيء من مساوئهم. وليكن هذا هو الأسلوب الممتدح في النقد. أذكر أولًا النقاط السليمة ووفيها

حقها، قبل أن نذكر الأخطاء أو النقائص.

وكان هذا هو الأسلوب الذي استخدمه الرب مع المرأة السامرية: قال لها: "حَسَنًا قُلْتِ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ" قبل أن يقول لها: "لأَنَّهُ كَانَ لَكِ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ". وختم ذلك بعبارة: "هذَا قُلْتِ بِالصِّدْقِ" (يو٤: ١٧، ١٨).

وأسلوب مدح الناس كان أسلوب الرب مع قائد المئة (مت٨: ١٠)، ومع زكا العشار (لو١٩: ٩). ومع المرأة الخاطئة في بيت سمعان الفريسي (لو٧: ٤٧). بل حتى هذا هو ما فعله مع الفريسي الخاطئ: امتدحه الرب بعبارة: "بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ" (لو٧: ٤٣) قبل أن يُظهر له أن الخاطئة كانت أفضل منه!

✠ ✠ ✠

عجيب أن ملاك كنيسة أفسس على الرغم من تعبه وصبره. كان قد ترك محبته الأولى، واعتبره الرب أنه قد سقط!!

إن الله يريد محبتك له أكثر من تعبك لأجله...

يقول عن مريم التي جلست عند قدميه تنصت إلى كلامه، إنها اختارت النصيب الصالح الذي لن ينزع منها، أكثر من مرثا التي كانت تتعب في الخدمة (لو١٠: ٣٩- ٤٢)

الابن الكبير كان يتعب كثيرًا من أجل الأب، بغير حب. وقد قال لأبيه: "هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدْيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي!" (لو١٥: ٢٩) وانتقد أباه، وكان تصرفه ضد مشيئة أبيه، على الرغم من أنه كان يخدمه سنين كثيرة! وبرهن على أنه ينقصه الحب، سواء لأبيه أو لأخيه.

ومن أجل عظمة هذه المحبة، قال القديس بولس الرسول: "إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَقَدْ صِرْتُ نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ... وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي، وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئًا" (١كو١٣: ١، ٣).

ما فائدة التعب الكثير لأجل الله، بدون محبتنا لله؟!

ألا نكون كماكينات تتحرك وتتحرك، بدون عاطفة ولا حبّ؟!

ينطبق هذا حتى على الإنســـان المشـــغول بالخدمة وميدانها، يتعب في اجتماعات وفي افتقاد، وفي تنظيم للخدمة وتحضـــير للدروس، كل ذلك بدون حب لله وللناس. بينما يقول الكتاب: "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ" (تث٦: ٥) (مت٢٢: ٣٧) وأيضًا: "تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (مت٢٢: ٣٩).

ما أجمل قول السيد المسيح للآب عن خدمته المشبعة للحب: "وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يو١٧: ٢٦).

✠ ✠ ✠

مشكلة ملاك كنيسة أفسس، أنه تعب كثيرًا في الخدمة ولم يكلّ. وفي نفس الوقت ترك محبته الأولى!!

هل شـــغلته الخدمة عن محبة الآب، كما حدث للابن الكبير (لو١٥)؟ هل تحوّل إلى مكوك في الخدمة بدون حب؟ هل تحولت خدمته إلى روتين بلا عاطفة؟ مثال ذلك الذي يقوم بخدمة الفقراء، ويبدأ أولًا بمحبتهم. ثم تبرد محبته بمرور الوقت. ويتحول من خادم روحي إلى باحث اجتماعي. ويصبح كل همه هو فحص من يستحق ومن لا يســـتحق. وبالوقت ينتهر الفقراء ويتهمهم أحيانًا بالكذب أو التحايل أي أنهم محتالون! ويفقد محبته الأولى.

قديمًا كان يعطي المحتاجين وقلبه مملوء بالحب والحنو عليهم. أما الآن فيعطيهم وقلبه مملوء بالتذمر عليهم! وقد لا يعطيهم!

ترك المحبة الأولى، ربما يكون لونًا من الفتور الروحي. وقد اعتبره الرب سقوطًا. فقال له: "اذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ" (رؤ٢: ٥).

مثال ذلك: إنســـان حينما يبدأ علاقته مع الله، يكون ملتهبًا بالنار. الحرارة في صلواته، وفي خدمته، وفي محبته لله. بحماس شديد، يدقق في حياته الروحية. يتحمس جدًا في ممارسة كل وسائط النعمة، من صلوات ومزامير وألحان، وتأمل وخدمة. عيناه

مملوءة بالدموع، وصــلواته ممزوجة بالخشــوع، وقلبه عامر بالحب، وكلماته كلها ذات تأثير عجيب في نفوس سامعيه.

ثم يأتي وقت تبرد فيه حرارته، وتتحول صــلواته إلى روتين، وتتحول خدمته إلى مجرد نشاط!! ويفقد محبته الأولى...!

✠ ✠ ✠

هذا الفتور يعتبر سقوطًا ويحتاج إلى توبة.

وإذ بالكتاب المقدس قد تحول إلى معلومات في فكره، وليس إلى مشـــاعر في قلبه، ولا إلى مناخس في ضميره!

وبعد أن كان يذهب إلى الكنيسـة في فرح وهو يرتل: "فَرِحْتُ بِالْقَائِلِينَ لِي: إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ نَذْهَبُ" (مز ١٢٢: ١). وبعد أن كان يدخل إلى بيت الرب في انسحاق قلب وهو يقول للرب: "أَمَّا أَنَا فَبِكَثْرَةِ رَحْمَتِكَ أَدْخُلُ بَيْتَكَ، وَأَسْجُدُ قُدَّام هَيْكَلِ قُدْسِكَ بمَخَافَتكَ" (مز ٥: ٧). أصبح يدخل كمجرد عادة، بلا مشاعر!

يدخل إلى بيت الله لا حبًا ولا فرحًا، ولا رغبة في نوال بركة روحية ونعمة. إنما خوفًا من مجرد البعد عن الكنيسة، لئلا يكون عثرة للآخرين.

أُذكر مِن أيْن سَقطت وَتُب مَنْ له أذن للسَمع... مَنْ يغلب

قال الرب في تكملة الرسالة إلى ملاك كنيسة أفسس:

"فَاذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَـــقَطْتَ وَتُبْ، وَاعْمَلِ الأَعْمَالَ الأُولَى، وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ عَنْ قَرِيبٍ وَأُزَحْزِحُ مَنَارَتَكَ مِنْ مَكَانِهَا، إِنْ لَمْ تَتُبْ.

وَلكِنْ عِنْدَكَ هذَا: أَنَّكَ تُبْغِضُ أَعْمَالَ النُّقُولاَوِيِّينَ الَّتِي أُبْغِضُهَا أَنَا أَيْضًا.

مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ.

مَنْ يَغْلِبُ فَسَـأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَـجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَـطِ فِرْدَوْسِ اللهِ" (رؤ٢: ٥– ٧).

✠ ✠ ✠

ها هي ذي الدعوة إلى التوبة توجه حتى إلى ملاك الكنيسة!

الكل معرض للســـقوط. وما دام قد ســـقط، إذًا فهو محتاج إلى توبة. وإن لم يتب، تتزحزح منارته من مكانها.

مقدونيوس بطريرك القســـطنطينية، مركز هذه الكنائس الســـبع، ســـقط في الهرطقة، وحكم عليه المجمع المسكوني الثاني سنة ٣٨١م. وأيضًا نسطور بطريرك نفس الكنيسة، وقع أيضًا في هرطقة. وإذ لم يتب حكم عليه المجمع المسكوني الثالث المنعقد في أفسس سنة ٤٣١م. ونفس الوضع بالنسبة إلى أساقفة من رعاة الكنائس. وأيضًا بالنسبة إلى القسوس الذين كانوا ملائكة لكنائسهم.

✠ ✠ ✠

إذًا فليحترس الكل، متذكرين عبارة "اذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ".

بل هذه العبارة موجهة أيضًـــا إلى كل فرد، إلى كل نفس... إن الله يفتح باب التوبة لكل من سقط. وكذلك: "أَعْطَى اللهُ الأُمَمَ أَيْضًا التَّوْبَةَ لِلْحَيَاةِ" (أع١١: ١٨). منح التوبة للكل، وقال: "إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ" (لو١٣: ٣، ٥).

وهنا لم يذكر السقطة والهلاك، بل السقطة والتوبة.

فقال: "اذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ". ابحث عن الأسباب التي أوصلتك إلى ما أنت فيه. الأســـباب التي جعلتك تترك محبتك الأولى. الأســـباب التي جعلت الفتور يدخل إلى حياتك ويفقدك حرارتك. اِبحث ماذا كانت نقطة التحول في حياتك؟ ما هي المشاعر والعواطف التي غيرتك؟ ما هي الصلات والصداقات التي أثرت عليك؟ وما هي المشاكل الجديدة التي شغلتك عن الله؟

كل إنسان له أسبابه الخاصة في الفتور وفي السقوط.

لذلك فإن أب الاعتراف لا يعطي علاجًا واحدًا للكل. إنما يبحث مع كل خاطئ معترف: من أين سقط، لكي يتوب.

✠ ✠ ✠

تذكّر محبتك الأولى، فإن هذا يساعدك على القيام من سقطتك.

أنت تركت محبتك الأولى. فماذا كانت محبتك الأولى؟ كيف كنت تحيا في تلك الأيام مع الله؟ ماذا كانت صلتك القلبية معه في تلك الأيام الحلوة. ارجع إلى نوتة تأملاتك وقتذاك، وإلى أجبيتك وكتابك المقدس، وما فيهما من تخطيطات وملاحظاتك.

حينئذ تجد مشاعرك الأولى قد عادت إليك، وأصبحت تشتاق إلى تلك الأيام، وتصـــرخ إلى الله قائلًا: ارجعني يا رب إليك "توبني فأتوب" (إر٣١: ١٨). "يا الذي بارك في ذلك الزمان، الآن أيضًا بارك". اسكب محبتك في قلبي، بروحك القدوس.

✠ ✠ ✠

يقول الرب: "اذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ". وماذا أيضًا؟

"وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ عَنْ قَرِيبٍ وَأُزَحْزِحُ مَنَارَتَكَ مِنْ مَكَانِهَا".

ارجع إلى محبتك الأولى: "وَاعْمَلِ الأَعْمَالَ الأُولَى" (رؤ٢: ٥). لأن المحبة

ليست مجرد مشاعر مبهمة، أو مجرد كلام. بل كما يقول الرسول: "لاَ نُحِبَّ بِالْكَلاَمِ وَلاَ بِاللِّسَانِ، بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ" (١يو٣: ١٨).

إذًا، ارجع إلى محبتك التي تظهر في أعمالك الأولى، أو ارجع إلى أعمالك الأولى التي تدل على محبتك. وإلا...

ما أصعب كلمة "وَإِلاَّ..."! معناها إن الله يبدأ في العقوبة. وكما يقول القديس بولس الرسول: "هُوَذَا لُطْفُ اللهِ وَصَرَامَتُهُ: أَمَّا الصَّرَامَةُ فَعَلَى الَّذِينَ سَقَطُوا، وَأَمَّا اللُّطْفُ فَلَكَ، إِنْ ثَبَتَّ فِي اللُّطْفِ، وَإِلاَّ فَأَنْتَ أَيْضًا سَتُقْطَعُ" (رو١١: ٢٢). ويستخدم عبارة "وَإِلاَّ...".

✠ ✠ ✠

إنها حاليًا فترة مقدمة للتوبة، بطول أناة الله وإلا...

أنت تركت محبتك الأولى، وتركت أعمالك الأولى، وسقطت والله صابر عليك حتى الآن، لكيما ترجع إليه. فهل سترجع؟! "أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟" (رو٢: ٤).

فاعلم إذًا أن طول أناة الله، ليس معناها تنازلًا دائمًا منه عما ينبغي لك أن تفعله!! وكما يقول عن إيزابل الخاطئة: "وَأَعْطَيْتُهَا زَمَانًا لِكَيْ تَتُوبَ عَنْ زِنَاهَا وَلَمْ تَتُبْ" (رؤ٢: ٢١). وبعدها يقول: "أَنِّي أَنَا هُوَ الْفَاحِصُ الْكُلَى وَالْقُلُوبِ، وَسَأُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ" (رؤ٢: ٢٣).

الآن "اذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ، وَاعْمَلِ الأَعْمَالَ الأُولَى". فإن أهملت هذه الفرصة وهذا الإنذار، فانتظر ما يأتي عليك.

✠ ✠ ✠

وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ عَنْ قَرِيبٍ وَأُزَحْزِحُ مَنَارَتَكَ مِنْ مَكَانِهَا.

ولعل قائلًا يقول: لقد أخطأ هذا الراعي وترك محبته الأولى، واستوجب عقوبة. ولكن ما ذنب منارته حتى تُزحزح من مكانها؟!

ألا يذكرنا هذا عندما ضرب الله الشعب بسبب خطيئة داود. فقال داود للرب: "هَا أَنَا أَخْطَأْتُ، وَأَنَا أَذْنَبْتُ، وَأَمَّا هؤُلاَءِ الْخِرَافُ فَمَاذَا فَعَلُوا؟ فَلْتَكُنْ يَدُكَ عَلَيَّ وَعَلَى بَيْتِ أَبِي" (٢صم٢٤: ١٧).

هنا ونذكر الصـــلاة التى يقولها الأب الكاهن قرب نهاية القداس الإلهي: "من أجل خطاياي ونجاسات قلبي، لا تمنع شعبك نعمة روحك القدوس".

ولكن واضح أن الرعية تتأثر بخطية الراعي، كقول الكتاب:

"أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ الرَّعِيَّةِ" (مت٢٦: ٣١).

حقًا حينما يضـــيع الراعي، تضـــيع معه الرعية. بفتوره يفتر الشـــعب معه، وبســـقوطه تضـــل جماهير كثيرة. لذلك فإن دينونة الراعي رهيبة أمام الله. هوذا الرب يقول له: "أزحزح منارتك من مكانها، إن لم تتب"...

✠ ✠ ✠

آه أيها السيد الرب، لقد زحزت منارة أفسس من مكانها...

أين كنيسة أفسس الآن في خريطة آسيا الصغرى؟! لقد ضاعت.

لم تُبقِ الدولة العثمانية منها شـيئًا مع بعض من باقي المنارات السـبع أيضًـا. كلها تزحزحت من مكانها...

لهذا يريد منا الله أن تكون منارتنا مضيئة باستمرار. يرى الناس نورها، فيمجدوا الآب الذي في الســـموات (مت٥: ١٦). وقد أمرنا بقوله: "لِتَكُنْ... سُـــرُجُكُمْ مُوقَدَةً" (لو١٢: ٣٥).

كم من كنائس اختفت بسبب أخطاء رعاتها!

✠ ✠ ✠

على أن السيد الرب بعد أن شرح لملاك كنيسة أفسس أخطاءه، لم يشأ أن ينهي رسالته إليه بالعقوبة. ما أعمق حنوه!

قال له: إنك تركت محبتك الأولى، وإنك سقطت، وتحتاج إلى توبة، وإنك معرض لأن تزحزح منارتك من مكانها إن لم تتب. ومع كل هذا، ذكر له بعد ذلك شيئًا فاضلًا عنده. فما هو؟

قال له: "عِنْدَكَ هذَا: أَنَّكَ تُبْغِضُ أَعْمَالَ النُّقُولاَوِيِّينَ الَّتِي أُبْغِضُهَا أَنَا" (رؤ٢: ٦).

أي أنه من فضائله أنه يكره البدع الموجودة في أيامه.

أما النيقولاويين فهم أتباع نيقولاوس. ويُقال إنه واحد من الشمامسة السبعة الذين اختيروا أيام الآباء الرسل (أع٦: ٥) وكان دخيلًا أنطاكيًا، ووقع في بدعة انتشرت، وتبعه فيها قوم تسموا باسم النيقولاويين. وقد وقف أسقف كنيسة أفسس ضدهم.

وذكر له الرب هذه الغيرة في الدفاع عن الإيمان ضد البدع، على الرغم من سقوطه واحتياجه إلى التوبة. يقول بعدها:

✠ ✠ ✠

"مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ" (رؤ٢: ٧).

وقد كرر الرب هذه العبارة، في كل رسالة من رسائله إلى ملائكة الكنائس السبع (رؤ٢: ١١، ١٧، ٢٩) (رؤ٣: ٦، ١٣، ٢٢).

ولعل هذا يعني أن التعليم موجه إلى كل الكنائس، وليت الكل يميلون آذانهم للسمع.

ذلك لأن هناك أشخاصًا لهم آذان ولكنها لا تسمع (مت١٣: ١٣، ١٥).

أهل سادوم كانت لهم آذان لا تسمع. ولذلك عندما سمعوا إنذار لوط لهم، قيل عنه إنه "فَكَانَ كَمَازِحٍ فِي أَعْيُنِ أَصْهَارِهِ" (تك١٩: ١٤). وبالمثل كان فلاسفة أثينا، حينما سمعوا تبشير القديس بولس الرسول، فقالوا: "تُرَى مَاذَا يُرِيدُ هذَا الْمِهْذَارُ أَنْ يَقُولَ؟" (أع١٧: ١٨).

وهكذا كانت آذان الكتبة والفريسيين بالنسبة إلى تعليم المسيح.

✠ ✠ ✠

على العكس كان رسل السيد المسيح الذين قال لهم:

أما أنتم "طُوبَى... لآذَانِكُمْ لأَنَّهَا تَسْمَعُ" (مت١٣: ١٦).

هذه الآذان التي تسمع، لما سمع بها الرسولان قول الرب: "هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمَا صَيَّادَيِ النَّاسِ. فَلِلْوَقْتِ تَرَكَا الشِّبَاكَ وَتَبِعَاهُ" (مت٤: ١٩، ٢٠). واثنان آخران لما سمعاه: "فَلِلْوَقْتِ تَرَكَا السَّفِينَةَ وَأَبَاهُمَا وَتَبِعَاهُ" (مت٤: ٢٢).

شاول الطرسوسي أيضًا كانت له أذن تسمع. فلما كلمه الرب، قال: "يَا رَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟" (أع٩: ٦). واستجاب للفور.

يذكرنا هذا أيضًا باليهود في يوم الخمسين، لما سمعوا عظة القديس بطرس، يقول الكتاب: "فَلَمَّا سَمِعُوا نُخِسُوا فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَالُوا لِبُطْرُسَ وَلِسَائِرِ الرُّسُلِ: مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ؟" "فَقَبِلُوا كَلاَمَهُ بِفَرَحٍ، وَاعْتَمَدُوا، وَانْضَمَّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ نَفْسٍ" (أع٢: ٣٧، ٤١). آذانهم سمعت وقبلت ما يقوله الروح للكنائس.

وما يقوله الروح للكنائس، يصل إليك بأنواع وطرق شتى:

يصل إليك عن طريق الكتاب المقدس، وعن طريق أقوال الآباء القديسين معلمي البيعة، وربما عن طريق عظة مؤثرة من شخص فيه روح الله.

وربما عن طريق حادثة معينة أو وفاة إنسان ما، كما حدث مع القديس العظيم الأنبا أنطونيوس. المهم أن نستجيب للصوت.

إن الله يحاسبنا عن كل صوت سمعناه. ويحاسبنا عن رفض السماع.

✠ ✠ ✠

قال الرب بعد هذا لملاك كنيسة أفسس:

"مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ..." (رؤ٢: ٧).

عبارة "مَنْ يَغْلِبُ" وردت في باقي الرسائل إلى ملائكة الكنائس السبع (رؤ٢: ١١، ١٧، ٢٦) (رؤ٣: ٥، ١٢، ٢١). مع مكافأة معينة تختلف من شخص لآخر.

إن حياتنا على الأرض هي فترة اختبار لنا. وهي فترة جهاد وصراع مع المادة

والجسد والشيطان. هي مصارعة – كما يقول الرسول – "مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ" (أف٦: ١٢). ويلزمنا أن نطفئ "جَمِيعَ سِهَامِ الشِّرِّيرِ الْمُلْتَهِبَةِ" (أف٦: ١٦).

وهذا الصراع ليس سهلًا. فالقديس بطرس الرسول يقول: "اُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ. فَقَاوِمُوهُ، رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ" (١بط٥: ٨، ٩). والسماء ترقب صراعنا هذا، وتشجعنا، وتفرح بمن يغلب (لو١٥: ٧). وتعدّ لنا الأكاليل والمكافأة الإلهية. فما هي المكافأة؟

✠ ✠ ✠

يقول الرب: "أُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ اللهِ" (رؤ٢: ٧).

وشجرة الحياة ليست شجرة مادية. والأكل ليس ماديًا.

وكما يقول الكتاب إن "لَيْسَ مَلَكُوتُ اللهِ أَكْلاً وَشُرْبًا" (رو١٤: ١٧). كما أننا في الملكوت، سوف لا تكون لنا أجساد مادية، بل أجساد روحانية (١كو١٥: ٤٤، ٥٠). إذًا الأكل من شجرة الحياة، يعني الغذاء الروحي لنا. فسوف نتغذى بالحياة الحقيقية في الفردوس.

والبعض يقول إن شجرة الحياة هي السيد المسيح نفسه. وإننا سوف نتغذى بالحياة معه، كما يقول بولس الرسول: "لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ" (في١: ٢١).

والغذاء به يذكرنا بقول داود النبي: "ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ!" (مز٣٤: ٨). والمسيح هو خبز الحياة (يو٦: ٤٨).

✠ ✠ ✠

وفردوس الله، ليس هو الجنة القديمة. ولا شجرة الحياة هي تلك الشجرة التي كانت في وسط الجنة (تك٢: ٩).

والقديس بولس الرسول يحكي لنا عن الفردوس الذي هو السماء الثالثة التي اُختطف إليها (٢كو١٢: ٢، ٤). فشجرة الحياة إذًا تؤخذ بمعنى رمزي، هذه التي حُرمنا

منها بســـبب الخطية الأولى (تك٣: ٢٤). ونكافأ بها في العالم الآخر، بعد أن نلنا الحياة بالفداء. وهي في وسط الفردوس أي أنها في مركزه وفي عمقه.

أُكتب إلىَ مَلاك كَنيسَة سميرنَا

قال الرب للقديس يوحنا الرائي:

"اكْتُبْ إِلَى مَلاَكِ كَنِيسَـــةِ سِـــمِيرْنَا: هذَا يَقُولُهُ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، الَّذِي كَانَ مَيْتًا فَعَاشَ: أَنَا أَعْرِفُ أَعْمَالَكَ وَضِـيْقَتَكَ وَفَقْرَكَ مَعَ أَنَّكَ غَنِيٌّ. وَتَجْدِيفَ الْقَائِلِينَ: إِنَّهُمْ يَهُودٌ وَلَيْسُـوا يَهُودًا، بَلْ هُمْ مَجْمَعُ الشَّـيْطَانِ. لاَ تَخَفِ الْبَتَّةَ مِمَّا أَنْتَ عَتِيدٌ أَنْ تَتَأَلَّمَ بِهِ. هُوَذَا إِبْلِيسُ مُزْمِعٌ أَنْ يُلْقِيَ بَعْضًـا مِنْكُمْ فِي السِّـجْنِ لِكَيْ تُجَرَّبُوا، وَيَكُونَ لَكُمْ ضِـيْقٌ عَشَـرَةَ أَيَّامٍ. كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَـأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ. مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْـمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ. مَنْ يَغْلِبُ فَلاَ يُؤْذِيهِ الْمَوْتُ الثَّانِي" (رؤ٢: ٨– ١١).

✠ ✠ ✠

مدينة سـميرنا هي مدينة أزمير في آسـيا الصـغرى. وكان أسـقفها القديس بوليكاربوس أحد الآباء الرسـوليين، تلميذ القديس يوحنا الحبيب. وقد اسـتشـهد وهو شيخ كبير السن. وقد حاولوا أن يغروه لكي يترك السيد المسيح، فرفض وقال إنه عاش في عشرة المسيح أكثر من ثمانين سنة، ولم يرَ منه شيئًا رديًا، فكيف يتركه؟!

وقد نال القديس بوليكاربوس إكليل الشـــهادة. وغالبًا كان هو ملاك كنيســـة سميرنا وقت كتابة سفر الرؤيا.

✠ ✠ ✠

وكلمة سميرنا تعني المرّ. وهي ترمز إلى الألم وإلى الاضطهاد.

والرســالة إلى ســميرنا تعني بالدرجة الأولى فترة الاضــطهاد الذي وقع على المسـيحية. وعبارة (عشـرة أيام) تعني عشـرة عهود لأباطرة عشـرة من أيام نيرون إلى قسـطنطين حيث قاسـى المسـيحيون اضـطهادًا وعذابًا مرًا. وكلمة يوم هنا لا تعني المعنى الحرفي، إنما تعني عهدًا. وعشرة أيام تعني عشرة عهودًا.

بدأت الرسائل السبع بالرسالة إلى أفسس التي تعني المحبوبة، ثم إلى سميرنا التي تمثل الكنيســـة في آلامها وعذاباتها. وهذا تدرج منطقي، لأن العلاقة مع الله تبدأ بالحب.

ثم يرينا الله كم ينبغي أن نتألم من أجل اسمه (أع٩: ١٦).

✠ ✠ ✠

نلاحظ أن لقب المسيح في هذه الرسالة له معنى مناسب:

فبالنســبة إلى ملاك كنيســة أفســس الذي ترك محبته الأولى، وكان يلزمه أن يعرف من أين سقط ويتوب. استخدم الرب لقب: "الْمُمْسِكُ السَّبْعَةَ الْكَوَاكِبَ فِي يَمِينِهِ" (رؤ٢: ١) ليشجعه بأنه في يمين الرب مهما ترك محبته الأولى.

أما بالنسبة إلى ملاك كنيسة سميرنا المعرض للاضطهاد والألم والموت، فقد استخدم الرب لنفسه لقب "**الأَوَّلُ وَالآخِرُ، الَّذِي كَانَ مَيْتًا فَعَاشَ**" (رؤ٢: ٨) لكي يذكّره بأنه حتى لو مات في الاضطهاد، فسوف يعيش بعد ذلك كما حدث للسيد المسيح في قيامته "**إذ كان ميتًا فعاش**".

وكأنه يقول لكنيســـة ســـميرنا وكل من في ظروفها: "كما أنني قهرت الموت، وكنت ميتًا فقمت، فسوف تقومون معى أنتم أيضًا إن متّم في الاضطهاد.

يذكرنا هذا بقوله لمرثا أخت لعازر الذي مات: "مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا" (يو١١: ٢٥). وفعلًا أقامه من الموت...

✠ ✠ ✠

الرسالة إلى سميرنا هي رسالة التشجيع في الضيقة والألم والاضطهاد.

إن الســـيد الرب لا يخفي على أولاده وتلاميذه أنه: "فِي الْعَالَمِ سَـــيَكُونُ لَكُمْ ضِـــيقٌ" (يو١٦: ٣٣). بل قال لهم: "تَأْتِي سَـــاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً للهِ" (يو١٦: ٢).

وهنا في الرسالة إلى ملاك كنيسة سميرنا، يقول له: "لاَ تَخَفِ الْبَتَّةَ مِمَّا أَنْتَ عَتِيدٌ أَنْ تَتَأَلَّمَ بِهِ"، "لَكُمْ ضِيْقٌ عَشَرَةَ أَيَّامٍ، إِبْلِيسُ مُزْمِعٌ أَنْ يُلْقِيَ بَعْضًا مِنْكُمْ فِي السِّجْنِ". ومع كل ذلك عبارة "لا تخف".

والرب في هذه الرسالة يرى أنه أمام هذه الكنيسة ثلاثة أعداء: اليهود، والأباطرة العشرة، وإبليس. ويطمئن ملاك هذه الكنيسة بقوله: "أَنَا أَعْرِفُ أَعْمَالَكَ وَضِيْقَتَكَ وَفَقْرَكَ".

✠ ✠ ✠

ويقول عن العدو الأول للكنيسة: اليهود:

"وَتَجْدِيفَ الْقَائِلِينَ: إِنَّهُمْ يَهُودٌ وَلَيْسُوا يَهُودًا، بَلْ هُمْ مَجْمَعُ الشَّيْطَانِ" (رؤ٢: ٩). فكما أن اليهود اضطهدوا السيد نفسه. كذلك اضطهدوا رسله القديسين. وقيل من جهة بطرس ويوحنا الرسولين: "وَبَيْنَمَا هُمَا يُخَاطِبَانِ الشَّعْبَ، أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا الْكَهَنَةُ وَقَائِدُ جُنْدِ الْهَيْكَلِ وَالصَّدُّوقِيُّونَ، مُتَضَجِّرِينَ مِنْ تَعْلِيمِهِمَا الشَّعْبَ... فَأَلْقَوْا عَلَيْهِمَا الأَيَادِيَ وَوَضَعُوهُمَا فِي حَبْسٍ إِلَى الْغَدِ" (أع٤: ١، ٢). وبالنسبة إلى باقي الرسل: "جَعَلُوا يَتَشَاوَرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُمْ" "وَجَلَدُوهُمْ، وَأَوْصَوْهُمْ أَنْ لاَ يَتَكَلَّمُوا بِاسْمِ يَسُوعَ" (أع٥: ٣٣، ٤٠).

هؤلاء هم اليهود الذين كانوا يهيجون الحكام ضد الرسل وضد المسيحيين. والذين أكثر من أربعين رجلًا منهم حرموا أنفسهم أن لا يأكلوا ولا يشربوا شيئًا حتى يقتلوا القديس بولس الرسول (أع٢٣: ١٤، ٢١).

✠ ✠ ✠

ما المقصود بعبارة "تَجْدِيفَ الْقَائِلِينَ: إِنَّهُمْ يَهُودٌ وَلَيْسُوا يَهُودًا، بَلْ هُمْ مَجْمَعُ الشَّيْطَانِ" (رؤ٢: ٩)؟

هم القائلون إنهم شعب الله المختار، وليسوا هم شعب الله ولا هم مختارون منه، بل يقاومون مشيئة الله وشعبه المسيحيين. هم القائلون إنهم أبناء إبراهيم ويفتخرون بانتسابهم له. وليسوا هم كذلك لأنهم كما قال لهم الرب من قبل: "لَوْ كُنْتُمْ

أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ!" "أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ" (يو٨: ٣٩، ٤٤).

من أجل هذا دعاهم الرب "مَجْمَعُ الشَّيْطَانِ" لأنهم صاروا من أعوان الشيطان وجنده ينفذون مشيئته. وهكذا أصبح كل منهم شيطانًا، وهم في اجتماعهم معًا على الشر مجمع شياطين.

✠ ✠ ✠

أما عن تجديفهم فهو كثير...

هم الذين جدفوا على السيد المسيح، وقالوا عنه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين، وأنه كاسر للسبت وناقض للشريعة، وأن به شيطانًا قائلين له: "إِنَّكَ سَامِرِيٌّ وَبِكَ شَيْطَانٌ" (يو٨: ٤٨، ٥٢). وقالوا إنه ضال ومضل ومستحق للموت. بل قال رئيس كهنتهم في محاكمته: "قَدْ جَدَّفَ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟!" (مت٢٦: ٦٥).

وما أكثر التجاديف الأخرى التي نادوا بها.

✠ ✠ ✠

إن الرب يطمئن هذا الملاك (الراعي) بأنه يعرف ضيقته، فيقول له:

"أَنَا أَعْرِفُ أَعْمَالَكَ وَضِيْقَتَكَ وَفَقْرَكَ مَعَ أَنَّكَ غَنِيٌّ. وَتَجْدِيفَ الْقَائِلِينَ: إِنَّهُمْ يَهُودٌ" (رؤ٢: ٩). وكان ملاك هذه الكنيسة يقول في قلبه: يكفي أن الرب يعرف ما أنا فيه من ضيق. ولا شك أنه سيتصرف حسب كثرة تحننه وعمق رعايته. ولا حاجة لي أن أشكو أو أن أطلب. أو أن أصرخ مع داود النبي: "يَا رَبُّ لمَاذَا كَثُرَ الَّذِينَ يُحْزِنُونَنِي. كَثِيرُونَ قَامُوا عَلَيَّ" (مز٣: ١). يكفي أنه يعرف. فلأكن أنا مطمئنًا.

إن الرب يعرف عمله، ويعرف ضيقته، ويعرف فقره مع أنه غني. وكأنه يقول مع القديس بولس الرسول: "خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ، وَأُوجَدَ فِيهِ" (في٣: ٨).

ومع أنه من أجل الرب صـــار فقيرًا، لعله أيضًـــا يرتل مع نفس الرســـول وجماعته: "كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ، كَأَنْ لاَ شَـــيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَـــيْءٍ" (٢كو٦: ١٠).

✠ ✠ ✠

الرب يطمئنه بأنه يعرف ضيقته، ثم يقول له:

"لاَ تَخَفِ الْبَتَّةَ مِمَّا أَنْتَ عَتِيدٌ أَنْ تَتَأَلَّمَ بِهِ" (رؤ٢: ١٠)

الله لا يمنع الألم عن أولاده، ولا يمنع التجارب ولا الضـــيقات. ولا المؤمرات. ولكنه في كل ذلك يقول عبارة: "لا تخف". ســـوف تأتي الضـــيقة. ولكن أنا ســـأكون معكم، كما كنت مع الثلاثة فتية في أتون النار. لذلك تشـــدد وتشـــجع، ولا تخف: "فَيُحَارِبُونَكَ وَلاَ يَقْدِرُونَ عَلَيْكَ، لأَنِّي أَنَا مَعَكَ، يَقُولُ الرَّبُّ، لأُنْقِذَكَ" (إر١: ١٩). "يَسْقطُ عَنْ يَسارِكَ أُلوفٌ وعَنْ يَمينكَ رِبْواتٌ، وأمّا أنْتَ فَلا يقْتَربُ إليْكَ الشَّرُّ. بَلْ بِعَيْنيْكَ تَتَأَمَّلُ ومُجازاةُ الخُطاةِ تُبْصرُ" (مز٩١: ٧، ٨).

إن المسيحية ديانة شجاعة وجرأة، وأيضًا ديانة رجاء في عمل الله معك، وفي وعده المشجع "لاَ تَخَفِ".

ليتكم تتبعون عبارة "لاَ تَخَفِ" في الكتاب المقدس.

ما أجمل قول داود النبي في المزمور: "إِنْ يُحارِبَنِي جَيشٌ فلَنْ يَخافَ قَلْبي. وَإِنْ قامَ عَليَّ قِتالٌ فَفي هَذا أنَا أطْمَئنُّ" (مز٢٧: ٣).

"لاَ تَخَفِ الْبَتَّةَ مِمَّا أَنْتَ عَتِيدٌ أَنْ تَتَأَلَّمَ بِهِ". (رؤ٢: ١٠) ومثال ذلك:

"**هُوَذَا إِبْلِيسُ مُزْمِعٌ أَنْ يُلْقِيَ بَعْضًا مِنْكُمْ فِي السِّجْنِ لِكَيْ تُجَرَّبُوا، وَيَكُونَ لَكُمْ ضِيْقٌ عَشَرَةَ أَيَّامٍ**" (رؤ٢: ١٠). لم يقل: هوذا الإمبراطور أو الأمير أو الوالي، سيلقي بعضًا منكم في السجن. بل قال: "هُوَذَا إِبْلِيسُ...".

إبليس هو المحرض. وحربنا معه، وليس مع البشـــر. كما قال القديس بولس الرســـول: "فَإِنَّ مُصَـــارَعَتَنَا لَيْسَـــتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ... مَعَ أَجْنَادِ الشَّـــرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّـــمَاوِيَّاتِ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ احْمِلُوا سِـــلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ

الشِّرِّيرِ" (أف٦: ١٢، ١٣). وكما قال القديس بطرس الرسول: "إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ. فَقَاوِمُوهُ، رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ" (١بط٥: ٨، ٩).

✠ ✠ ✠

الرسالة إلى سميرنا هي رسالة إلى الذين يضطهدهم إبليس، سواء في الناحية الإيمانية، أو في حياتهم السلوكية الشخصية.

هؤلاء يشجعهم الرب حتى لا ييأسوا، وإنما يكونون أمناء حتى الموت وإن كان رقم (عشرة أيام) هنا يشير إلى عهود الأباطرة العشرة الذين قاموا باضطهاد المسيحية قبل قسطنطين. فمن الناحية الرمزية يشير هنا إلى كمال الأيام. أي إلى أي مدى زمني مهما طال.

فعلى الإنسان أن يقاوم حروب إبليس كما قال الرب:

"كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ" (رؤ٢: ١٠).

من جهة الإيمان عبارة "إِلَى الْمَوْتِ" تعني الأمانة إلى حد الاستشهاد. ومن جهة الأمانة في السلوك الروحي، فقد وبخ القديس بولس الرسول الخطاة من العبرانيين قائلًا: "لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ" (عب١٢: ٤). هنا تظهر الأمانة الكاملة.

ومن الناحية العكسية يكون الاستسلام للخطية وعدم مقاومة إبليس، هو لون من خيانتنا لله، الذي ائتمننا على أن نكون هياكل لروحه القدوس (١كو٣: ١٦).

✠ ✠ ✠

نكون أمناء لله إلى آخر رمق من إرادتنا وعزيمتنا، وإلى آخر رمق من جهادنا الروحي.

وفي كل ذلك نكون معتمدين على الله الذي يعمل فينا، ويعمل معنا، من أجلنا... ولا تكون أمانتنا حتى الموت مجرد عمل بشري وإنما شركة مع الروح القدس (٢كو١٣: ١٤) واستجابة لعمله الإلهي فينا.

مرتلين مع المزمور: "لَوْلا أَنَّ الرَّبَّ كان مَعنا عِنْدَما قامَ النّاسُ عَلَيْنا. لابْتَلَعونا ونَحْنُ أَحْياء" "نَجَتْ أَنْفُسُنا مِثْلَ العُصْفورِ مِنْ فَخِّ الصَّيّادينَ، الفَخُّ انْكَسَرَ ونَحْنُ نَجَوْنا. عَوْنُنا بِاسْمِ الرَّبِّ، الَّذي صَنَعَ السَّماءَ والأَرْضَ" (مز ١٢٤: ٢، ٣؛ ٧، ٨).

✠ ✠ ✠

وفي كل ذلك لا نيأس، مهما جُرحنا في حرب، ومهما سقطنا في خطية.

ففي الحروب الروحية من كل نوع، نقول: "الْحَرْبَ لِلرَّبِّ" (١صـــم١٧: ٤٧). وفي حالة السقوط لا نيأس. بل نقول مع النبي: "لاَ تَشْمَتِي بِي يَا عَدُوَّتِي، إِذَا سَقَطْتُ أَقُومُ" (مي٧: ٨) و"الصِّدِّيقَ يَسْقُطُ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَيَقُومُ" (أم٢٤: ١٦).

وبالإيمان نحيا في الرجاء. ويذكرني هذا بقصـــة ذلك الفنان الذي تقطعت كل أوتار قيثارته، ولم يبق فيها ســوى وتر واحد، فأكمل عزفه بهذا الوتر الواحد، في لوحة فنية ترمز إلى الرجاء.

"كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ" (رؤ٢: ١٠).

ففي ساعة التجربة، تذكّر هذا الإكليل الذي ينتظرك. وتمسك به واحرص على أن تناله. وإكليل الحياة يعني الحياة الأبدية، التي تحيا فيها مع الله وقديســيه في النعيم الأبدي.

✠ ✠ ✠

يختم الرب رســالته إلى هذا الراعي بقوله: "مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْـمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ". فماذا يقول للكنائس؟ إنه يقول: **"مَنْ يَغْلِبُ فَلاَ يُؤْذِيهِ الْمَوْتُ الثَّانِي"** (رؤ٢: ١١).

الموت الأول هو موت الجسد، بانفصال الروح عن الجسد.

أما الموت الثاني فهو الموت الأبدي بانفصـــال الروح عن الله. وبه يلقى الإنســان **"فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ"** (رؤ٢١: ٨). أما الذي يغلب فلا قدرة لهذا الموت الثاني عليه.

الموت الأول يقوم منه الإنســـان بالقيامة في اليوم الأخير. أما الموت الثاني فهو المرعب، ولا ينجو منه إلا الغالبون.

اكتب إلـىَ مـَلاك كَنيسَة برغَامُوس

قال السيد الرب للقديس يوحنا الرائي:

"اكْتُبْ إِلَى مَلاَكِ الْكَنِيسَـــةِ الَّتِي فِي بَرْغَامُسَ: هذَا يَقُولُهُ الَّذِي لَهُ السَّـــيْفُ الْمَاضِـــي ذُو الْحَدَّيْنِ: أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ، وَأَيْنَ تَسْـكُنُ حَيْثُ كُرْسِـــيُّ الشَّـيْطَانِ، وَأَنْتَ مُتَمَسِّكٌ بِاسْمِي، وَلَمْ تُنْكِرْ إِيمَانِي حَتَّى فِي الأَيَّامِ الَّتِي فِيهَا كَانَ أَنْتِيبَاسُ شَهِيدِي الأَمِينُ الَّذِي قُتِلَ عِنْدَكُمْ حَيْثُ الشَّيْطَانُ يَسْكُنُ. وَلكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ قَلِيلٌ: أَنَّ عِنْدَكَ هُنَاكَ قَوْمًا مُتَمَسِّـــكِينَ بِتَعْلِيمِ بَلْعَامَ، الَّذِي كَانَ يُعَلِّمُ بَالاَقَ أَنْ يُلْقِيَ مَعْثَرَةً أَمَامَ بَنِي إِسْـــرَائِيلَ: أَنْ يَأْكُلُوا مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ، وَيَزْنُوا. هكَذَا عِنْدَكَ أَنْتَ أَيْضًـا قَوْمٌ مُتَمَسِّكُونَ بِتَعْلِيمِ النُّقُولاَوِيِّينَ الَّذِي أُبْغِضُهُ. فَتُبْ وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ سَرِيعًا وَأُحَارِبُهُمْ بِسَيْفِ فَمِي. مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ. مَنْ يَغْلِبُ فَسَـأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنَ الْمَنِّ الْمُخْفَى، وَأُعْطِيهِ حَصَـاةً بَيْضَـاءَ، وَعَلَى الْحَصَـاةِ اسْمٌ جَدِيدٌ مَكْتُوبٌ لاَ يَعْرِفُهُ أَحَدٌ غَيْرُ الَّذِي يَأْخُذُ" (رؤ٢: ١٢-١٧).

✠ ✠ ✠

"اكْتُبْ إِلَى مَلاَكِ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَرْغَامُسَ".

وكلمة "برغاموس" معناها الزواج أو الاقتران. وإذا أخذنا هذه الكنيسة بطريقة التتابع التاريخي، فهي إذًا تشير إلى عصر اقتران الكنيسة والدولة.

وذلك من بداية سنة ٣١٣م حينما أصدر قسطنطين الملك مرسوم ميلان الذي يســـمح بالحرية الدينية، وبمقتضـــاه انتهت فترة الاضـــطهاد الديني، التي فيها كان المسيحيون يعذبون ويسجنون ويقتلون بسبب تمسكهم بدينهم. وأصبحوا أحرارًا من جهة عبادتهم...

بل أن قسطنطين الملك نفسه صار مسيحيًا، والدولة الرومانية صارت دولة مسيحية. وهكذا اِقترنت الدولة والمسيحية معًا.

الكنيسة استراحت من الاضطهاد الديني بمرسوم ميلان. ولكن الراحة قادت إلى ضرر من نوع آخر. وكان عهد "سميرنا" في الألم أفضل.

حينما كانت الكنيسة في آلام ومرارة الاضطهاد، كان إيمانها أعمق. وكان المؤمنون يفرحون بالاستشهاد ويسعون إليه. وكانت الصلوات أكثر حرارة، والتدقيق في الحياة الروحية أفضل. وكان الناس أمناء حتى الموت في علاقتهم بالله. وأُعتبر الألم هبة من الله كما قال الرسول: "قَدْ وُهِبَ لَكُمْ لأَجْلِ الْمَسِيحِ لاَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا أَنْ تَتَأَلَّمُوا لأَجْلِهِ" (في١: ٢٩) لأنه "إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ" (رو٨: ١٧).

وكثيرًا ما يحدث أن الإنسان عندما يبعد عن بركة الألم، قد يقع في قلة الحرص أو في الفتور أو التسيب. لذلك قال القديس يعقوب الرسول: "اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ" (يع١: ٢).

✠ ✠ ✠

إن الشيطان جرّب الكنيسة بالضيق عشرة أيام (رؤ٢: ١٠).

فلما اِنتهت العشرة أيام، غيّر الشيطان أسلوبه، لكي يتعب الكنيسة بالهرطقات وبالعثرات، بتعاليم النيقولاويين، وتعليم بلعام.

وربما تعاليم النيقولاويين تشير إلى كل البدع والانحرافات العقائدية التي ظهرت بعد الحصول على الحرية الدينية. فبعد أن كان الاهتمام مركزًا في التمسك بالإيمان المسيحي، صار الناس في ظل الحرية الدينية يبحثون في تفاصيل ذلك الإيمان. وادخل الشيطان في عقول البعض تفسيرات منحرفة تحولت إلى هرطقات.

حقًا إن الكنيسة في كل عصر لها نوعية من الحروب تُحارَب بها...

✠ ✠ ✠

أما عن بلعام فتوجد قصته في سفر العدد (عد٢٢– ٢٥).

وقد حاول بالاق أن يدعوه إلى لعن الشعب، فرفض ذلك، وقال لعبيده: "وَلَوْ أَعْطَانِي بَالاَقُ مِلْءَ بَيْتِهِ فِضَّةً وَذَهَبًا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَتَجَاوَزَ قَوْلَ الرَّبِّ إِلهِي" (عدد٢٢:

١٨). ولكنه أخيرًا إذ: "أَحَبَّ أُجْرَةَ الإِثْمِ" (٢بط٢: ١٥). بدلًا من أن يلعن الشعب بلسانه، قدّم لبالاق الطريقة التي ينال بها ذلك الشعب غضب الله عليهم. وذلك بأن: "يُلْقِيَ مَعْثَرَةً أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْ يَأْكُلُوا مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ، وَيَزْنُوا" (رؤ٢: ١٤).

وهكذا قيل في نهاية قصة علاقة بلعام وبالاق: "وَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي شِطِّيمَ، وَابْتَدَأَ الشَّعْبُ يَزْنُونَ مَعَ بَنَاتِ مُوآبَ. فَدَعَوْنَ الشَّعْبَ إِلَى ذَبَائِحِ آلِهَتِهِنَّ، فَأَكَلَ الشَّعْبُ وَسَجَدُوا لآلِهَتِهِنَّ" (عد٢٥: ١، ٢).

وهكذا كان أسلوب بلعام ملتويًا وفيه رياء: لم يلعن الشعب بشفتيه. ولكنه وصل إلى لعنتهم بإلقائهم في المعثرة!!

✠ ✠ ✠

وبالهرطقة "من النيقولاويين" والعثرة "من تعليم بلعام" سيطر الشيطان.

وقال الرب لملاك كنيسة برغاموس: إنك "تَسْكُنُ حَيْثُ كُرْسِيُّ الشَّيْطَانِ".

وكرر الرب هذه العبارة: "عِنْدَكُمْ حَيْثُ الشَّيْطَانُ يَسْكُنُ" (رؤ٢: ١٣).

نحن نعلم من اعتراف الشيطان في قصة أيوب الصديق إنه يأتي: "مِنْ الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ، وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا" (أي١: ٧) (أي٢: ٢). فإن كان قد اِستقر في مكان، وسكن فيه، وجعل فيه كرسيه، فلا شك أن هذا المكان يكون أكثر الأمكنة خطورة من جهة عمل الشيطان!

وهكذا كان وضعه الخطير بالنسبة إلى برغاموس... وبالأكثر عمله ضد من قال له الرب: "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ... وَأَنْتَ مُتَمَسِّكٌ بِاسْمِي، وَلَمْ تُنْكِرْ إِيمَانِي حَتَّى فِي الأَيَّامِ الَّتِي فِيهَا كَانَ أَنْتِيبَاسُ شَهِيدِي".

واسم انتيباس هذا، قد يكون اسم شهيد في العصر الرسولي وقت كتابة سفر الرؤيا أو رمزًا للشهداء بصفة عامة.

✠ ✠ ✠

على أن كرسي الشيطان وعمله وسكناه، يجعلنا نتأمل بعض الشيء في صفات الشيطان ومقدراته ومواهبه بصفة عامة.

١- إنه متعدد الأساليب:

تارة "يُلْقِيَ بَعْضًا مِنْكُمْ فِي السِّجْنِ لِكَيْ تُجَرَّبُوا، وَيَكُونَ لَكُمْ ضِيْقٌ عَشَرَةَ أَيَّامٍ" (رؤ٢: ١٠) كما فعل مع سميرنا. وتارة يحارب بالهرطقات والعثرة كما فعل مع برغاموس (رؤ٢: ١٤، ١٥). فهو يحاربهم بالحكام والولاة في عصور الاستشهاد. فإن مضى عصر الاستشهاد الديني، يحاربهم بالإغراء والانحراف الفكري.

فإن كان القديس بولس الرسول قد قال: "صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ، لأُخَلِّصَ عَلَى كُلِّ حَال قَوْمًا" (١كو٩: ٢٢)، فإن الشيطان يكون لكل أحد كل شيء، لكي يهلك على كل حال قومًا.

✠ ✠ ✠

٢- ومن صفات الشيطان أنه لا ييأس:

إنه يحارب ملاك برغاموس، ويجعل عنده كرسيه، على الرغم من علمه أنه متمسك باسم الرب، ولم ينكر إيمانه حتى في عصر الاستشهاد (رؤ٢: ١٣). وهو يُسقط ملاك كنيسة أفسس ويجعله يترك محبته الأولى، على الرغم من أن ذلك الملاك اِحتمل وصبر، وتعب من أجل اسم الرب ولم يكل (رؤ٢: ٣- ٥).

وفي العهد القديم لم ييأس من محاربة أيوب الصديق، على الرغم من شهادة الرب له إنه "رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ" (أي١: ٨) و"لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ" (أي٢: ٣).

ولم ييأس من محاربة سليمان الحكيم الذي أخذ الحكمة من الله نفسه. ولم يكن مثله في الحكمة، ولا قام بعده نظيره (١مل٣: ١٢). فإذا به في أيام شيخوخته، جعل "نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ" (١مل١١: ٤).

✠ ✠ ✠

٣- ومن صفات الشيطان الحكمة وطول البال.

وقد وصفه الرب بالحكمة في قوله: "**كُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ**" (مت١٠: ١٦).

والحية اسم من أسماء الشيطان (رؤ٢٠: ٢). وقيل عنها في إسقاط أبوينا الأولين: "وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ" (تك٣: ١). فهو (أي الشيطان) يتخير الوقت المناسب، والحروب المناسبة لكل شخص. ويتخير أعوانه المناسبين: نيقولاوس أو بلعام (رؤ٢: ١٤، ١٥). وإيزابل (رؤ٢: ٢٠). وسائر أولئك الذين سماهم الرب "مَجْمَعُ الشَّيْطَانِ" (رؤ٢: ٩) (رؤ٣: ٩).

✠ ✠ ✠

٤- ويتميز الشيطان أيضًا بالخبرة والمعرفة.

له في حربه مع الإنسان حوالي سبعة آلاف سنة من الزمان. مرّت عليه فيها أنواع من عقول البشر ونفسياتهم وظروفهم، وأوقات ثباتهم، وأوقات فتورهم أو سقوطهم. فصارت له في محاربته خبرة واسعة...

يضاف إلى ذلك طبيعته كملاك من طغمة الكاروبيم، قال عنه الله في سفر حزقيال النبي: "**أَنْتَ خَاتِمُ الْكَمَالِ، مَلآنٌ حِكْمَةً... أَنْتَ كَامِلٌ فِي طُرُقِكَ مِنْ يَوْمَ خُلِقْتَ حَتَّى وُجِدَ فِيكَ إِثْمٌ**" (حز٢٨: ١٢، ١٥).

وبالخبرة والمعرفة أمكنه أن يسقط كثيرين، وملايين.

✠ ✠ ✠

٥- ويتميز أيضًا بالقدرة على الخداع والتخفي والكذب.

قال عنه القديس بولس الرسول: "لاَ عَجَبَ. لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ! فَلَيْسَ عَظِيمًا إِنْ كَانَ خُدَّامُهُ أَيْضًا يُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ كَخُدَّامٍ لِلْبِرِّ" (٢كو١١: ١٤، ١٥). وكم ظهر للآباء في هيئة أنبياء وسوّاح!

وقيل عن ضد المسيح الذي يسبب الارتداد العام في نهاية الزمان: "الْمُقَاوِمُ وَالْمُرْتَفِعُ عَلَى كُلِّ مَا يُدْعَى إِلهًا أَوْ مَعْبُودًا" إن "مَجِيئُهُ بِعَمَلِ الشَّيْطَانِ، بِكُلِّ قُوَّةٍ، وَبِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ كَاذِبَةٍ، وَبِكُلِّ خَدِيعَةِ الإِثْمِ، فِي الْهَالِكِينَ" (٢تس٢: ٤، ١٠). وقد قال عنه الرب إنه: "كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ" (يو٨: ٤٤).

✠ ✠ ✠

٦- ومن صفاته أيضًا أنه ثابت على غرضه، ويحتمل فيه كل شيء.

غرضه هو أن يضل الناس. ولم يتزحزح عن هذا الهدف طوال تاريخه. حتى أنه بعد أن قيده الله ألف سنة، قيل عن نهايتها: "ثُمَّ مَتَى تَمَّتِ الأَلْفُ السَّنَةِ يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ" (رؤ٢٠: ٧، ٨).

وهو قد يحارب قديمًا خمسين سنة، ثابتًا في محاربته، لا يملّ حتى يسقطه. وقد يتعبه هذا القديس بصلواته وأصوامه ومزاميره ونسكه، فيحتمل كل ذلك، ويظل ثابتًا على غرضه أن يسقطه!

إن حاولت أن تهرب منه إلى مكان بعيد عن العثرات، يقول لك: أنا معك حيثما تذهب، أينما حللت أحلّ، أظل ملازمًا لك، لا أفارقك. وسأظل ملاصقًا لك أكثر من ظلك.

✠ ✠ ✠

٧- والشيطان أيضًا يؤمن بالتطوير والتجديد.

يجدد أساليبه ويطورها، حسب الظروف المتاحة، بالطريقة التي تساعده على أداء مهمته. في عصر التكنولوجيا يستخدم أحدث أساليب التكنولوجيا. وهو مستعد أن يلقي على خدامه Advanced Courses يدربهم فيها على أحدث الطرق التي تناسب العصر في إسقاط البشر، وفي الإيقاع بين الدول والشعوب. وفي محاربة المؤمنين عن طريق التقدم العلمي والاكتشافات الحديثة.

وإن كان في سفر الرؤيا قد هاجم المؤمنين عن طريق بدع النيقولاويين وتعاليم بلعام، ففي أيامنا هذه من جهة الأمور اللاهوتية يستخدم شهود يهوه والسبتيين والمورمون، ورجال النقد الكتابي، وعلاقة الكتاب بالعلم والتاريخ، وما أشبه...

✠ ✠ ✠

نلاحظ في قول الرب لملاك برغاموس "عِنْدِي عَلَيْكَ" أنه لم يذكر له أخطاء شخصية لهذا الراعي، وإنما أخطاء شعبه.

فقال له: "أَنَّ عِنْدَكَ هُنَاكَ قَوْمًا مُتَمَسِّـــكِينَ بِتَعْلِيمِ بَلْعَامَ... هكَذَا عِنْدَكَ أَنْتَ أَيْضًا قَوْمٌ مُتَمَسِّكُونَ بِتَعْلِيمِ النُّقُولاَوِيِّينَ الَّذِي أُبْغِضُهُ" (رؤ٢: ١٤، ١٥).

بعكس ملاك كنيســة أفســس الذي حدثه عن أخطائه الشــخصــية، بقوله له: "عِنْدِي عَلَيْكَ: أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الأُولَى" (رؤ٢: ٤).

ونفهم من هذا أن الأســقف أو الراعي عمومًا مســئول عن الأمرين معًا: عن أخطائه، وعن أخطاء الشــعب أيضًــا، وبخاصــة إن كانت من جهة الوقوع في بدع وهرطقات لم يقم الراعي بحمايتهم منها.

لهذا طوباه القديس أثناسيوس الرسولي الذي خلال ٤٥ من سني حبريته كان ينقذ شعبه من الهرطقة الأريوسية، بل ينقذ العالم المسيحي كله، بالرد على كل نقطة حاول بها الأريوســيون إثبات هرطقتهم. ومع القديس أثناســيوس نذكر أيضًــا القديس باسيليوس الكبير، والقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات، والقديس أمبروسيوس أسقف ميلان، والقديس إيلاري أســقف بواتييه، وغيرهم من الرعاة في عصــرهم الذين تعتبرهم الكنيسة من أبطال الإيمان، وأمثالهم في باقي العصور.

ولذلك فإن الرب يقول لراعي برغاموس "تُبْ وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ سَــرِيعًا وَأُحَارِبُهُمْ بِسَيْفِ فَمِي..." (رؤ٢: ١٦).

عجيبة كلمة "تب" هذه تقال لهذا الراعي الذي شــهد له الرب قائلًا: "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ". "وَأَنْتَ مُتَمَسِّــكٌ بِاسْــمِي، وَلَمْ تُنْكِرْ إِيمَانِي حَتَّى فِي الأَيَّامِ... حَيْثُ الشَّــيْطَانُ يَسْكُنُ" (رؤ٢: ١٣).

عن أي شــيء يتوب؟! عن أخطاء الشــعب التي لم يحمهم منها هنا مشــكلة الرعاية ومشــكلة المســئولية، في أن الراعي يحمل خطايا شــعبه، ويعمل على إنقاذه منها.

مخيف هذا الأمر: الشعب يخطئ، فيحاسب الله الراعي.

قال السيد الرب للقديس يوحنا الرائي:

"اكْتُبْ إِلَى مَلاَكِ الْكَنِيسَـــةِ الَّتِي فِي بَرْغَامُسَ: هذَا يَقُولُهُ الَّذِي لَهُ السَّـــيْفُ الْمَاضِي ذُو الْحَدَّيْنِ" (رؤ٢: ١٢).

"فَتُبْ وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ سَرِيعًا وَأُحَارِبُهُمْ بِسَيْفِ فَمِي. مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ. مَنْ يَغْلِبُ فَسَـــأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنَ الْمَنِّ الْمُخْفَى، وَأُعْطِيهِ حَصَـــاةً بَيْضَـاءَ، وَعَلَى الْحَصَـاةِ اسْمٌ جَدِيدٌ مَكْتُوبٌ لاَ يَعْرِفُهُ أَحَدٌ غَيْرُ الَّذِي يَأْخُذُ" (رؤ٢: ١٦، ١٧).

✠ ✠ ✠

عجيب هو الرب، يعطي نفسه أسماء تتغير بتغير الحالة.

هنا، فيما يتكلم من جهة بدعة النيقولاويين، وتعاليم بلعام المفسدة، ذكر أن له السيف الماضي ذي الحدين. وكرر عبارة السيف.

إن الله مستعد أن يعطيك صورة له تناسب حالتك: تأتيه وأنت منسحق القلب في دموع التوبة، يعطيك صورته وهو يمسح كل دمعة من عينيك (رؤ٢١: ٤). تأتيه وأنت مستهتر، يعطيك صورته وهو ممسك بالسوط، ويطرد الباعة من الهيكل (يو٢: ١٥).

فإن أردت أن تتمتع بصورة جميلة لله، أسلك بما يناسبها.

وهنا مع الهراطقة والمفسدين تلزم صورة السيف الماضي ذي الحدين.

✠ ✠ ✠

ما المقصود بعبارة "السَّيْفُ الْمَاضِي ذُو الْحَدَّيْنِ"؟!

يقول معلمنا القديس بولس الرســـول: "كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَـــى مِنْ كُلِّ سَـيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِـلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ" (عب٤: ١٢).

هذا هو سيف فمه القاطع الذي يميز الأمور، وله قوته. بالنسبة إلى الخطايا، له حدّ يعاقب على الأرض أو يوبخ. وله حدّ يمثل الدينونة في الســـماء. أو له حدّ يقطع، وحدّ يعالج.

السيف ذو الحدين هو كلمة الله: التي مرة تقول: "لاَ تَخَفْ... أَنَا مَعَكَ، وَلاَ يَقَعُ بِكَ أَحَدٌ لِيُؤْذِيَكَ" (أع١٨: ٩، ١٠). ومرة تقول: "إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!" (مت٧: ٢٣).

خذ من كلمة الله الحدّ الذي يرشدك ويحذرك لكي لا تخطئ.

إذا كنت غير محترس في كلامك، تجد سيف فمه يقول لك: "بِكَلاَمِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلاَمِكَ تُدَانُ" "كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ" (مت١٢: ٣٧، ٣٦). فتجد السيف القاطع قد قطع الكلمة البطالة من فمك.

وإن جرحت إنسانًا وأهنته، ثم دخلت إلى الكنيسة لكي تتناول، تجد أمامك السيف الماضي يقول لك: "إِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ" (مت٥: ٢٣، ٢٤).

وهكذا بالنسبة إلى كل خطية، ضع أمامها وصية، كسيف ماضٍ.

✠ ✠ ✠

نحن نريد أن يكون ذلك السيف الماضي معنا لا علينا.

ما دام سيفًا ذي حدين، نأخذ الحد الذي يقودنا إلى التوبة، وليس الحد الآخر الذي فيه العقوبة. نأخذ القوة التي في الكلمة، قوة الروح وقوة الإرشاد، وقوة التحذير.

وما دام السيف قاطعًا، نقول للرب: فليكن سيفك قاطعًا لجذور الشر التي فينا. ولكن لا تقطع كلمتك أملنا في الخلاص، فأنت تريد "جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ" (١تي٢: ٤).

✠ ✠ ✠

يقول الرب: "وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ سَرِيعًا وَأُحَارِبُهُمْ بِسَيْفِ فَمِي".

في الواقع إنه أمر متعب ومخيف أن يشعر إنسان أن الله يحاربه!

هذا الإنسان يبدو وكأن ليس له خلاص! إننا إذا حاربنا الناس الأشرار، أو الأعداء الخفيون والظاهرون، أو حتى لو الشيطان نفسه حاربنا. يكون لنا رجاء في

معونة تأتي لنا من فوق. أما إن كان الله هو الذي يحاربنا، وبسيف فمه، فمن يستطيع أن يثبت؟!

نلاحظ هنا تواضع الرب: إنه قال: "أُحَارِبُهُمْ" ولم يقل أبيدهم!

لأننا إن نزلنا في حرب أمام الرب فسنباد. قال الرسول: "مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ الْحَيِّ!" (عب١٠: ٣١).

✠ ✠ ✠

إن كلمة "أحاربهم" تدل على مرحلة سبقتها مراحل كثيرة.

فالله لا يبدأ إطلاقًا بالمحاربة. إنه في الأول يطيل أناته ويصبر على الخطاة، لعله بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، إنما يقتادهم إلى التوبة (رو٢: ٤). ويحاول أن يخلص نفوس الناس. لأن الله لا يسرّ بموت الخاطئ، بل بأن يرجع فيحيا (حز١٨: ٢٣). ويحاول أن يجتذبه بوسائل عدة. فإن لم يستجب، يلجأ الرب إلى طريقة التخلي الجزئي فيمنع نعمته عنه إلى حد ما، حتى يشعر بضعفه وعجزه فيرجع إلى الله.

فإن اجتاز الخاطئ كل مراحل المعونة والصبر والتخلي وباقي الوسائل، ولم يرتدع، حينئذ تأتي مرحلة المحاربة.

لقد اجتاز فرعون موسى مراحل عديدة، ولم يضربه الله الضربة الأخيرة إلا بعد أن رفض فرعون كل الصبر عليه.

✠ ✠ ✠

أما أنت أيها القارئ العزيز فاستجب من الخطوة الأولى. ولا تجعل النعمة العاملة معك لأجلك، ترتد عنك وتتركك.

ولا تصل في علاقتك مع الله إلى عبارة "أُحَارِبُهُمْ"!

وإن حاربك الله بسبب قسوة قلبك، فلا تقاوم ولا تحارب. قل له: "أَبَرُّ أَنْتَ يَا رَبُّ مِنْ أَنْ أُخَاصِمَكَ" (إر١٢: ١).

أمام الله "يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ" (رو٣: ١٩). والحكيم من الناس، هو الذي ينسحق قلبه، ويرجع إلى الله بالتوبة. وإن لم يقدر على التوبة، يقول للسيد الرب: "تَوِّبْنِي

فَـأَتُوبَ، لأَنَّـكَ أَنْـتَ الرَّبُّ إِلهِي" (أر٣١: ١٨). قف في موقف المعترف بخطيتـه، والمعترف بعجزه، وقل كما قال العشار: "اللّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئَ" (لو١٨: ١٣).

✠ ✠ ✠

يقول الرب: "فَتُبْ وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ سَرِيعًا وَأُحَارِبُهُمْ...".

لملاك الكنيســة يقول: "تب". مع أن الذين أخطأوا هم قوم متمســكون بتعاليم النيقولاويين التي يبغضها الرب، وقوم متمسكون بتعاليم بلعام (رؤ٢: ١٤، ١٥). ذلك لأن الأســقف يحمل خطايا رعيته. وكأنه يقول الرب: اغفر تقصــيري في رعايتهم، وتقصيري في قيادتهم إلى التوبة.

ولكن لماذا تقول يا رب: آتيك **سريعًا وأحاربهم؟!**

لماذا "سريعًا" وأنت الطويل الأناة، البطيء الغضب (يون٤: ٣).

حقًا يا رب إنه قد وُضـعت الفأس على أصـل الشـجرة، وكل شـجرة لا تصـنع ثمرًا جيدًا، تُقطع وتلقى في النار (مت٣: ١٠). ولكن مهلًا يا رب. ارفع فأســك قليلًا عن أصل الشجرة. "اتْرُكْهَا هذِهِ السَّنَةَ أَيْضًا". ربما تصنع ثمرًا. "وَإِلاَّ فَفِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا" (لو١٣: ٨، ٩).

✠ ✠ ✠

يقول الرب بعد هذا:

"مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ" (رؤ٢: ١٧).

من له أذن للسمع. لأن هناك أذنًا لا تريد أن تسمع، أو أنها تسمع وتهمل ما تسـمعه. أو هي غير متفرغة لأن تسـمع ما يقوله الروح للكنائس، إذ هي مشـغولة بما يقوله العالم وأهل العالم أو هي تسمع ولا تتأثر. أو تتأثر ولا تعمل بما سمعته...!

هذه الأذن يمر عليها كلام الروح كأنه ريح عابرة، يجوز مقابلها، ولا يســتقر فيها. لأنه ليس من خاصتها، ولا هي من خاصته!

وهناك أذن أخرى تســـمع الكلمة، بل تلتقطها ولو من بعيد. ويدخل الكلام من الأذن إلى العقل، وينحدر من الفكر إلى القلب، وتتحول الكلمة إلى مشـــاعر، وإلى حوافز ودوافع، ثم إلى أعمال. وتتحول الأعمال إلى حياة. هذه هي الأذن التي للسمع.

✠ ✠ ✠

بالأذن التي للســـمع، يأخذ الإنســـان الكلمة ويخبئها في قلبه (مز١١٩) وتصبح له "رُوحٌ وَحَيَاةٌ" (يو٦: ٦٣). وينتفع بها.

كبذرة نزلت على أرض جيدة. فبدأت تتفتح، وتمد جذورها إلى العمق، وترفع جذعها إلى فوق، وتنتشر فيها الحياة.

الشـاب الغني سـمع الكلمة من فم المسـيح نفسـه، ومضـى حزينًا لأنه كان ذا أموال كثيرة (مت١٩: ٢٢). أما القديس الأنبا أنطونيوس فكانت له أذن للسمع. فسمع الكلمة في الكنيسة وذهب ونفذها وباع كل ماله.

الكتبة والفريسيون سمعوا كلامًا من السيد المسيح، ولم يقبلوه بل كانوا يجادلونه رافضين ما يقول. لم تكن لهم آذان للسمع.

هناك أشخاص آذانهم ليست للسمع، لأن هناك موانع تمنعها من السماع.

إما كبرياء في القلب، أو عناد، أو شـــهوات تمنعها من قبول الكلمة. أو عدم تعود، أو عدم اسـتعداد في الداخل. أو لأنه ليسـت لهم علاقة سـابقة بالروح، ولا بما يقوله الروح للكنائس...

وهناك آذان تسـبيها فلسـفة العالم الحاضـر وأفكاره، فتجد ما يقوله الروح غريبًا عليها. هو لغة أخرى لم تتعود على مفرداتها...

وقد تسمع كلام الروح فيدركها الملل منه...

قال أحد الآباء: كنت أكلّم بعض الأخوة كلامًا روحيًا، فثقلت عيونهم حتى كاد يدركهم النعاس. فأردت أن أظهر عمل الشـيطان معهم، فغيرت حديثي إلى كلام مزاح ولهو، فاسـتيقظوا وتنبهت مشـاعرهم!! ذلك لأنهم ما كانوا يريدون سـماع كلمة الرب. ليست لهم آذان للسمع.

صدق ذلك الأديب الذي قال: "لكل كلمة أذن. ولعل أذنك ليست لكلماتي. فلا تتهمني بالغموض".

✠ ✠ ✠

الأذن التي للسمع، لها صفات كثيرة:

فهي التي تشتاق إلى سماع الكلمة. وتبحث عن الكلام المقدس في كل مكان. إن لم يأتِ إليها، تسعى إليه.

بل تشعر أن سماعها ما يقوله الروح، هو شرف لها لا تستحقه. كما نقول في أوشية الإنجيل: "اجعلنا مستحقين أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدسة"... نطلب أن نكون مستحقين أن نسمع.

والأذن التي للسمع تسمع وتفهم، وتسمع وتعمل...

وهي أيضًا تستطيع أن تميز كلام الرب من كلام غيره: "لأَنَّهَا تَعْرِفُ صَوْتَهُ... لاَ تَعْرِفُ صَوْتَ الْغُرَبَاءِ" (يو ١٠: ٤، ٥).

والأذن المقدسة هي التي تسمع ما يقوله الروح للكنائس.

✠ ✠ ✠

وعبارة "مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ" تعني أن هذه الرسالة وإن كانت موجهة إلى ملاك كنيسة برغاموس، إلا أنه تنتفع بها باقي الكنائس.

إن كلام الروح هو للكنائس، لكل أعضاء جسد المسيح. نقرأ نحن الرسائل المرسلة إلى الكنائس السبع التي في آسيا، فننتفع جميعًا بها. فكل منها تختم بعبارة "مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ".

فهي كلام من الروح لكل الكنائس من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها. وليست لكنيسة واحدة محلية. وعلى الرغم من اِحتوائها بعض أخبار محلية، إلا أنه يمكن الانتفاع بها للكل.

ما يقوله الروح هو التعليم الإلهي، ويتصف بالشمولية.

✠ ✠ ✠

والمهم الآن: هل نسمع ما يقوله الروح؟ وهل نعمل به؟

وهل كل ما يُقال على منابر كنائســـنا هو ما يقوله الروح للكنائس؟ أم أن البعض يقولون تعليمهم الخاص، أو ما قرأوه في كتب غريبة ويرددونه ظانين في وهم أنه ما يقوله الروح للكنائس!

والعجيب أن البعض يصـــرّح بعبارة "قال لي الروح"!! ولا نعرف أي روح قد كلمه، إن كان قد كلمه روح! أو قد خيّل إليه أن ما يجول بفكره هو كلام الروح!! هوذا القديس يوحنا الرسول يقول:

"لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟" (١يو ٤: ١).

✠ ✠ ✠

أليس هذا هو الســبب الذي من أجله كثرت المذاهب في المســيحية وتعددت! وكل منها يرى أن ما يعتقد به هو ما يقوله الروح للكنائس!! وربما يكون بعضـــها هو تفسير خاص وفكر خاص.

إننا نعاني من أن بعض أصـــحاب الفكر الخاص، يحاولون أن يجعلوه فكرًا عامًا، وينشروه كما لو كان عقيدة.

إن ما يقوله الروح للكنائس هو حق خالص.

والحق لا يتناقض كما في أفكار الكثيرين.

مَن يغلب...

قال السيد الرب لملائكة الكنائس السبع:

"مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ اللهِ" (رؤ٢: ٧).

"مَنْ يَغْلِبُ فَلاَ يُؤْذِيهِ الْمَوْتُ الثَّانِي" (رؤ٢: ١١).

"مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنَ الْمَنِّ الْمُخْفَى، وَأُعْطِيهِ حَصَاةً بَيْضَاءَ، وَعَلَى الْحَصَاةِ اسْمٌ جَدِيدٌ مَكْتُوبٌ لاَ يَعْرِفُهُ أَحَدٌ غَيْرُ الَّذِي يَأْخُذُ" (رؤ٢: ١٧).

"وَمَنْ يَغْلِبُ وَيَحْفَظُ أَعْمَالِي إِلَى النِّهَايَةِ فَسَأُعْطِيهِ سُلْطَانًا عَلَى الأُمَمِ، فَيَرْعَاهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ... وَأُعْطِيهِ كَوْكَبَ الصُّبْحِ" (رؤ٢: ٢٦-٢٨).

"مَنْ يَغْلِبُ فَذلِكَ سَيَلْبَسُ ثِيَابًا بِيضًا، وَلَنْ أَمْحُوَ اسْمَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَسَأَعْتَرِفُ بِاسْمِهِ أَمَامَ أَبِي وَأَمَامَ مَلاَئِكَتِهِ" (رؤ٣: ٥).

"مَنْ يَغْلِبُ فَسَأَجْعَلُهُ عَمُودًا فِي هَيْكَلِ إِلهِي، وَلاَ يَعُودُ يَخْرُجُ إِلَى خَارِجٍ، وَأَكْتُبُ عَلَيْهِ اسْمَ إِلهِي، وَاسْمَ مَدِينَةِ إِلهِي، أُورُشَلِيمَ... وَاسْمِي الْجَدِيدَ" (رؤ٣: ١٢).

" مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِي فِي عَرْشِي، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيْضًا وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ " (رؤ٣: ٢١).

✠ ✠ ✠

كل هذه المكافآت السمائية لمن يغلب. وكما قال أحد الآباء:

لا يكافأ إلا الذي اِنتصر. ولا ينتصر إلا الذي حارب وغلب.

وفي الحقيقة إن فترة حياتنا على الأرض، هي فترة صراع وجهاد، يقف فيها الإنسان ضد العالم والشيطان والجسد، وضد إغراءات كثيرة. وقد قال القديس بولس الرسول: "إِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ... مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ... مِنْ أَجْلِ ذلِكَ احْمِلُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ..." (أف٦: ١٢-

١٣).

وقال القديس بطرس الرسول: "اُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ. فَقَاوِمُوهُ، رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ، عَالِمِينَ أَنَّ نَفْسَ هذِهِ الآلاَمِ تُجْرَى عَلَى إِخْوَتِكُمُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ" (١بط٥: ٨، ٩).

✠ ✠ ✠

إن الرب يريدنا أن نغلب، وأعطانا نفسه كمثال، فقال:

"ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يو١٦: ٣٣).

❖ نعم، إن السيد المسيح كان أول الغالبين ومثالًا للغالبين. لقد غلب العالم، وغلب الشيطان في كل تجاربه، وغلب الناس الأشرار في كل حواراتهم معه. وأخيرًا غلب الموت.

❖ والقديس بولس الرسول لما تكلم عن مكافأته في اليوم الأخير وأسبابها، قال: "جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا" (٢تي٤: ٧، ٨).

هذا الرسول إذًا قد جاهد وغلب، وقصّ علينا صور جهاده وغلبته.

❖ والقديس يوحنا الحبيب، في رسالته الأولى، يكتب للشباب فيقول: "كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ، لأَنَّكُمْ أَقْوِيَاءُ، وَكَلِمَةُ اللهِ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَقَدْ غَلَبْتُمُ الشِّرِّيرَ" (١يو٢: ١٤). وهكذا طوّب وامتدح الأقوياء والغالبين.

✠ ✠ ✠

أقول هذا لئلا يركز البعض على الإيمان فقط، وينسى كل الآيات التي وردت عن الانتصار والغلبة!!

فيقول لك: آمن فقط... "آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ" (أع١٦: ٣١). ثق أنك تضمن الملكوت ما دمت مغسولًا بالدم الكريم... يكفيك أن تكون مختبئًا وراء الأبواب المرشوشة بالدم، فتخلص من يد المهلك (خر١٢)! كل هذا

هو أسلوب استخدام الآية الواحدة، وإهمال باقي الآيات التي تدعو إلى الجهاد ومقاومة الشر، والتي تدعو إلى الغلبة والانتصار. وليس هذا هو أسلوب السيد المسيح الذي كرر عبارة "مَنْ يَغْلِبُ..." في كل رسالة من رسائله إلى ملائكة الكنائس السبع، جاعلًا إياها شرطًا لمكافأته السمائية، وسابقًا إياها بعبارة "مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ".

إنها حرب إذًا، مفروض علينا أن نجتازها، ونجاهد ونغلب.

✠ ✠ ✠

نلاحظ أيضًا أن السيد المسيح، أعطى رجاء في الغلبة للكل، مهما كانت حالتهم سيئة جدًا...

قال: "مَنْ يَغْلِبُ" عن الذي ترك محبته الأولى. وأصبح محتاجًا أن يذكر من أين سقط ويتوب (رؤ٢: ٤- ٧).

وقال: "مَنْ يَغْلِبُ" عن الفاتر الذي لا هو حار ولا بارد، والرب مزمع أن يتقيأه من فمه (رؤ٣: ١٦ - ٢١).

بل قال: "مَنْ يَغْلِبُ"، حتى للذي كان له اسم أنه حي وهو ميت! ولم تكن أعماله كاملة أمام الله، وكان محتاجًا إلى التوبة (رؤ٣: ١، ٢، ٥).

وقال: "مَنْ يَغْلِبُ" حتى للذي يسكن حيث كرسي الشيطان (رؤ٢: ١٣، ١٧).

كل ذلك يعطينا رجاء في الغلبة وإمكانيتها.

✠ ✠ ✠

إن الله لا يطلب منا أن نغلب، إلا لو كانت الغلبة ممكنة.

وهي ممكنة لأن "وَصَايَاهُ لَيْسَتْ ثَقِيلَةً" كما يقول القديس يوحنا الرسول (١يو٥: ٣). ولأن معنا نعمة الله العاملة فينا (١كو١٥: ١٠) ومعنا أيضًا عمل الروح القدس الذي هو فينا، ويبكتنا على خطية (يو١٦: ١٥).

ونحن نقدر أن نغلب بالرب، الذي قال: "بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَـــيْئًا" (يو١٥: ٥). والذي قال عنه القديس بولس الرسول: "أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي" (في٤: ١٣).

علينا إذًا أن نحارب. ونثق أننا ســـنغلب في الحرب، لأنه كما قال داود النبي أمام جليات: "الْحَرْبَ لِلرَّبِّ وَهُوَ يَدْفَعُكُمْ لِيَدِنَا" (١صـــم١٧: ٤٧). المهم أننا نكون مستعدين أن نحارب وأن نغلب.

✠ ✠ ✠

إنها وصية لكل أحد أن يغلب، على الرغم من أن كلًا منا له حروبه الخاصة. فما يحارب به إنســان، ربما يكون غير ما يحارب به إنســان آخر. ولكن على كل منا أن يصمد في صراعه ضد الشر ولا يستسلم، كما قال الرسول: **"لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ" (عب١٢: ٤).**

إذًا لكي نغلب، علينا أن نقاوم الخطية، ولو أدّى الأمر إلى ســـفك دمنا. وهذا نفسه هو ما يقوله الرب في رسالته في سفر الرؤيا:

"كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ" (رؤ٢: ١٠).

ويشجعنا القديس بولس الرسول بقوله: "لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ" (رو١٢: ٢١). فلنجاهد إذًا لكي نغلب، ولنثق أن كل القوات الســـمائية ترقب جهادنا، وتصلي لأجلنا لكي ننتصر، وتفرح بانتصارنا (لو١٥: ١٠).

✠ ✠ ✠

تأمل آخر في قول السيد الرب: "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ...".

إنها عبارة تدل بكل تأكيد على لاهوت السيد الرب.

فهو في كل تلك الرسائل يقف موقف الديان الذي يحاسب ويعطي. الذي يقول لكل إنسان: "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ" (رؤ٢، ٣). ويقول إنه: "الْقُدُّوسُ الْحَقُّ، الَّذِي لَهُ مِفْتَاحُ دَاوُدَ، الَّذِي يَفْتَحُ وَلاَ أَحَدٌ يُغْلِقُ، وَيُغْلِقُ وَلاَ أَحَدٌ يَفْتَحُ" (رؤ٣: ٧).

حقًا، من هو هذا الذي يعطي إكليل الحياة، ويعطي الأكل من شـــجرة الحياة، ويعطي أحدًا أن يكون عمودًا في هيكل الله، ويجعله يجلس معه في عرشـه، ولا يمحى اســـمه من ســـفر الحياة؟! ومن هذا الذي يعطي ســـلطانًا على الأمم؟ ومن ذا الذي بسلطانه أن ينقذ من الموت الثاني؟

أليست كلها دلائل على لاهوته؟ إنها لكذلك...

رسائل الرب في سفر الرؤيا تدل على لاهوته، وكذلك باقي السفر، وكل إنجيل يوحنا ورسائله، لمن يتأمل.

✠ ✠ ✠

يقول: "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ اللهِ" (رؤ٢: ٧). فما هي شجرة الحياة؟ وما هو فردوس الله؟

إن هذا يذكرنا بما ورد في الأصـحاحين ٢، ٣ في سفر التكوين. وردت شـجرة الحياة، ثم قيل بعد خطية أبوينا الأولين إن الله: "وَأَقَامَ شَـــرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَـيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَـةِ طَرِيقِ شَـجَرَةِ الْحَيَاةِ" (تك٣: ٢٤). وما عدنا نسـمع عن الجنة ولا عن شـجرة الحياة. ولكننا الآن – في سـفر الرؤيا – نسـمع عن شـجرة الحياة وفردوس الله.

إن ما فقده الإنسـان الأول بحرمانه من شـجرة الحياة، وعد السـيد المسـيح بأن يعيده إلينا في مكافأته للغالبين.

إن شجرة الحياة في سفر التكوين كانت رمزًا لشجرة الحياة في سفر الرؤيا.

✠ ✠ ✠

عندما خلق الله آدم، لم يعطه وصـية بعدم الأكل من شـجرة الحياة. لكنه منعه عنها لما أخطأ. ووعد الرب بالأكل منها لمن يغلب.

إن كان الأكل من شـــجرة الحياة يعني الحياة إلى الأبد، إذًا ما كان ممكنًا أن يحيا الإنسان الأول إلى الأبد وهو في حالة الخطية. فكان لزامًا إذًا حراسة الطريق إلى

شـجرة الحياة بسـيف من نار، إلى أن يتم الفداء. ثم يأخذ الإنسـان اسـتحقاقات الفداء بالإيمان وبالتوبة، وبأن يغلب.

✠ ✠ ✠

الأكل من شـــجرة الحياة، لا يعني مجرد الحياة، إنما يعني الحياة في النعيم الأبدي.

وفي ذلك كان الرب يقول عن عمل الخير: "افعل هذا فتحيا". وفي آخر سـفر التثنية يقول الرب: "قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ، إِذْ تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ وَتَسْمَعُ لِصَوْتِهِ" (تث٣٠: ١٩، ٢٠).

✠ ✠ ✠

ليس المهم أن يحيا الإنســـان مجرد حياة. إنما الأكل من شـــجرة الحياة يعني الحياة الأفضل، الحياة السعيدة، الحياة المقدسة، الحياة التي لا تنتهي. الحياة الأبدية. حياة من نوع آخر. من النوع السامي الممجد، لأننا سنقوم من الموت على شبه جسد مجده (أف٣: ٢١). سنقوم بأجساد روحانية، في مجد، وفي قوة (١كو١٥: ٤٣، ٤٤). ولكن كل واحد يتميز عن الآخر حســـب درجته. "لأَنَّ نَجْمًا يَمْتَازُ عَنْ نَجْمٍ فِي الْمَجْدِ" (١كو١٥: ٤١).

✠ ✠ ✠

والبعض يقول إن شجرة الحياة ترمز إلى السيد المسيح.

لأن "فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ" (يو١: ٤) وهو قال عن نفســـه: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَـيَحْيَا" (يو١١: ٢٥) "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ" (يو١٤: ٦). والقديس بولس الرســـول يقول: "لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ" (في١: ٢١).

فإن كانت شجرة الحياة هي المسيح، فما معنى الأكل من شجرة الحياة في مثل هذه الحياة؟ معناه أن تتغذى به. بحبه، بنوره، بحياته فيك كما قال بولس الرســـول: "أَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ" (غلا٢: ٢٠).

وكما قال داود النبي في المزمور: "ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ!" (مز ٣٤: ٨). وهكذا يكون – بهذا المعني – الأكل من شجرة الحياة، أي التمتع بالله في النعيم الأبدي. هذا بالمعنى الروحي، لأن ملكوت الله ليس أكلًا وشربًا.

✠ ✠ ✠

يقول: "شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله".

فما هو فردوس الله هذا؟

ليس الفردوس هو جنة عدن التي اختفت وانتهت، كما أن تلك الجنة كانت أرضية، وفيها أشجار وثمار وترويها أربعة أنهار (تك٢).

أما الفردوس فهو سماوي. قال عنه بولس الرسول إنه: السماء الثالثة.

إذ قال إنه أُختطف إلى السماء الثالثة... إلى الفردوس (٢كو١٢: ٣، ٤). والسيد المسيح حينما قال للص المصلوب معه: "الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ" (لو٢٣: ٤٣) لم يقصد تكون معي في جنة على الأرض، إنما تكون معي في فردوس في السماء.

هذا الفردوس السماوي هو مسكن الأبرار، تكون فيه أرواح الأبرار بعد الموت، مع المسيح، إلى أن ينتقلوا إلى الملكوت، إلى أورشليم السمائية، مسكن الله مع الناس (رؤ٢١: ٢، ٣).

✠ ✠ ✠

والمتع هناك ليست متعًا أرضية أو جسدية.

قال: "مَنْ يَغْلِبُ فَلاَ يُؤْذِيهِ الْمَوْتُ الثَّانِي".

وعبارة "الثَّانِي" تعني أن هناك موتًا يسبقه. فما هما هذان الموتان؟

الموت الأول هو انفصال الروح عن الجسد، وانفصال الإنسان عن العالم الحاضر. أما الموت الثاني فهو انفصال الإنسان عن الله، وعن مجمع الأبرار، ويعني أيضًا إلقاؤه في الظلمة الخارجية، في أتون النار حيث يكون البكاء وصرير الأسنان (مت١٣: ٤٢، ٥٠).

وورد في (رؤ٢٠: ١٤) "وَطُرِحَ الْمَوْتُ وَالْهَاوِيَةُ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ. هذَا هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي". وطبيعي أن الذي يغلب لا يؤذيه هذا المصير أي الموت الثاني.

اكتب إلىَ مَلاك الكَنيسَة التي في ثيَاتيرا

قال السيد الرب للقديس يوحنا الرائي:

"وَاكْتُبْ إِلَى مَلاَكِ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي ثَيَاتِيرَا: «هذَا يَقُولُهُ ابْنُ اللهِ، الَّذِي لَهُ عَيْنَانِ كَلَهِيبِ نَارٍ، وَرِجْلاَهُ مِثْلُ النُّحَاسِ النَّقِيِّ: أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ وَمَحَبَّتَكَ وَخِدْمَتَكَ وَإِيمَانَكَ وَصَبْرَكَ، وَأَنَّ أَعْمَالَكَ الأَخِيرَةَ أَكْثَرُ مِنَ الأُولَى. لكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ قَلِيلٌ: أَنَّكَ تُسَيِّبُ الْمَرْأَةَ إِيزَابَلَ الَّتِي تَقُولُ إِنَّهَا نَبِيَّةٌ، حَتَّى تُعَلِّمَ وَتُغْوِيَ عَبِيدِي أَنْ يَزْنُوا وَيَأْكُلُوا مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ. وَأَعْطَيْتُهَا زَمَانًا لِكَيْ تَتُوبَ عَنْ زِنَاهَا وَلَمْ تَتُبْ. هَا أَنَا أُلْقِيهَا فِي فِرَاشٍ، وَالَّذِينَ يَزْنُونَ مَعَهَا فِي ضِيقَةٍ عَظِيمَةٍ، إِنْ كَانُوا لاَ يَتُوبُونَ عَنْ أَعْمَالِهِمْ. وَأَوْلاَدُهَا أَقْتُلُهُمْ بِالْمَوْتِ. فَسَتَعْرِفُ جَمِيعُ الْكَنَائِسِ أَنِّي أَنَا هُوَ الْفَاحِصُ الْكُلَى وَالْقُلُوبِ، وَسَأُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ" (رؤ٢: ١٨– ٢٣).

✠ ✠ ✠

كلمة ثياتيرا معناها مسرح. وهي بالإنجليزية Theatre. وباللغة العامية (تياتروا). وهي ترمز إلى اللهو والشر...

كان أهل هذه الكنيسة يعيشون في الخطية والإثم، وفيهم بقية من عبادة الأصنام ومن الزنا. وعُبّر عن فسادهم بوجود المرأة إيزابل الخاطئة التي تذكرنا بإيزابل الوثنية زوجة أخآب الملك التي كان يأكل على مائدتها أربعمائة وخمسون من أنبياء البعل، وأربعمائة أنبياء السواري (١مل١٨: ١٩). وهي التي هددت إيليا النبي بقتله فهرب منها (١مل١٩: ٢، ٣). وقتلت كثيرًا من الأنبياء. فصارت رمزًا.

✠ ✠ ✠

إن صورة تلك الأيام الشريرة ومعها إيزابل تعود في كنيسة ثياتيرا.

نفس الفساد والزنا وعبادة الأصنام. ومع ذلك فإن الزنا يُعني الالتصاق بغير الله. إن النفس البشرية هي عروس المسيح. فإذا التصقت بغير المسيح، يعتبر هذا زنا. ذلك لأن كلمة زنا Adultery مشتقة من اللاتينية Ad Ulter. ومعناها إلى آخر

to another أي تعني إعطاء النفس لآخر "غير التي هي له، أي الله" فتعتبر زانية روحيًا.

أما عبادة الأصنام، فقد تعني أيضًا محبة العالم وما فيه من أصنام المال والشهرة والمديح والعظمة والكبرياء والشهوة، كما يقول الرسول: "فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ هذَا أَنَّ كُلَّ زَانٍ أَوْ نَجِسٍ أَوْ طَمَّاعٍ -الَّذِي هُوَ عَابِدٌ لِلأَوْثَانِ - لَيْسَ لَهُ مِيرَاثٌ فِي مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ" (أف٥: ٥).

✠ ✠ ✠

كنيسة ثياتيرا إذًا كانت كنيسة خاطئة. ولكي يريها الرب موقفه من خطيئتها قال في رسالته إليها:

"هذَا يَقُولُهُ ابْنُ اللهِ، الَّذِي لَهُ عَيْنَانِ كَلَهِيبِ نَارٍ" (رؤ٢: ١٨).

وهذا يعيد إلينا المنظر الذي ظهر به الرب أولًا في سفر الرؤيا (١: ١٤). المنظر المخيف الذي ما رآه يوحنا، قال: "فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَقَطْتُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ كَمَيِّتٍ" (رؤ١: ١٧). إن الله هنا في موقف القاضي الديان. يراه الخطاة في ثياتيرا فيخافون، إذ يرون عينيه كلهيب من نار.

الصفة التي أعطاها لنفسه هنا، غير الصفة التي أعطاها في رسالته إلى كنيسة أفسس "الْمُمْسِكُ السَّبْعَةَ الْكَوَاكِبَ فِي يَمِينِهِ، الْمَاشِي فِي وَسَطِ السَّبْعِ الْمَنَايِرِ الذَّهَبِيَّةِ" (رؤ٢: ١). حقًا إن كل إنسان ينظر إلى الله الديان، من خلال تذكر هذا الإنسان لأعماله.

✠ ✠ ✠

المهم أن كنيسة ثياتيرا كانت خاطئة، على الرغم من أن ملاكها "راعيها" كان رجلًا بارًا امتدحه الرب.

قال له الرب: "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ وَمَحَبَّتَكَ وَخِدْمَتَكَ وَإِيمَانَكَ وَصَبْرَكَ، وَأَنَّ أَعْمَالَكَ الأَخِيرَةَ أَكْثَرُ مِنَ الأُولَى" (رؤ٢: ١٩). ويبدو هنا أنه كان أفضل من ملاك كنيسة أفسس، الذي قال له الرب: "عِنْدِي عَلَيْكَ: أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الأُولَى" (رؤ٢:

٤).

جميل جدًا أن هذا الراعي يسمع كلمة المديح من فم الرب نفسه... وجميل أيضًا أنه احتفظ ببره وهو في وسط تلك البيئة الفاسدة. وأكثر من هذا جمالًا أنه كان ينمو في حياة البر، إذ يقول له الرب: "أَعْمَالَكَ الأَخِيرَةَ أَكْثَرُ مِنَ الأُولَى".

ومع ذلك كان هناك ما يؤخذ عليه. فما هو؟

✠ ✠ ✠

يقول له الرب: "لكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ قَلِيلٌ: أَنَّكَ تُسَيِّبُ الْمَرْأَةَ إِيزَابَلَ الَّتِي تَقُولُ إِنَّهَا نَبِيَّةٌ، حَتَّى تُعَلِّمَ وَتُغْوِيَ عَبِيدِي".

حقًا إنه أمام الله "يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ" (رو٣: ١٩) مهما كانت حياته بارة، ومهما كانت محبته وخدمته وإيمانه وصبره... حقًا أنت كفرد لك فضائلك، لكنك تسيّب الفساد يسري من حولك. تاركًا الفساد يرعى ولم تقدر أن تضبطه. مثل أب يكون طيب القلب، ولكنه ترك الفساد في أولاده أو في أهل بيته... إسحاق أبو الآباء كان بارًا. ولكن ابنه عيسو كان زانيًا ومستبيحًا (عب١٢: ١٦).

إن الله سوف لا يسألنا فقط عن خطايانا، بل أيضًا عن الذين تحت سلطاننا، إن كان بإمكاننا أن نضبطهم...

إن عالي الكاهن عاقبه الله بسبب خطية أولاده (١صم٣: ١٣).

✠ ✠ ✠

الرب يقول لملاك كنيسة ثياتيرا "عِنْدِي عَلَيْكَ" ثم لا يذكر له خطية خاصة، بل خطايا إيزابل والذين معها.

ليتنا نهتم بهذا أن عقوبة الله لا تصدر فقط بسبب خطايانا، بل بسبب المجتمع المحيط بنا أيضًا. إن يشوع البار انهزم في عاي ليس بسبب خطية له، بل بسبب خطية عخان بن كرمي. لذلك فسّر له الله سبب الهزيمة بقوله: "فِي وَسَطِكَ حَرَامٌ يَا إِسْرَائِيلُ، فَلاَ تَتَمَكَّنُ لِلثُّبُوتِ أَمَامَ أَعْدَائِكَ" (يش٧: ١٣). ولم يرتفع غضب الله عنهم،

إلا بعد أن أزالوا الحرام من بينهم. وأهل كورنثوس وبخهم القديس بولس الرسول بسبب شاب فاسد بينهم، وقال لهم: "اعْزِلُوا الْخَبِيثَ مِنْ بَيْنِكُمْ" (١كو٥: ١٣).

إننا مسئولون أمام الله مسئولية مباشرة عن أنفسنا، ومسئولية غير مباشرة عمن هم حولنا إن كانوا تحت سلطاننا. مثل مسئولية الأب عن ابنته إن كانت تلبس ملابس خليعة، أو عن ابنه إن كان لا يسلك في مخافة الله. لذلك أعطى الله سلطانًا للأب للتأديب والتقويم.

✠ ✠ ✠

مثال ذلك أيضًا أي رئيس في عمل، قد يكون نزيهًا كشخص ولكنه يترك مرؤوسيه يخطئون دون أن يردعهم.

وكذلك كل صاحب مسئولية، سواء كانت كهنوتية أم علمانية. هو مسئول عن كل الذين تحت سلطانه، يُحاسب على أخطائهم. لذلك فإن الكتاب يأمرنا أن نصلي من أجل الذين لهم سلطة، لأن وراءها حسابًا.

ليس واجبك فقط أنك لا ترتكب الشر، إنما أيضًا أن تمنع ارتكاب الشر من حولك، إن كان ذلك بإمكانك أو في حدود سلطانك... أو على الأقل عليك أن تنبه أو تحذر...

وهنا يوبخ ملاك كنيسة ثياتيرا، لأنه يسيّب المرأة إيزابل.

✠ ✠ ✠

يقول له: "تُسَيِّبُ الْمَرْأَةَ إِيزَابَلَ الَّتِي تَقُولُ إِنَّهَا نَبِيَّةٌ، حَتَّى تُعَلِّمَ وَتُغْوِيَ عَبِيدِي أَنْ يَزْنُوا وَيَأْكُلُوا مَا ذُبحَ لِلأَوْثَانِ".

إنها عادة عند الخطاة يا إخوتي، – إذا سقطوا – يحاولون باستمرار أن يجذبوا غيرهم للسقوط معهم..!

بدأ الأمر منذ أن سقط الشيطان، فلم يكتفِ بهذا، وإنما جذب ملائكة آخرين فسقطوا معه وصاروا ملائكته في (رؤ١٢: ٧، ٩).

ولم يكتفِ بإسقاط كل ذلك العدد الهائل من الملائكة، وإنما أيضًا عمل على إسقاط الإنسان الأول آدم وحواء (تك٣). واستمر في إسقاط البشر في الفساد والعصيان والوثنية والشكوك.

حتى بعد أن قيده الله ألف سنة، قيل عنه في آخر الزمان: "ثُمَّ مَتَى تَمَّتِ الأَلْفُ السَّنَةِ يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ... الَّذِينَ عَدَدُهُمْ مِثْلُ رَمْلِ الْبَحْرِ" (رؤ٢٠: ٧، ٨).

✠ ✠ ✠

وهذه هي عادة الأشرار جميعًا، أنهم يضلون غيرهم معهم، وليس فقط إيزابل التي تعلّم وتغوي عبيد الله أن يزنوا ويأكلوا ما ذُبح للأوثان.

نذكر أن هذه كانت أيضًا خطية بلعام: "الَّذِي كَانَ يُعَلِّمُ بَالاَقَ أَنْ يُلْقِيَ مَعْثَرَةً أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْ يَأْكُلُوا مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ، وَيَزْنُوا" (رؤ٢: ١٤) (عد٢٤: ٢٥) (عد٢٥: ١، ٢).

كذلك بعض الذين يقعون في عادات شريرة أن يدعوا غيرهم لكي يشتركوا معهم في خطاياهم، كالواقعين تحت عادة التدخين، أو المدمنين للمخدرات أو شرب الخمر، أو الفاسدين في الشذوذ الجنسي وفي الزنا بصفة عامة، أو لاعبي القمار، أو مجالس المستهزئين. كلهم يدعون غيرهم للاشتراك معهم ويسقطونهم. ويعتبرون من النوعية التي قال عنها الرب: "تُعَلِّمَ وَتُغْوِيَ عَبِيدِي".

✠ ✠ ✠

هذه الغيرة السوداء في جذب الآخرين، وهذا النشاط الذي عند الشيطان وأتباعه، ليس موجودًا في مجال البر عند كل أولاد الله وخدامه!! للأسف الشديد...

إن الشيطان في حماسه العجيب يكثر من أتباعه كل يوم بأنواع وطرق شتى. وبالمثل نرى الهراطقة والمبتدعين ينتشرون ويكثرون بحماس ونشاط. وانظروا إلى شهود يهوه: كم أصدروا من عشرات الكتب، وكم ترجموها إلى عشرات اللغات، وانتشر أتباعهم يمرون على البيوت ويوزعون مطبوعاتهم، بإلحاح شديد... وكذلك ينتشر

السبتيون الأدفنتست ويكتبون النبذات ويوزعونها مجانًا. ويبذلون كل الجهود ليعلّموها ويغووا عبيد الله. ومن قبل هؤلاء وأولئك، كان نشاط الأريوسيين في القرن الرابع الذين لا تزال ذيولهم قائمة إلى يومنا هذا.

ليت أولاد الله عندهم مثل هذا النشاط، ولكن من خدمة الملكوت!

✠ ✠ ✠

العجيب أن إيزابل الخاطئة التي كانت تمثل شعب ثياتيرا، كانت تدعي أنها نبية (رؤ٢: ٢٠). ومثلها كثير من الهراطقة والمبتدعين...

أيضًا بلعام الذي جعل بني إسرائيل يخطئون كان في نظر الناس نبيًا. وكان يقول عن نفسه: "وَحْيُ بَلْعَامَ بْنِ بَعُورَ. وَحْيُ الرَّجُلِ الْمَفْتُوحِ الْعَيْنَيْنِ... الَّذِي يَرَى رُؤْيَا الْقَدِيرِ، مَطْرُوحًا وَهُوَ مَكْشُوفُ الْعَيْنَيْنِ" (عد٢٤: ٣، ٤).

والذين يقول لهم الرب في اليوم الأخير: "إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ" هؤلاء قالوا له: "يَا رَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ" (مت٧: ٢٢، ٢٣).

ومرشدة الأدفنتست الكبري (إلين هوايت) يسمونها نبية أيضًا.

لذلك لا نستغرب إن قيل عن إيزابل إنها تدعي أنها نبية.

بل أكثر من هذا أنه قيل عن ضد المسيح الذي يسبب الارتداد العام في آخر الزمان إنه: "يَجْلِسُ فِي هَيْكَلِ اللهِ كَإِلهٍ" (٢تس٢: ٤).

✠ ✠ ✠

من الكلام الصعب الذي قاله الرب عن إيزابل هذه:

"وَأَعْطَيْتُهَا زَمَانًا لِكَيْ تَتُوبَ عَنْ زِنَاهَا وَلَمْ تَتُبْ" (رؤ٢: ٢١).

يظن البعض أن طول أناة الله على الخطاة لا حدود لها. لذلك فالإنسان في مفهومه يظل يخطئ إلى غير حدّ معتمدًا على طول أناة الله ولطفه وصبره: "غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ" (رو٢: ٤). فإذا لم يتب الإنسان، واستغل طول

أناة الله لكي يرتكب مزيدًا من الشرور، ولكي يسقط غيره، حينئذ "تَذْخَرُ لِنَفْسِكَ غَضَبًا فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلاَنِ دَيْنُونَةِ اللهِ الْعَادِلَةِ" (رو٢: ٥).

انظروا ماذا يقول الرب: "وَأَعْطَيْتُهَا زَمَانًا لِكَيْ تَتُوبَ... وَلَمْ تَتُبْ". ولم يقل مدى الدهر، بل زمانًا...

✠ ✠ ✠

إن فرعون موسى، أعطاه الله زمانًا لكي يتوب. كان مداه عشر ضربات. فلما لم يتم تعرض للهلاك، فهلك.

كان كأس الغضب عليه قد امتلأ.

كذلك كأس الأموريين لما صار كاملًا، أسلمهم الله للهلاك...

إن الله يعطي زمانًا للتوبة، يعطي فرصًا عديدة، يعطي معونة من النعمة وعملًا من الروح القدس. أما إذا رفض الإنسان تمامًا، ولم تصدر منه أية استجابة، حينئذ ينطبق عليهم قول الكتاب: "أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ" (رو١: ٢٨).

أي أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض من النعمة. وتخلى عنهم.

هكذا أعطى شاول الملك زمانًا لكي يتوب فلم يتب. فقيل عنه: "وَذَهَبَ رُوحُ الرَّبِّ مِنْ عِنْدِ شَاوُلَ، وَبَغَتَهُ رُوحٌ رَدِيءٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ" (١صم١٦: ١٤).

احترس إذًا من عبارة: "أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ" (رو٢: ٤). وضع أمامك قول الكتاب:

"هُوَذَا لُطْفُ اللهِ وَصَرَامَتُهُ: أَمَّا الصَّرَامَةُ فَعَلَى الَّذِينَ سَقَطُوا، وَأَمَّا اللُّطْفُ فَلَكَ، إِنْ ثَبَتَّ فِي اللُّطْفِ، وَإِلاَّ فَأَنْتَ أَيْضًا سَتُقْطَعُ" (رو١١: ٢٢). فليرحمنا الله كعظيم رحمته.

✠ ✠ ✠

قال السيد الرب عن إيزابل، إن لم تتب:

"هَا أَنَا أُلْقِيهَا فِي فِرَاشٍ، وَالَّذِينَ يَزْنُونَ مَعَهَا فِي ضِيقَةٍ عَظِيمَةٍ، إِنْ كَانُوا لاَ

يَتُوبُونَ عَنْ أَعْمَالِهِمْ. وَأَوْلاَدُهَا أَقْتُلُهُمْ بِالْمَوْتِ. فَسَتَعْرِفُ جَمِيعُ الْكَنَائِسِ أَنِّي أَنَا هُوَ الْفَاحِصُ الْكُلَى وَالْقُلُوبِ، وَسَأُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ. وَلكِنَّنِي أَقُولُ لَكُمْ وَلِلْبَاقِينَ فِي ثِيَاتِيرَا، كُلِّ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ هذَا التَّعْلِيمُ، وَالَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا أَعْمَاقَ الشَّيْطَانِ، كَمَا يَقُولُونَ: إِنِّي لاَ أُلْقِي عَلَيْكُمْ ثِقْلاً آخَرَ، وَإِنَّمَا الَّذِي عِنْدَكُمْ تَمَسَّكُوا بِهِ إِلَى أَنْ أَجِيءَ. وَمَنْ يَغْلِبُ وَيَحْفَظُ أَعْمَالِي إِلَى النِّهَايَةِ فَسَأُعْطِيهِ سُلْطَانًا عَلَى الأُمَمِ، فَيَرْعَاهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ، كَمَا تُكْسَرُ آنِيَةٌ مِنْ خَزَفٍ، كَمَا أَخَذْتُ أَنَا أَيْضًا مِنْ عِنْدِ أَبِي، وَأُعْطِيهِ كَوْكَبَ الصُّبْحِ. مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ" (رؤ٢: ٢٢- ٢٩).

✠ ✠ ✠

كان الرب قد أعطى الخاطئة إيزابل زمانًا لكي تتوب. وهو أيضًا يعطينا جميعًا زمانًا لكي نتوب. وفي هذا الزمان لا يتركنا بدون مساعدة، بل تفتقدنا فيه النعمة "فِي وَقْتٍ مَقْبُول... وَفِي يَوْمِ خَلاَصٍ" (٢كو٦: ٢). فليتنا نتوب في هذا الزمان، قبل أن تضيع الفرصة، قبل سماع تلك العبارة الرهيبة: "يَا غَبِيُّ! هذِهِ اللَّيْلَةَ تُطْلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ..." (لو١٢: ٢٠). نعم، قبل أن يمتلئ الكأس، أو قبل أن يأتي الرب ويزحزح المنارة من مكانها (رؤ٢: ٥).

إنها فرصة يعطينا الرب إياها لكي نتوب، فلا يأخذنا الآن بغتة. فليتنا نفكر في أبديتنا. ونذكر قول ذلك الشاعر:

قبورنا تُبنى، وما تبنا يا ليتنا تبنا قبل أن تُبنى

✠ ✠ ✠

الخاطئة إيزابل سببت فسادًا وسط الشعب، ولم يقاومها ملاك الكنيسة. فتدخل الرب لكي يقاومها بنفسه.

وهكذا قال: "هَا أَنَا أُلْقِيهَا فِي فِرَاشٍ، (أي أطرحها أرضًا) وَالَّذِينَ يَزْنُونَ مَعَهَا فِي ضِيقَةٍ عَظِيمَةٍ، إِنْ كَانُوا لاَ يَتُوبُونَ عَنْ أَعْمَالِهِمْ. وَأَوْلاَدُهَا أَقْتُلُهُمْ بِالْمَوْتِ" (رؤ٢: ٢٢، ٢٣). هنا تحلّ ساعة العقوبة، ولا منقذ...

وهنا تُعاقب الخاطئة وكل من ينتمي إليها: المحرض والشريك والثمرة. الضربة الإلهية تصيب الكل، ولا ينجو أحد. هي وأولادها وشركاؤها في الإثم. في خطية يونان، كانت الضربة على السفينة وكل من فيها (يون١). وفي عقوبة الطوفان، قال الرب: "أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ... لأُهْلِكَ كُلَّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ..." (تك٦: ٧، ١٧). الكل...

وقال الرب: "فَسَتَعْرِفُ جَمِيعُ الْكَنَائِسِ أَنِّي أَنَا هُوَ الْفَاحِصُ الْكُلَى وَالْقُلُوبِ، وَسَأُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ" (رؤ٢: ٢٣).

إن عبارة "الْفَاحِصُ الْكُلَى وَالْقُلُوبِ" عبارة مخيفة. فليست الأعمال فقط هي التي تقع تحت دينونة، بل ما في داخل الإنسان أيضًا. كل فكر وكل شهوة وكل نية، هي تحت فحص الله ورقابته وحكمه، لا يترك شيئًا. فما دام الله فاحص القلوب، ليتنا ننقي قلوبنا، حتى حينما يفحصها الله يجدها حسب مرضاته.

أما عبارة "سَأُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ" فنفهم منها:

- **أن جزاء الناس في النعيم أو الجحيم ليس واحدًا.**

بل النعيم درجات، والجحيم درجات. فالأعمال تختلف من واحد لآخر.

✠ ✠ ✠

يقول القديس بولس الرسول: "لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا" (٢كو٥: ١٠). والناس تتفاوت فيما تفعله من خير أو شر.

فمن جهة المكافأة للناس الخيرين: يقول الرسول نفسه: "كُلَّ وَاحِدٍ سَيَأْخُذُ أُجْرَتَهُ بِحَسَبِ تَعَبِهِ" (١كو٣: ٨). ويقول عن مكافأة الأبرار بعد القيامة: "لأَنَّ نَجْمًا يَمْتَازُ عَنْ نَجْمٍ فِي الْمَجْدِ" (١كو١٥: ٤١).

أما عن دينونة الأشرار: فقد قال الرب عن كفر ناحوم التي رفضته ولم تتب: "إِنَّ أَرْضَ سَدُومَ تَكُونُ لَهَا حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً يَوْمَ الدِّينِ مِمَّا لَكِ" (مت١١: ٢٤). وقال

نفس العبارة عن صـور وصـيدا (مت١١: ٢٢). وكلمة "أَكْثَرُ احْتِمَالاً" تعني أن هناك عقوبة لا تُحتمل أكثر من غيرها.

أما عن قبول أصحاب الساعة الحادية عشرة وإعطائهم دينارًا كالباقين:

فتعني أن الذين يتوبون في آخر أيامهم سـيدخلون الملكوت كالآخرين. ولكن داخل الملكوت تختلف درجتهم عن غيرهم بحسب أعمالهم.

✠ ✠ ✠

وعبارة "سـأعطي كل واحد منكم بحسـب أعماله" فيها ردّ على الذين يركزون على الإيمان فقط، ولا يعطون أهمية للأعمال!!

ويقولون "آمن فقط"!! كما لو كان مجرد الإيمان بدون أعمال يخلص الإنسان. ولكن الرب هنا يركز على الأعمال، فيما يذكر الفسـاد التي سـببته إيزابل وشـركاؤها وأولادها. كلهم سيلقون في الدينونة، وبخاصة من أغرى غيره وكان سبب عثرة له. لأنه يقول في موضـع آخر: "وَيْلٌ لِذلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ" (مت١٨: ٧). فهؤلاء الذين يتسببون في إسقاط غيرهم، لهم دينونة أعظم بسبب أعمالهم.

✠ ✠ ✠

ولكن على الرغم من الفسـاد الذي سـببته إيزابل في ثياتيرا، كانت هناك بقية لم تنحرف في ذلك التيار. هؤلاء ذكرهم الرب.

فقال عن: "وَلِلْبَاقِينَ فِي ثَيَاتِيرَا، كُلِّ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ هذَا التَّعْلِيمُ، وَالَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا أَعْمَاقَ الشَّـيْطَانِ... إِنِّي لاَ أُلْقِي عَلَيْكُمْ ثِقْلاً آخَرَ" (رؤ٢: ٢٤). حسـن أن الله أبقى له بقية وسـط ذلك الفسـاد لم تنجرف في ذلك الطريق، ولا في ذلك التيار. هؤلاء يذكرهم الرب بمعاملة خاصة.

على الرغم من فسـاد المدينة، حفظ الله له مجموعة مختارة، كما حفظ نوحًا وبنيه أيام الطوفان، وخلصـهم في الفلك، فلم تغرقهم المياه (تك٦). وأيضًـا كما حفظ لوطًا وقت حرق سادوم، وأرسل ملاكًا فأخرجه منها مع بنتيه فنجوا (تك١٩).

وأيضًا في أيام أخآب الملك الشرير وزوجته إيزابل، لم ينسَ الله أن له سبعة آلاف ركبة لم تنحنِ للبعل ولم تعبده (١مل١٩: ١٨).

إن الله يعرف خاصته التي تسمع صوته وتتبعه، ولا تعرف صوت الغرباء بل تهرب منهم (يو١٠: ٥).

✠ ✠ ✠

قال عنهم إنهم "لَمْ يَعْرِفُوا أَعْمَاقَ الشَّيْطَانِ" (رؤ٢: ٢٤).

حسن أن الإنسان الذي يحارب الشيطان، لا يدخل معه إلى الأعماق، ولا يعرف أعماقه. مثال ذلك: شخص يلقي الشيطان في عقله فكرًا شريرًا، أو يلقي في قلبه شهوة رديئة. فيتساهل مع الفكر ويستمر معه ليرى إلى أين ينتهي. وهكذا يدخل إلى أعماقه. فإذا بالفكر يسيطر عليه فلا يستطيع منه فكاكًا. وبالمثل الذي دخل إلى أعماق الشيطان في الشهوة، فدخلت هي إلى أعماقه...

إن الذي يحاول أن يعرف أعماق الشيطان، إنما يقع في حبائله. وكان الأجدر به أن يطرد الفكر والشهوة من بادئ الأمر. فإن مبادئهما تدل على نهايتهما دون التعرف على الأعماق. فليست كل معرفة نافعة. بل إن معرفة أعماق الشيطان ينطبق عليها قول الكتاب: إن "الَّذِي يَزِيدُ عِلْمًا يَزِيدُ حُزْنًا" (جا١: ١٨).

✠ ✠ ✠

يقول الرب للذين لم يجرفهم تيار الفساد: "إِنِّي لاَ أُلْقِي عَلَيْكُمْ ثِقْلاً آخَرَ، وَإِنَّمَا الَّذِي عِنْدَكُمْ تَمَسَّكُوا بِهِ إِلَى أَنْ أَجِيءَ" (رؤ٢، ٢٤، ٢٥).

يكفيكم أنكم لم تسلكوا مثلهم، ولم تقولوا هل نشذ عن الجو العام؟! كل الناس هكذا!

يكفيكم أنكم تحملتم انتقاداتهم لكم لأنكم متدينون، ووصفهم لكم بأنكم رجعيون غير عصريين وغير متحضرين! وأنكم متزمتون لم تذوقوا الحياة بعد! يكفيكم أن هذه الانتقادات وسائر الشتائم لم تستطع أن تحطم معنوياتكم وتغيّر أسلوبكم الصالح. لا أريد أن أزيد عليكم ثقلًا.

إنما تمسكوا بما عندكم إلى أن أجيء.

✠ ✠ ✠

لا تغركم ولا تخدعكم تلك الأغلبية الخاطئة والخائبة. ولا تسيروا وراء التيارات الإباحية والمادية والإلحادية التي تنشرها إيزابل وأمثالها. بل تمسكوا بمبادئكم وقيمكم السامية إلى أن أجيء.

وهنا أود أن أقدم لكم تشبيهًا بسيطًا. سفينة تحطمت في البحر، وكل من فيها غرقوا، ما عدا ثلاثة أو أربعة قد نجوا. وتمسك كل منهم بلوح من الخشب، تجرفه الأمواج، فيعلو ويهبط معها، ويكاد يغرق ثم يرتفع فوق الموج. وقارب النجاة قادم من بعيد، يقول لهؤلاء الناجين لا تيأسوا ولا تستسلموا للغرق. تمسكوا بما عندكم إلى أن أجيء. بينما يصرخ أحدهم: خارت قواي. تعبت كلّت يداي. أكاد أغوص، أغرق. بينما صوت قارب النجاة يشجعه: اصبر قليلًا. اِحتمل، بكل مقاومة، إلى أن أجيء.

آه يا رب، تعالَ ولا تبطئ. "الذينَ يُحْزنُونَنِي يَتهلَّلُونَ إنْ أنَا زَلَلْتُ" (مز١٣: ٤). فيجيبه الرب: لا تخف. تكفيك نعمتي. "نَعَمْ! أَنَا آتِي سَرِيعًا" (رؤ٢٢: ٢٠).

✠ ✠ ✠

يقول الرب: "مَنْ يَغْلِبُ وَيَحْفَظُ أَعْمَالِي إِلَى النِّهَايَةِ فَسَأُعْطِيهِ سُلْطَانًا عَلَى الأُمَمِ، فَيَرْعَاهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ...!" (رؤ٢: ٢٦، ٢٧)

"مَنْ يَغْلِبُ"... إذًا هناك احتمال للغلبة، على الرغم من كل تلك الأجواء المضادة، بل هناك رجاء وتشجيع، ووعود.

وعبارة "مَنْ يَغْلِبُ" تعني من يحفظ أعمالي إلى النهاية. إذًا عليك أن تحفظ أعمال الرب أي تعمل عمله، وتحفظ ذلك إلى النهاية.

لأن هناك أشخاصًا بدأوا ولم يكملوا. أو بدأوا بالروح وكملوا بالجسد! (غلا٣: ٣). هوذا ديماس تلميذ بولس الرسول وشريكه في الخدمة، لم يكمل حتى النهاية. بل يقول عنه القديس بولس: "دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ" (٢تي٤: ١٠). ونيقولاوس الشماس (أع٦: ٥) بدأ بالروح، ولم يكمل وهلك (رؤ٢: ١٥).

لهذا يقول الرب: "الَّذِي يَصْـــبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ" (مت٢٤: ١٣). إنسان تضغط عليه الضيقة، أو تضغط عليه الحرب الروحية، فيصبر. ثم يزداد عليه الضـغط، فيصـبر أيضًـا. وبعد ذلك يشـتد الضـغط بالأكثر وتطول مدته، فيخور هذا الإنسان ويضعف ولكن يشجعه الرب على أن يصبر إلى المنتهى ليخلص...

✠ ✠ ✠

لعله يقول: صبرت إلى أن يجيء الرب. والرب لم يأتِ!

كلا يا أخي. الرب لا بد ســـيجيء، ولو في الهزيع الرابع من الليل. ربما ما تظنه تأخيرًا، هو اختبار لإيمانك واختبار لصـبرك. ليتك تذكر قول الشـاعر: صـبرتُ حتى ملّني الصـبر! أو اذكر قول داود في المزمور: "اِنْتظَرَتْ نَفسـي الرّبَّ مِن مَحرسَ الصُبّحِ إِلىَ الْلَيلِ" (مز١٣٠: ٦). وقوله أيضًا: "انْتَظِرِ الرَّبّ. تَقوَّ وليتَشَدَّدْ قلْبكَ وانْتَظِر الرَّبِّ" (مز٢٧: ١٤).

على أن عبارة "**يَحْفَظُ أَعْمَالِي إِلَى النِّهَايَةِ**" ربما يقصـــد بها النوعية، نوعية العمل، وليس الوقت. أي يحفظها إلى درجة الكمال. ويشــبه هذا قول الرب: "كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ" (رؤ٢: ١٠).

فما هي مكافأة هذه الأمانة، وحفظ أعماله إلى النهاية؟

✠ ✠ ✠

يقول: "سَأُعْطِيهِ سُلْطَانًا عَلَى الأُمَمِ، فَيَرْعَاهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ، كَمَا تُكْسَرُ آنِيَةٌ مِنْ خَزَفٍ، كَمَا أَخَذْتُ أَنَا أَيْضًا مِنْ عِنْدِ أَبِي".

الأمم هم الغرباء، الأجناس الأخرى Gentiles. ونريد أن نأخذ هذه الكلمة هنا بمعناها الرمزي أو الروحي، أي كل ما هو غريب عن ملكوت الله وروحانية طريقه. كل فكر غريب، كل شهوة غريبة، كل تعليم غريب... هذا يعطيك الله سلطانًا عليه.

"فَيَرْعَاهُمْ بِقَضِـــيبٍ مِنْ حَدِيدٍ" ليس معناها الرعاية، إنما معناها يطردهم. وهذا يتفق مع قوله: "كَمَا تُكْسَرُ آنِيَةٌ مِنْ خَزَفٍ".

وهذا يتفق أيضًا مع قوله: "كَمَا أَخَذْتُ أَنَا أَيْضًا مِنْ عِنْدِ أَبِي". وأين أخذ؟ نقرأ هذا في المزمور الثاني: "أَنْتَ ابْنِي. وَأَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. اِسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ وَسُلطَانكَ إِلَّى أَقْطَارِ الأَرْضِ" (مز ٢: ٧، ٨).

فهل أنت يا أخي تطرد الأمم من فكرك وقلبك. وتطردهم بكل شدة وحزم، تكسرهم كآنية الفخار. أم أنت تصرخ إلى الرب وتقول: "اَللَّهُمَّ، إِنَّ الأُمَمَ قَدْ دَخَلُوا مِيرَاثَكَ. نَجَّسُوا هَيْكَلَ قُدْسِكَ" (مز ٧٩: ١)! إذًا أين السلطان الذي أعطاك الله إياه، لتطردهم بقضيب من حديد؟!

إذا وجدت نقاوتك مهددة، فاستخدم قضيبًا من حديد، وأطرد من هيكلك كل فكر يتعارض مع مشيئة الله، لأنه فكر غريب.

✠ ✠ ✠

يقول الرب عن هذا المجاهد: "وَأُعْطِيهِ كَوْكَبَ الصُّبْحِ" (رؤ ٢: ٢٨).

هذا الكوكب الذي يظهر في آخر الليل، ليكون أول بشائر النور والصباح. أي أنقذه من الظلمة المحيطة به، ويشرق النور على حياته.

"كَوْكَبَ الصُّبْحِ" هو أيضًا لقب من ألقاب السيد المسيح. كما يقول في آخر سفر الرؤيا: "أَنَا أَصْلُ وَذُرِّيَّةُ دَاوُدَ. كَوْكَبُ الصُّبْحِ الْمُنِيرُ" (رؤ ٢٢: ١٦). إذًا عبارة "أعطيه كوكب الصبح" تعني هنا: أعطيه ذاتي. أي أدخل إلى حياته، أغيرها، أحولها من الظلمة إلى النور.

لا تيأس إذًا إن ضغطت عليك الظلمة. إن فقدت كل صلواتك ومزاميرك وقراءاتك. ولم تبقِ لك سوى عبارتين فقط: "يا رب نجّ نفسي. يا رب لا تسمح أن أنفصل عنك". الرب سيقبل منك هاتين العبارتين ويقول لك في رجاء "تمسك بما عندك إلى أن آجيء". وحينئذ سوف أردك إلى رتبتك الأولى.

اكتب إِلَى مَلاك الكنيسَة التي في سَاردس

قال السيد الرب للقديس يوحنا الرائي:

"اكْتُبْ إِلَى مَلاَكِ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي سَارْدِسَ: هذَا يَقُولُهُ الَّذِي لَهُ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ وَالسَّبْعَةُ الْكَوَاكِبُ: أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ، أَنَّ لَكَ اسْمًا أَنَّكَ حَيٌّ وَأَنْتَ مَيْتٌ. كُنْ سَاهِرًا وَشَدِّدْ مَا بَقِيَ، الَّذِي هُوَ عَتِيدٌ أَنْ يَمُوتَ، لأَنِّي لَمْ أَجِدْ أَعْمَالَكَ كَامِلَةً أَمَامَ اللهِ. كُنْ سَاهِرًا وَشَدِّدْ مَا بَقِيَ، الَّذِي هُوَ عَتِيدٌ أَنْ يَمُوتَ، لأَنِّي لَمْ أَجِدْ أَعْمَالَكَ كَامِلَةً أَمَامَ اللهِ. عِنْدَكَ أَسْمَاءٌ قَلِيلَةٌ فِي سَارْدِسَ لَمْ يُنَجِّسُوا ثِيَابَهُمْ، فَسَيَمْشُونَ مَعِي فِي ثِيَابٍ بِيضٍ لأَنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ. مَنْ يَغْلِبُ فَذلِكَ سَيَلْبَسُ ثِيَابًا بِيضًا، وَلَنْ أَمْحُوَ اسْمَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَسَأَعْتَرِفُ بِاسْمِهِ أَمَامَ أَبِي وَأَمَامَ مَلاَئِكَتِهِ. مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ" (رؤ٣: ١– ٦).

✠ ✠ ✠

هذَا يَقُولُهُ الَّذِي لَهُ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ وَالسَّبْعَةُ الْكَوَاكِبُ.

عبارة "سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ" أي السبعة أرواح التي لله، التي تخدمه، وتأتمر بأمره وتنفذ مشيئته. ونضع أمام هذه العبارة قول الكتاب: "الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحًا" (مز١٠٤: ٤).

إذا هم سبعة ملائكة، أي هم رؤساء الملائكة السبعة: ميخائيل وغبريال ورافائيل وسوريال، وباقي السبعة. وقد ورد في الأصحاح الثامن في سفر الرؤيا: "وَرَأَيْتُ السَّبْعَةَ الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ يَقِفُونَ أَمَامَ اللهِ" (رؤ٨: ٢). هؤلاء هم من أطلق عليهم "سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ" أي السبعة الأرواح التي له، يرسلها في مهام أساسية كما ورد في مواضيع كثيرة من هذا السفر.

أما السبعة الكواكب فهم ملائكة الكنائس السبع (رؤ١: ٢٠).

إذًا يقصد بالمجموعتين: خدامه السمائيين والأرضيين.

يقول لملاك كنيسة ساردس: أنا عارف أعمالك.

إن لك اسمًا أنك حي وأنت ميت!

وعبارة "مَيْتٌ" تعني ميت بالخطية. كما يقول الكتاب: "كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا" (أف٢: ١) "وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ" (أف٢: ٥). وكما قال الآب في عودة ابنه الضـــال: "ابْنِي هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ" (لو١٥: ٢٤، ٣٢). إذًا فهذه الرسالة مرسلة إلى شخص خاطئ.

هنا وأعجب كيف يدعوه الرب ملاكًا على الرغم من أنه خاطئ!

بل وصلت درجة خطيئته إلى مستوى ميت. والرب في رسالته إليه يدعوه إلى التوبة، وينذره إن لم يتب (رؤ٣: ٣). ويقول له: "لَمْ أَجِدْ أَعْمَالَكَ كَامِلَةً أَمَامَ اللهِ".

عجيب هو الرب في حفظه لكرامة الرعاة التابعين له!

ما زال يدعو راعي ساردس ملاكًا، ويعهد إليه بمهام يقوم بها، ويريه أن التوبة ممكنة، وكذلك إمكانية أن يغلب. مبارك أنت يا رب...

✠ ✠ ✠

لكن ما معنى "أَنَّ لَكَ اسْمًا أَنَّكَ حَيٌّ وَأَنْتَ مَيْتٌ"؟

معناها إنك حيّ أمام الناس بشكل من الرياء تظهر فيه بغير حقيقتك الداخلية. أو بسـبب أن الناس يحكمون حسـب الظاهر الذي يرونك فيه حيًا. بينما الله الفاحص القلوب، والعارف الخفايا والعيوب، يراك ميتًا. وهنا يقول له الرب: ربما لك اســـم، لك شـهرة، لك سـمعة طيبة وسـط الناس. ولكني لا آخذ بأحكام الناس التي قد تكون عن جهل، أو عن مجاملة... أنت ميت.

✠ ✠ ✠

يذكرنا هذا بما يُقال في الجنازات أو التعزيات:

يقف أحد الوعاظ ويشـــيد بحياة المتوفي، ويقول: اليوم قد اِنتقل إلى الأمجاد السماوية!! أو إلى الفردوس، أو إلى مجمع القديسين والأبرار، إنسان خسرته الكنيسة المجاهدة، وإن كانت قد ربحته الكنيســة المنتصــرة في الســماء! اليوم فُتحت أبواب السماء لتقبل هذه النفس التي تزفها الملائكة في تهليل وفرح!

يضاف إلى هذا، ما يُنشر في الجرائد في صفحة التعزيات عن وصول روح الميت إلى أحضـــان آبائنا إبراهيم وإســـحاق ويعقوب. وما يقال لأهل الميت: لماذا تحزنون عليه، وهو الآن في فرح ونعيم؟!

كل ذلك يُقال للتعزية أو للمجاملة، بينما الله يعرف حقيقة الأمر، وهل وصـــل الميت إلى ما يدعيه المجاملون أم لم يصل...

✠ ✠ ✠

ومع أن الرب يرى أن راعي كنيسة ساردس هو شخص ميت، إلا أنه يرسل له رسالة، ويقول له: "كُنْ سَاهِرًا وَشَدِّدْ مَا بَقِيَ" (٣: ٢).

كيف يكون ساهرًا، وهو ميت؟! وكيف يشدد ما بقيَّ ممن هو عتيد أن يموت، بينما هو محتاج إلى من يشدده؟

يذكرني هذا الأمر بما قاله الرب لبطرس الرسـول في موقف مشـابه: قال له: "سِمْعَانُ، سِمْعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ" (لو٢٢: ٣١، ٣٢).

كيف أن هذا الرســـول الذي يحتاج إلى طلبة من الرب لكي لا يفنى إيمانه، والذي ســينكر المســيح ثلاث مرات، وقد غربله الشــيطان كالحنطة... كيف إذا رجع يثبّت إخوته؟!

ربما بأن يأخذوا درسًـــا بقبول الرب لتوبته، وبحنوه عليه. وبقوله له: – على الرغم من سقطته – تثبّت أخوتك.

ما أعجب الرب في معاملته لملائكة الكنائس السبع، حتى في سقوطهم!

✠ ✠ ✠

يقول له: أنت ميت، ولكنك لا تزال من ملائكة الكنائس الســـبع! وأنا لا أزال ممسكًا بك في يميني (رؤ١: ١). "لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ" (يش١: ٥).

احتفظ لك بكرامتك ومكانتك، واحتفظ لك بوظيفتك. على الرغم من أنك محتاج إلى توبة. ولكنك لا تزال في ذاكرتي وتحت رعايتي. وأمامك مجال أن تتوب. وأنت

الذي أعهد إليه بأن يشـدد ما بقى الذي هو عتيد أن يموت... ما أعجب هذا التشـجيع من جانب الرب!

✠ ✠ ✠

إنه يشجع هذا الميت، وينفخ فيه نسمة حياة.

إن معجزاته في إقامة الموتى، ليست لموتى الأجساد فقط، بل أيضًا للموتى بالذنوب والخطايا.

أليس هو القائل لمرثا: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا" (يو١١: ٢٥). وكأنه يقول لملاك كنيسة ساردس: أنت ميت، ولكني سأعطيك حياة من عندي. ثم أقول عنك: "ابْنِي هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ" (لو١٥: ٢٤). إن ملاك سـاردس يذكرنا بقول السـيد الرب عن ابنة يايرس إنها لم تمت ولكنها نائمة (لو٨: ٥٢). قال لها: قُومِي! فَرَجَعَتْ رُوحُهَا وَقَامَتْ فِي الْحَالِ (لو٨: ٥٤، ٥٥).

✠ ✠ ✠

يعلمنا ربنا بهذا، أننا لا نيأس مهما كانت حالتنا.

حتى إن يأسنا بسبب موتنا، لا نيأس من قدرته على إعادة الحياة إلينا.

وكما نؤمن بقيامة الأموات، نؤمن بمحبة الله القادر على كل شـيء، الذي يسـتطيع أن يدير دفة حياتنا ويحولها إليه، كما فعل من قبل مع أغسـطينوس وموسـى الأسود ومريم القبطية وآخرين وأخريات.

وبكلامه إلى ملاك كنيسة ساردس، برهن عمليًا على أنه: "قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً مُدَخِّنَةً لاَ يُطْفِئُ" (مت١٢: ٢٠) (إش٤٢: ٣).

ملاك كنيسة ساردس، كان هنا مثل يهوشع الكاهن العظيم الذي كان الشيطان قائمًا ليقاومه، وتحنن عليه ملاك من طائفة الأرباب وقال عنه: "أَفَلَيْسَ هذَا شُـعْلَةً مُنْتَشَـلَةً مِنَ النَّارِ؟" (زك٣: ١، ٢). وحينئذ وضـعوا على رأسـه عمامة طاهرة وألبسـوه ثيابًا مزخرفة (زك٣: ٤، ٥).

نعم، كان هذا الإنسان على وشك أن يحترق، ولكنه انتشل من النار.

✠ ✠ ✠

يقول له الرب: كن ساهرًا وشدد ما بقى العتيد أن يموت.

السيد الرب نفسه كان يفعل هكذا، ويسهر على حياة وخلاص البشرية، ويشدد ما بقى. كان العالم قد فسد كله وانتشر الفساد في الأرض، حتى باد الكل بالطوفان. ولكن الله شدد ما بقى، وأقام له بقية في نوح وبنيه. وكذلك فسدت سادوم واستحقت حرقها بالنار. ولكن الرب شدد ما بقى، وحفظ لنفسه لوطًا وأسرته (تك١٩).

وجاء وقت قال فيه الرب لإرميا النبي: "طُوفُوا فِي شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ وَانْظُرُوا، وَاعْرِفُوا وَفَتِّشُوا فِي سَاحَاتِهَا، هَلْ تَجِدُونَ إِنْسَانًا أَوْ يُوجَدُ عَامِلٌ بِالْعَدْلِ طَالِبُ الْحَقِّ، فَأَصْفَحَ عَنْهَا؟" (أر٥: ١). مجرد إنسان واحد يا رب!!

وغضب الرب على الشعب، فألقاه في السبي. ومع ذلك شدّد له بقية حتى داخل السبي، منها دانيال والثلاثة فتية، وحزقيال وزربابل.

ووقت القبض على السيد المسيح، هرب الكل. ولكن الرب أبقى له بقية، وشددها فوقفت حول الصليب: منها القديسة العذراء، ويوحنا الحبيب، ومريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية (يو١٩: ٢٥). وأبقى له يوسف الرامي ونيقوديموس، وشددهما ليكفنا الجسد المقدس ويدفناه (يو١٩: ٣٨- ٤٢).

✠ ✠ ✠

ثم يقول الرب لملاك كنيسة ساردس:

"فَاذْكُرْ كَيْفَ أَخَذْتَ وَسَمِعْتَ، وَاحْفَظْ وَتُبْ" (رؤ٣: ٣).

عجيب أن هذا الإنسان – كغيره من المحتاجين إلى توبة – قد سبق له أنه أخذ وسمع! أخذ هذه المسئولية، وأخذ الكثير من مواهب الله وعطاياه: أخذ الولادة الجديدة في المعمودية (يو٣: ٥) (تي٣: ٥). وأخذ الروح القدس في المسحة المقدسة، وأخذ المغفرة في سرّ التوبة، وأخذ الثبات في المسيح في سرّ الإفخارستيا (يو٦: ٥٦) ... وأخذ معونات من الله لا تُحصى، وبدونه ما كان يستطيع أن يعمل شيئًا (يو١٥: ٥).

وكما أخذ سمع أيضًا: سمع وصاياه وأقواله، في الكنيسة وفي الإنجيل. وسمع أخبار القديسين ودالتهم مع الله. وعلى الرغم من كل ذلك، هو محتاج إلى التوبة...

إنه يذكرنا بسليمان الملك: أخذ من الله حكمة إلهية، وأخذ جلالًا ملوكيًا لم يكن لأحد مثله، وأخذ غنى وكرامة (١مل٣، ٤). ومع كل ذلك سقط (١مل١١: ٤). وكان محتاجًا إلى توبة..

عبارة "اذْكُرْ" يقولها الرب لنا، لأننا كثيرًا ما ننسى إحساناته إلينا ونعصاه...

✠ ✠ ✠

اذكر، وتب. فكل نعمة تأخذها، تقابلها مسئولية عليك.

أبونا آدم لم يذكر أن الله خلقه على صورته، ووضعه في جنة عدن، وباركه، وسلّطه على كل طيور السماء وسمك البحر وحيوانات البرية... ومن أجل ثمرة واحدة، نسى كل إحسانات الله، ونسى وصيته أيضًا.

وداود النبي نسى أيضًا إحسانات الله إليه، وما منحه من جمال ومن موهبة في الموسيقى والشعر، واختاره دون كل إخوته ليمسحه ملكًا بيد النبي صموئيل... وكان محتاجًا أن يذّكره الرب بكل هذا على فم ناثان النبي. فقال له الرب: "أَنَا أَخَذْتُكَ مِنَ الْمَرْبَضِ مِنْ وَرَاءِ الْغَنَمِ لِتَكُونَ رَئِيسًا عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. وَكُنْتُ مَعَكَ حَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ، وَقَرَضْتُ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مِنْ أَمَامِكَ، وَعَمِلْتُ لَكَ اسْمًا عَظِيمًا كَاسْمِ الْعُظَمَاءِ الَّذِينَ فِي الأَرْضِ..." (٢صم٧: ٨، ٩).

ليتنا إذًا نذكر، لأن خطايا كثيرة سببها النسيان...

يقول: اسهر واذكر، لأنك "لاَ تَعْلَمُ أَيَّةَ سَاعَةٍ أُقْدِمُ عَلَيْكَ".

إن الله يطلب من الراعي أن يسهر، ليس فقط من أجل رعيته، بل أيضًا من أجل خلاص نفسه. وما أكثر الآيات عن وجوب السهر:

يقول الرب: "اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ" (مت٢٦: ٤١).

ويعاتب تلاميذه قائلًا: "أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟" (مت٢٦: ٤٠). ويقول: "اِسْهَرُوا وَصَلُّوا، لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ... لِئَلاَّ

يَأْتِيَ بَغْتَةً فَيَجِدَكُمْ نِيَامًا!" (مر١٣: ٣٣، ٣٦). لذلك يقول: "طُوبَى لأُولَئِكَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ سَاهِرِينَ" (لو١٢: ٣٧).

ويقول القديس بطرس الرسول: "اُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ" (١بط٥: ٨).

حقًا، إن الذي يسهر على خلاص نفسه، وتكون له باستمرار اليقظة الروحية، هذا يكون أمينًا في علاقته بالله، وأمينًا على أبديته.

✠ ✠ ✠

هذا لا يجعل ضميره ينام، ولا قلبه ينام...

صدق أحد الآباء حينما قال في صلاته: "لا تأخذني يا رب في ساعة غفلة" أي وأنا غير ملتفت إلى روحياتي، وغير سهران على خلاص نفسي.

قال الرب لملاك تلك الكنيسة:

"فَإِنِّي إِنْ لَمْ تَسْهَرْ، أُقْدِمْ عَلَيْكَ كَلِصٍّ، وَلاَ تَعْلَمُ أَيَّةَ سَاعَةٍ أُقْدِمُ عَلَيْكَ. عِنْدَكَ أَسْمَاءٌ قَلِيلَةٌ فِي سَارْدِسَ لَمْ يُنَجِّسُوا ثِيَابَهُمْ، فَسَيَمْشُونَ مَعِي فِي ثِيَابٍ بِيضٍ لأَنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ. مَنْ يَغْلِبُ فَذلِكَ سَيَلْبَسُ ثِيَابًا بِيضًا، وَلَنْ أَمْحُوَ اسْمَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَسَأَعْتَرِفُ بِاسْمِهِ أَمَامَ أَبِي وَأَمَامَ مَلاَئِكَتِهِ. مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ" (رؤ٣: ٣- ٦).

✠ ✠ ✠

يقول له: "إِنْ لَمْ تَسْهَرْ، أُقْدِمْ عَلَيْكَ كَلِصٍّ".

عجيب هنا أن يشبه الرب نفسه بلص! ولكن في أوجه شبه معينة فقط. منها أنه يقدم عليه في ساعة لا يتوقعها. وهكذا قال له: "وَلاَ تَعْلَمُ أَيَّةَ سَاعَةٍ أُقْدِمُ عَلَيْكَ". إنه الموت. من يعلم ساعته؟!

واللص يأتي ليأخذ. وهكذا الموت يأتي ليأخذ الروح، كما قال الرب للغني الغبي: "هذِهِ اللَّيْلَةَ تُطْلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ" (لو١٢: ٢٠). غير أن اللص يأخذ ما لا حق له فيه. ولكن الله يأخذ الروح التي قد أعطاها (جا١٢: ٧).

اللص يأتي لغير الساهرين. أما الساهرون فلا يطرق بيوتهم. لذلك قال الرب لراعي كنيسة ساردس: "إِنْ لَمْ تَسْهَرْ، أُقْدِمْ عَلَيْكَ كَلِصٍّ".

ليتنا نكون دائمًا ساهرين على خلاص نفوسنا. كما قال الرب: "طُوبَى لأُولَئِكَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ سَاهِرِينَ" (لو١٢: ٣٧).

✠ ✠ ✠

الرب بعد ما بكّت ملاك كنيسة ساردس، بأن أعماله ليست كاملة أمام الله، وأن له اسمًا أنه حي وهو ميت، عاد يطمئنه بنقطة بيضاء في كنيسته، بقوله: "عِنْدَكَ أَسْمَاءٌ قَلِيلَةٌ فِي سَارْدِسَ لَمْ يُنَجِّسُوا ثِيَابَهُمْ".

إنه درس لنا في عدم التركيز على النقط السوداء في أي إنسان أو أية جماعة، وإنما نذكر النقط البيضاء أيضًا، إن وُجدت.

فهذا هو أسلوب الرب حتى مع أشر الخطاة. كما في حديثه مع المرأة السامرية، التي كان لها "خمسة أزواج، والذي لها الآن ليس هو زوجها". هذه امتدح فيها شيئًا، فقال لها: "حَسَنًا قُلْتِ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ... هذَا قُلْتِ بِالصِّدْقِ" (يو٤: ١٧، ١٨). والمرأة الخاطئة التي بللت قدميه بدموعها في بيت الفريسي، إلى جوار خطاياها الكثيرة، وجد فيها شيئًا صالحًا وهو أنها "أحبت كثيرًا". فقال: "قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ، لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا" (لو٧: ٤٧).

حقًا إن ذكر الشيء الحسن في حياة الإنسان الشرير، يدل على مبدأين هامين هما: العدل وعدم التركيز على أنصاف الحقائق من جهة، وعلى تشجيعه للتوبة من جهة أخرى. وبناء على هذا، ماذا قال الرب لملاك كنيسة ساردس؟

✠ ✠ ✠

قال له: "عِنْدَكَ أَسْمَاءٌ قَلِيلَةٌ فِي سَارْدِسَ لَمْ يُنَجِّسُوا ثِيَابَهُمْ" (رؤ٣: ٤).

هؤلاء القليلون يعرفهم الرب بأسمائهم. حقًا كما قال الرب في العظة على الجبل: "مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!" (مت٧: ١٤) من هؤلاء القليلين الأسماء التي في ساردس التي لم تتنجس.

هذه الأسماء القليلة لم يجرفها التيار العام الشرير، ولم تتبع الأقلية المخطئة. كانوا مثل دانيال والثلاثة فتية في أرض السبي (دا٣: ٦). وكانوا مثل إيليا وعوبديا أيام أخآب الملك الشرير وزوجته إيزابل (١مل١٨). وكانوا مثل موسى ويشوع في برية سيناء (خر ٣٢).

إن العبرة ليست بالكثرة، بل المهم في الأقلية المخلصة للرب.

في وقت الصلب، ركزّ الكتاب على الأقلية التي وقفت حول الصليب (يو١٩: ٢٥)، وانضم إلى تلك الأسماء القلائل يوسف الرامي، ونيقوديموس.

وتلك الأسماء القليلة، كان الرب يعرفها بأسمائها.

✠ ✠ ✠

الأسماء القليلة التي في ساردس لم ينجسوا ثيابهم.

إن الخطية نجاسة. حتى الكلمة البطالة التي تخرج من فم الإنسان، تنجس الإنسان (مر٧: ١٥). والنجاسة تمنع من دخول الملكوت.

وهنا نسأل: حقًا من منا لم يتنجس؟! ولم ينجس ثيابه؟!

إننا نقول كل يوم في صلاة المزمور الخمسين: " تَنضَحُ عَليَّ بِزُوفَاكَ فأطَّهَّرُ، تَغْسِلُنِي فَأبْيضُّ أكْثَرَ مِنَ الثَّلجِ" (مز ٥١: ٧). ولماذا نقول ذلك؟ أليس لأننا نجسنا ثيابنا؟! ونقول في القداس الإلهي: "طهرّ نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا". ولماذا نطلب هذا؟ أليس لأنها كلها قد تنجست بالخطية؟! وتنجست مرات عديدة لا تُحصى!

والقديس يوحنا الحبيب يقول في رسالته الأولى: "إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (١يو١: ٩). فما معنى يطهرنا من كل إثم؟ إلا أن كل إثم هو نجاسة تحتاج إلى تطهير! وهكذا أيضًا قوله: "وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ" (١يو١: ٧).

✠ ✠ ✠

نعترف أمامك أيها السيد الرب: لقد أعطيتنا ثوبًا أبيض يوم معموديتنا، ولكننا نجسناه. وأعطيتنا ثوبًا أبيض آخر في ساعة التوبة والندم وانسكاب النفس أمام الله.

وهذا أيضًا نجسناه. وأعطيتنا ثوبًا يوم نضحت علينا بزوفاك فطهرنا. ولكننا رجعنا مرة أخرى فاتسخنا وتنجست ثيابنا!!

أما تلك الأسماء القليلة في ساردس، فلم ينجسوا ثيابهم، بل هم الذين قد احتفظوا بطهارتهم وقداستهم وبتوليتهم. هؤلاء هم المعروفون منك بالاسم، كما تقول: أعرف خرافي وأناديها بأسمائها (يو١٠).

هؤلاء سيمشون معك في ثياب بيض، لأنهم مستحقون.

ولكن ماذا يفعل يا رب كل من قد نجس ثيابه؟

هل سوف يُحرم من دخول الملكوت مثل هؤلاء المستحقين أصحاب الثياب البيض؟! كلا يا رب، فأنت لا تشاء موت الخاطئ، بل أن يرجع ويحيا (حز١٨: ٢٣).

هذا الذي تنجست ثيابه، يصرخ إليك قائلًا: أعطني ثيابًا أخرى نقية. "قَلْبًا نَقيًا أَخْلقْ في يَا الله، ورُوحًا مُسْتَقيمًا جدِّدهُ في أَحْشَائِي" (مز٥١: ١٠). أعطنا ثوبًا أبيض من عندك، وأعطنا أن نحتفظ بنقاوته، فلا يتنجس مرة أخرى. نريد أن نحتفظ بنقاوة ثيابنا حتى نمشي معك مع أولئك المستحقين. ليس كمستحقين، بل كمحتاجين. لأننا نسجد في اِنسحاق عند قدميك ونعترف:

من منا منذ أن وُلد مرة أخرى في المعمودية، قد اِحتفظ ببياض ثوبه حتى الآن، وسيحتفظ بالثوب الأبيض حتى الوفاة!! بل من منا اِستطاع أن يحتفظ بثوبه الأبيض منذ توبته، فلم يتنجس مرة أخرى.

✠ ✠ ✠

يقول الرب: "فَسَيَمْشُونَ مَعِي فِي ثِيَابٍ بِيضٍ لأَنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ" (رؤ٣: ٤).

ويقول: "مَنْ يَغْلِبُ فَذلِكَ سَيَلْبَسُ ثِيَابًا بِيضًا" (رؤ٣: ٥).

فما هو رمز تلك الثياب البيض؟

❖ الملابس البيض تذكّرنا بثياب الملائكة الذين كانوا يظهرون في ثياب بيض، كما قيل عن ملائكة القيامة الذين رآهم النسوة في ثياب بيض. فالملاك الذي

دحرج الحجر عن فم القبر كان: "لِبَاسُهُ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ" (مت٢٨: ٣). والنسوة حاملات الطيب، لما دخلن القبر رأين ملاكًا: "جَالِسًا عَنِ الْيَمِينِ لاَبِسًا حُلَّةً بَيْضَاءَ" (مر١٦: ٥). ومريم المجدلية لما اِنحنت لتنظر القبر: "نَظَرَتْ مَلاَكَيْنِ بِثِيَابٍ بِيضٍ جَالِسَيْنِ وَاحِدًا عِنْدَ الرَّأْسِ وَالآخَرَ عِنْدَ الرِّجْلَيْنِ" (يو٢٠: ١٢).

❖ ويوحنا الرائي رأى الرب في السماء: "وَالأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ كَانُوا يَتْبَعُونَهُ عَلَى خَيْلٍ بِيضٍ، لاَبِسِينَ بَزًّا أَبْيَضَ وَنَقِيًّا" (رؤ١٩: ١٤).

✠ ✠ ✠

والثياب البيض كما هي ثياب الملائكة هي أيضًا ثياب الآباء الكهنة، والثياب التي ظهر بها الشهداء، والأبرار الذين بيضّوا ثيابهم في دم الخروف (رؤ٧: ١٤).

❖ فيقول القديس يوحنا في سفر الرؤيا عن الأربعة والعشرين قسيسًا حول العرش الإلهي: "وَحَوْلَ الْعَرْشِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ عَرْشًا. وَرَأَيْتُ عَلَى الْعُرُوشِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ شَيْخًا جَالِسِينَ مُتَسَرْبِلِينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ، وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ أَكَالِيلُ مِنْ ذَهَبٍ" (رؤ٤: ٤).

❖ وقال عن نفوس الشهداء الذين قتلوا من أجل كلمة الله، وكانوا تحت المذبح: إنهم "أُعْطُوا كُلُّ وَاحِدٍ ثِيَابًا بِيضًا، وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ يَسْتَرِيحُوا زَمَانًا يَسِيرًا أَيْضًا حَتَّى يَكْمَلَ الْعَبِيدُ رُفَقَاؤُهُمْ، وَإِخْوَتُهُمْ أَيْضًا، الْعَتِيدُونَ أَنْ يُقْتَلُوا مِثْلَهُمْ" (رؤ٦: ١١).

❖ ويقول القديس يوحنا الرائي: "بَعْدَ هذَا نَظَرْتُ وَإِذَا جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ، مِنْ كُلِّ الأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالأَلْسِنَةِ، وَاقِفُونَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْخَرُوفِ، مُتَسَرْبِلِينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعَفُ النَّخْلِ" (رؤ٧: ٩) وقيل له: "هؤُلاَءِ الْمُتَسَرْبِلُونَ بِالثِّيَابِ الْبِيضِ... هُمُ الَّذِينَ أَتَوْا مِنَ الضِّيقَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ غَسَّلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوا ثِيَابَهُمْ فِي دَمِ الْخَرُوفِ" (رؤ٧: ١٣، ١٤).

❖ فهل أنت يا أخي متسربل بثوب أبيض كهؤلاء؟ ليت كل واحد منا يتأمل ثوبه، ويرى هل هو أبيض، أم كثرت فيه البقع، أم اِتسخ؟ أم تنجس؟

✠ ✠ ✠

قال الرب "سَيَمْشُونَ مَعِي... لأَنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ".

عجبًا. من ذا الذي يكون مستحقًا أن يمشي مع الرب، هذا الذي قيل عنه أنه: "سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ" (١تي٦: ١٦) هذا الذي عندما سلّم الوصايا، كان الشعب مرتعدًا من أن يكلمه، فقالوا لموسى النبي: "تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَنَسْمَعَ. وَلاَ يَتَكَلَّمْ مَعَنَا اللهُ لِئَلاَّ نَمُوتَ" (خر٢٠: ١٩).

نسمع عن أخنوخ: "وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ" (تك٥: ٢٤). ولكن من مثل أخنوخ. ونسمع عن إيليا النبي الذي صعد إلى السماء في مركبة نارية (٢مل٢: ١١). وعن موسى النبي الذي قضى أربعين يومًا مع الله على الجبل. نسمع عن هذين الاثنين أنهما ظهرا على جبل التجلي يتكلمان مع الرب (مر٩: ٤). ولكن مَنْ مِن الناس في درجة موسى أو إيليا، اللذين ظهرا مع الرب.

✠ ✠ ✠

ويشهد الرب لأصحاب هذه الأسماء القليلة أنهم مستحقون.

إنها شهادة من فم الرب نفسه، حقيقية وغالية جدًا.

كثير من الناس يشهدون بكلمات مديح أو مجاملة، ولكنهم لا يعرفون حقيقة من يمدحونه وما في قلبه، ولكن يعرفها حقًا: "الْفَاحِصُ الْكُلَى وَالْقُلُوبِ" (رؤ٢: ٢٣). فإن كان فاحص القلوب يقول عن جماعة: إنهم مستحقون، فما أغلاها شهادة وما أصدقها.

لقد شهد الرب شهادات مماثلة لبعض قديسيه.

شهد ليوحنا المعمدان أنه أفضل من نبي، وأنه ملاك، وأنه أعظم من قد ولدته النساء (مت١١: ٩- ١١). وشهد في العهد القديم عن أيوب الصديق أنه رجل كامل ومستقيم، يتقي الله ويحيد عن الشر، وليس مثله في الأرض (أي١: ٨) (أي٢: ٣). وشهد الرب لصاحب الخمس وزنات ولصاحب الوزنتين بقوله لكل منهما: "نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ! كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ" (مت٢٥: ٢١، ٢٣).

ليتنا نهتم بشـــهادة الرب عنا في يوم الدين، وليس بشـــهادات البشـــر الذين يحكمون حسب الظاهر! أما القلب فيعرفه الله فاحص القلوب...

✠ ✠ ✠

صدقوني، إنه تواضع من الرب أن يقول عن البعض إنهم مستحقون!

من فينا مستحق؟! ألم يقل الكتاب: "الْكُلُّ قَدْ زَاغُوا مَعًا، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَـــلاَحًا، لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ" (مز ١٤: ٣). وفي العهد الجديد يقول الرســول: "إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِـلُّ أَنْفُسَـنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا" (١يو ١: ٨). ونحن نقول في صـلواتنا: "كرحمتك يا رب ولا كخطايانا"! ودخولنا إلى الملكوت يكون إذًا برحمة من الله، لا باستحقاق منا.

يقينًا إن الله، لو حاسبنا بموازينه العالية، لا يخلص منا أحد. لكنه يقول عبارة: "لأَنَّهُمْ مُسْـتَحِقُّونَ"، بدافع من رأفته وحنانه، ناظرًا إلى ضــعف طبيعتنا، لا إلى ســمو مقاييســـه، كما يقول المرتل في المزمور: "كَمَا يَتَرَأَّفُ الأَبُ عَلَى الْبَنِينَ يَتَرَأَّفُ الرَّبُّ عَلَى خَائِفِيهِ. لأَنَّهُ يَعْرِفُ جِبْلَتَنَا. يَذْكُرُ أَنَّنَا تُرَابٌ نَحْنُ" (مز ١٠٣: ١٣، ١٤).

✠ ✠ ✠

يقول: "مَنْ يَغْلِبُ فَذلِكَ سَـيَلْبَسُ ثِيَابًا بِيضًـا، وَلَنْ أَمْحُوَ اسْـمَهُ مِنْ سِـفْرِ الْحَيَاةِ، وَسَأَعْتَرِفُ بِاسْمِهِ أَمَامَ أَبِي وَأَمَامَ مَلاَئِكَتِهِ" (رؤ ٣: ٥).

إن الذين سيلبسون ثيابًا بيضًا في السماء، من الغالبين، إنما هم كانوا يمشون على الأرض بثياب بيض، لم ينجسوها...

إذًا لتحتفظ بهذه البركة، عليك أن تحفظ ثيابك بيضاء على الأرض.

أما عبارة "لَنْ أَمْحُوَ اسْمَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ".

فتعني إمكانية محو الاسم بالنسبة إلى البعض!! شيء مخيف...

❖ كم من أناس كانوا أعضـــاء في الكنيســـة وخدامًا ومبشـــرين، ثم محيت أســـماؤهم. منهم ديماس زميل القديس بولس الرســـول في الخدمة. وقد نعاه الرســـول القديس بقوله: "دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ" (٢تي٤: ١٠).

وقال عن آخرين: "لأَنَّ كَثِيرِينَ... مِمَّنْ كُنْتُ أَذْكُرُهُمْ لَكُمْ مِرَارًا، وَالآنَ أَذْكُرُهُمْ أَيْضًا بَاكِيًا، وَهُمْ أَعْدَاءُ صَلِيبِ الْمَسِيحِ، الَّذِينَ نِهَايَتُهُمُ الْهَلاَكُ، الَّذِينَ إِلهُهُمْ بَطْنُهُمْ وَمَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِمِ، الَّذِينَ يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ" (في٣: ١٨، ١٩).

❖ونحن هل تكتب أسماؤنا في سفر الحياة حينما ننال الميلاد الجديد في المعمودية، وحينما نسلك في حياة التوبة. ونتعرض لأن تمحى أسماؤنا حينما نرتد، لا سمح الله. إن الذي يرتد، إنما يمحو اسمه بنفسه من سفر الحياة.

✠ ✠ ✠

يقول الرب عن الذي يغلب: "وَسَأَعْتَرِفُ بِاسْمِهِ أَمَامَ أَبِي وَأَمَامَ مَلاَئِكَتِهِ".

أعترف باسمه فأقول هذا من خرافي، من تلاميذي، من جندي على الأرض. نعم سأعترف به بعكس الذين قلت عنهم: "مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ أُنْكِرُهُ أَنَا أَيْضًا قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت١٠: ٣٣).

نعم أعترف به قدام أبي وملائكته، لكي ينضم إلى مسكن الله مع الناس (رؤ٢١: ٣)، حيث الله مع ملائكته وقديسيه. نعم، آمين.

اكتب إلىَ مَلاك الكنيسَة التي في فيلادلفيا

قال الرب للقديس يوحنا الرائي:

"اكْتُبْ إِلَى مَلاَكِ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي فِيلاَدَلْفِيَا: هذَا يَقُولُهُ الْقُدُّوسُ الْحَقُّ، الَّذِي لَهُ مِفْتَاحُ دَاوُدَ، الَّذِي يَفْتَحُ وَلاَ أَحَدٌ يُغْلِقُ، وَيُغْلِقُ وَلاَ أَحَدٌ يَفْتَحُ: أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ. هَنَذَا قَدْ جَعَلْتُ أَمَامَكَ بَابًا مَفْتُوحًا وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُغْلِقَهُ، لأَنَّ لَكَ قُوَّةً يَسِيرَةً، وَقَدْ حَفِظْتَ كَلِمَتِي وَلَمْ تُنْكِرِ اسْمِي. هنَذَا أَجْعَلُ الَّذِينَ مِنْ مَجْمَعِ الشَّيْطَانِ، مِنَ الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ يَهُودٌ وَلَيْسُوا يَهُودًا، بَلْ يَكْذِبُونَ - هنَذَا أُصَيِّرُهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَ رِجْلَيْكَ، وَيَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا أَحْبَبْتُكَ. لأَنَّكَ حَفِظْتَ كَلِمَةَ صَبْرِي، أَنَا أَيْضًا سَأَحْفَظُكَ مِنْ سَاعَةِ التَّجْرِبَةِ الْعَتِيدَةِ أَنْ تَأْتِيَ عَلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ لِتُجَرِّبَ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ. هَا أَنَا آتِي سَرِيعًا. تَمَسَّكْ بِمَا عِنْدَكَ لِئَلاَّ يَأْخُذَ أَحَدٌ إِكْلِيلَكَ" (رؤ٣: ٧- ١١).

✠ ✠ ✠

هذا يقوله القدوس الحق، الذي له مفتاح داود.

إن الرب في كل رسالة من الرسائل السبع، يذكر له اسمًا خاصًا ولقبًا. وهنا يقول إنه القدوس الحق.

ولا شك أن هذا اللقب يدل على لاهوته. وكيف ذلك؟

إن الله – تبارك اسمه – يدعوه السارافيم في سفر إشعياء: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ" (إش٦: ٣).

وفي سفر الرؤيا تحدد هذه الصفة في الله وحده. إذ يدعوه الغالبون قائلين: "مَنْ لاَ يَخَافُكَ يَا رَبُّ وَيُمَجِّدُ اسْمَكَ؟ لأَنَّكَ وَحْدَكَ قُدُّوسٌ" (رؤ١٥: ٤). إذ أنه كما قال الرب: "لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ" (مت١٩: ١٧). "الْكُلُّ قَدْ زَاغُوا مَعًا، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا، لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ" (مز١٤: ٣).

✠ ✠ ✠

فإن كان القدوس هو الله وحده. والمسيح قدوس، يثبت من هذا أن السيد

المسيح هو الله.

فهنا يقول عن نفسه إنه: "الْقُدُّوسُ الْحَقُّ" (رؤ٣: ٧).

والملاك الذي بشر العذراء بولادته، قال لها عنه: "لِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ" (لو١:٣٥). ونحن في تسبحة الثلاثة تقديسات نقول له: "قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الحي الذي لا يموت، الذي وُلد من العذراء ارحمنا".

ويقول عنه القديس بولس الرسول: "لأَنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هذَا، قُدُّوسٌ بِلاَ شَرّ وَلاَ دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ" (عب٧: ٢٦).

والقديس بطرس الرسول وبخ اليهود الذين أسلموه للصلب قائلًا: "أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ، وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ" (أع٣: ١٤). والشعب في صلاته استخدم لقب "القدوس" عن الرب يسوع (أع٤: ٢٧).

من لقب "القدوس" يثبت لاهوت السيد المسيح، لأن الله وحده هو القدوس (رؤ١٥: ٤).

✠ ✠ ✠

هو القدوس الحق. والحق أيضًا من أسماء الله.

ونفوس الشهداء الذين كانوا تحت المذبح، سمعهم القديس يوحنا الرائي يصرخون بصوت عظيم قائلين: "حَتَّى مَتَى أَيُّهَا السَّيِّدُ الْقُدُّوسُ وَالْحَقُّ، لاَ تَقْضِي وَتَنْتَقِمُ لِدِمَائِنَا مِنَ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ؟" (رؤ٦: ١٠). إنهم صرخوا إلى الله الديان "الْقُدُّوسُ وَالْحَقُّ". وهذا نفس اللقب الذي وصف به ربنا يسوع المسيح نفسه بقوله: "هذَا يَقُولُهُ الْقُدُّوسُ الْحَقُّ" (رؤ٣: ٧).

وقبل صلبه قال أيضًا: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ" (يو١٤: ٦). ومن المعروف أن كلمة الحق من أسماء الله. وروح الله قيل إنه: "رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ" (يو١٥: ٢٦) أيضًا (يو١٤: ١٧).

تعبير إن المسيح هو الحق إثبات آخر للاهوته.

الذي يفتح ولا أحَد يغلق
ويغلق ولا أحَد يفتح (رؤ٣: ٧)

قال الذي له مفتاح دواد. واسم داود هنا له معنى رمزي.

بل أطلق هذا الاسم على السيد المسيح نفسه بطريقة رمزية. كما يقول الله عن رعيته في سفر حزقيال النبي: "وَأُقِيمُ عَلَيْهَا رَاعِيًا وَاحِدًا فَيَرْعَاهَا عَبْدِي دَاوُدُ، هُوَ يَرْعَاهَا وَهُوَ يَكُونُ لَهَا رَاعِيًا" (حز٣٤: ٢٣).

من هنا تكون عبارة "مفتاح داود" تعني مفتاح الرب نفسه.

وقد ورد اسم داود كثيرًا في سفر الرؤيا، فقيل عن الرب إنه: "أَصْلُ دَاوُدَ" (رؤ٥: ٥). وقال في آخر سفر الرؤيا: "أَنَا أَصْلُ وَذُرِّيَّةُ دَاوُدَ" (رؤ٢٢: ١٦).

✠ ✠ ✠

الله هو الذي يفتح، ولا أحد يغلق.

إنها عبارة معزية جدًا. تعني أن الله إذا فتح لك بابًا، لا يهمك إن قامت الدنيا كلها عليك. فلن يستطيع أحد أن يغلق هذا الباب.

مثال بسيط: كان الله قد فتح بابًا أمام داود الشاب. وقد قام ضده شاول الملك، وحاول أن يقتله بأنواع وطرق شتى، وبمؤمرات كثيرة، وبمطاردته من برية إلى أخرى. ولم يقدر عليه. وما استطاع بكل قوته وكل قسوته، أن يغلق الباب الذي فتحه الله أمام داود. بل استطاع داود أن يغني في المزمور: "الرَّبُّ عَوْنِي فَلا أَخْشَى، ماذا يَصْنعُ بي الإنْسانُ؟!" (مز١١٨: ٦).

مثال آخر: كان الله قد فتح بابًا أمام يعقوب. فما كان بإمكان عيسو أخيه أن يقتله. قال: "قَرُبَتْ أَيَّامُ مَنَاحَةِ أَبِي، فَأَقْتُلُ يَعْقُوبَ أَخِي" (تك٢٧: ٤١). ولم يستطع، وهرب منه يعقوب. وعند عودة يعقوب بعد عشرين عامًا، قابله عيسو ومعه أربع مئة رجل، ولم يقدر أن يقتله. بل: "رَكَضَ عِيسُو لِلِقَائِهِ وَعَانَقَهُ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ،

وَبَكَيَا" (تك٣٣: ٤). وظل الباب أمام يعقوب مفتوحًا. حقًا إن الله يفتح، ولا أحد يغلق...

✠ ✠ ✠

إذًا لا تخف. لا تقل: فلان سيضرني، أو يمنعني، أو يفعل بي كذا...

كلا. "لاَ يَقَعُ بِكَ أَحَدٌ لِيُؤْذِيَكَ" كما قال الرب للقديس بولس (أع١٨: ١٠). المهم أن تنال رضا الرب عليك، وتتأكد أنه سيفتح لك بابًا. وإن فتح لك الرب بابًا، فلن يستطيع أحد أن يغلقه. إن كل قوة العالم محدودة وضعيفة. وقوة الشيطان محدودة وضعيفة. وكذلك كل قوة الناس الأشرار.

هوذا داود يقول في المزمور: "أَحاطوا بي مِثْلَ النَّحْلِ حَولَ الشَّهْدِ، والْتَهَبوا كَنارٍ في شَوْكٍ". ومع ذلك لم يقدروا عليَّ (مز١١٨: ١٢).

وقال أيضًا: "إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لاَ أَخَافُ شَرًّا لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي" (مز٢٣: ٤).

وقال: "نَجَتْ أَنْفُسُنا مِثْلَ العُصْفورِ مِنْ فَخِّ الصَّيّادينَ، الفَخُّ انْكَسَرَ ونَحْنُ نَجَوْنا. عَوْنُنا بِاسْمِ الرَّبِّ، الَّذي صَنَعَ السَّماءَ والأَرْضَ" (مز١٢٤: ٧، ٨).

✠ ✠ ✠

كثيرون فتح لهم الله أبوابًا، فلم يقدر عليهم شيء...

❖ الثلاثة فتية جعل الله لهم بابًا مفتوحًا للحياة، فلم يقدر على غلقه أتون النار المشتعل، وكانوا يتمشون وسط النار في سلام. لم تحترق ثيابهم، و"لَمْ تَكُنْ لِلنَّارِ قُوَّةٌ عَلَى أَجْسَامِهِمْ، وَشَعْرَةٌ مِنْ رُؤُوسِهِمْ لَمْ تَحْتَرِقْ" (دا٣: ٢٧).

❖ ويونان النبي: كان الله قد فتح له بابًا للنجاة. فلما ابتلعه الحوت، ظل حيًا في داخله، وسجد وصلى، ولفظه الحوت بعد ثلاثة أيام، لكي يذهب إلى نينوى فيقودها إلى التوبة (يون٢، ٣). كان أمامه الباب مفتوحًا.

❖ والمسيحية في مبدأها: فتح لها الله بابًا للانتشار، فلم تقوَ على غلقه الدولة الرومانية بكل سطوتها وقسوتها، ولا المؤامرات اليهودية بكل حيلها ودسائسها. كما لم

تقوَ عليها الفلسـفات والديانات الوثنية. وهكذا انتشـرت المسـيحية على الرغم من كل المعوقات، حتى صـارت الدولة نفسـها مسـيحية. كل ذلك لأن الله كان قد فتح بابًا لم يستطع أحد أن يغلقه...

✠ ✠ ✠

انطبق هذا الوضع الإلهي أيضًا على الفردوس:

❖ أخطأ الإنســان الأول، فطرده الله من الجنة. وأغلق الله باب الفردوس، ولم يستطع أحد أن يفتحه.

❖ كما أغلق أيضًــا الطريق إلى شــجرة الحياة، وأقام عليها الكاروبيم بلهيب سـيف (تك٣: ٢٤). ومرت آلاف السـنين والطريق مغلق، وباب الفردوس كذلك. لأن الله يغلق ولا أحد يفتح.

❖ ولما أتمّ الرب عمل الفداء، فتح باب الفردوس. ووعد قائلًا: "مَنْ يَغْلِبُ فَسَـأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَـجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَـطِ فِرْدَوْسِ اللهِ" (رؤ٢: ٧). وها هو الفردوس مفتوح يدخله كل من يغلب. وقد دخله اللص التائب وكل الذين رقدوا على الرجاء. ولم يستطع الشيطان أن يغلقه...

✠ ✠ ✠

"قَامَ مُلُوكُ الأَرْضِ وَتَآمَرَ الرُّؤَسَــاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِــيحِهِ: لِنَقْطَعْ أَغْلاَلَهُمَا وَلْنَطْرَحْ عَنَّا نَيرَهُمَا" (مز٢: ٢، ٣). فهل استطاعوا؟!

كلا، يجيب الكتاب: "اَلسَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْـحَكُ بِهِمْ. الرَّبُّ يَسْـتَهْزِئُ بِهِمْ. حِينَئِذٍ يُكَلِّمَهُم بِغَضَبِهِ وَبِرِجْزِهِ يَرْجفُهُمْ" (مز٢: ٤، ٥). لقد كان الباب مفتوحًا للخلاص، وقد تم ولم يستطع أحد أن يغلق.

ولقد أغلقوا على المسـيح المصـلوب في القبر، وسـدوه بحجر عظيم، وحوله الحراس المدججون بالسـلاح. ولكن الله يفتح ولا أحد يغلق. وخرج السـيد المسـيح من القبر المغلق، وبشـر تلاميذه بالقيامة. وفتح أمامهم باب الكرازة الذي كان يبدو مغلقًا.

فكرزوا في كل مكان، وتحدوا رؤســـاء اليهود قائلين: "يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ" (أع٥: ٢٩). واستمر باب الكرازة مفتوحًا، ولا ولن يستطيع أحد أن يغلقه.

✠ ✠ ✠

وهكذا، في كل ما تنوي أن تفعله، أسأل الله أولًا:

هل ستفتح يا رب أمامي بابًا، لأدخل في هذا المشروع؟

إن فتح الله أمامك بابًا، فادخل واعمل واستمر: "لاَ يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ" (يش١: ٥، ٦).

لن تقف أمامك عقبات ولا صـعوبات ولا مقاومات، ولا أناس أشـرار، ولا حتى حيل شياطين... ما دام الله قد فتح، فلن يقدر أحد أن يغلق.

تمامًا، مثلما يفتح المرور أمامك الضــوء الأخضــر، يمكنك أن تســير وأنت مطمئن.

إن فُتح خزان الماء أمام الســد العالي، حيئنذ ســتندفع المياه في طريقها، ولا تقف في طريقها أية جسور بل تتخطاها وتستمر في سيرها.

هكذا المعونة الإلهية إن فتحت أمامك بابًا، لا يستطيع أحد أن يغلقه.

لتكن لك هذه الصلاة باستمرار: افتح لي يا رب بابًا.

لقد فتح الرب بابًا أمام جهال العالم، فأخزوا الحكماء بكرازتهم (١كو١: ٢٧). جماعة من الصيادين البسطاء، إلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم (مز٢٠: ٣، ٤).

✠ ✠ ✠

عبارة "يَفْتَحُ وَلاَ أَحَدٌ يُغْلِقُ، وَيُغْلِقُ وَلاَ أَحَدٌ يَفْتَحُ" تنطبق على بعض العواقر في التاريخ.

❖ راحيل امرأة يعقوب كانت عاقرًا، لأن الله قد أغلق رحمها. لدرجة أنها بكت وقالت ليعقوب: "هَبْ لِي بَنِينَ، وَإِلاَّ فَأَنَا أَمُوتُ!" فانتهرها يعقوب وقال: "أَلَعَلِّي مَكَانَ

اللهِ الَّذِي مَنَعَ عَنْكِ ثَمْرَةَ الْبَطْنِ؟" (تك٣٠: ١، ٢). ثم يقول الكتاب: "وَذَكَرَ اللهُ رَاحِيلَ، وَسَمِعَ لَهَا اللهُ وَفَتَحَ رَحِمَهَا، فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتِ ابْنًا" (تك٣٠: ٢٢). ودعت اسمه يوسف.

❖ وحنة امرأة ألقانة لم تنجب لأن: "الرَّبَّ كَانَ قَدْ أَغْلَقَ رَحِمَهَا" (١صم١: ٥). فبكت وصلّت ونذرت نذرًا. وذكرها الرب فحبلت وولدت صموئيل.

❖ وفتح الرب رحم أليصابات، فولدت يوحنا المعمدان بعد أن كانت عاقرًا.

✠ ✠ ✠

ما دام الله هو الذي يفتح ولا أحد يغلق، اطلب منه أن يفتح قلبك له، فتتوب وتحيا حياة روحية.

إن فتحت يا رب قلبي لك، لن تستطيع أية شهوة أو أية خطية أن تقوى عليَّ. أما إن رفضتني نعمتك وأغلقت بابها، فباطل كل جهادي لأحيا حسنًا! لماذا تقول يا رب: "هنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي" (رؤ٣: ٢٠)؟ كيف تطلب مني يا رب أن أفتح لك؟ والمفتاح في يدك! ومفتاحك هو عمل روحك القدوس. مفتاحك هو عمل نعمتك. اِفتح يا رب قلبي هذا، وادخله دخول الفاتحين الظافرين، لأنه لك. وإن فتحته، لا يستطيع أحد أن يغلق. وحينئذ لا يمكن أن تقف إرادتي ضدك...

✠ ✠ ✠

إن كان الله هو الذي يفتح، فماذا نفعله نحن لكي ندعوه إلى التدخل في حياتنا، ويفتح الفكر والقلب له، ويدخل؟

❖ إننا ندعوه **بلجاجة**. عيبنا هو أننا نيأس ونترك الصلاة، إذا لم يستجب لنا بسرعة. ليتنا نضع أمامنا مثل إيليا النبي، الذي صلّى من أجل نزول المطر، ست صلوات متتابعة ولم ينزل. فلم ييأس ولم يملّ. بل صلى للمرة السابعة، "هُوَذَا غَيْمَةٌ

صَغِيرَةٌ قَدْرُ كَفِّ إِنْسَانٍ صَاعِدَةٌ مِنَ الْبَحْرِ" (١مل١٨: ٤٤) فعرف أن الله قد استجاب. وإذا "السَّمَاءَ اسْوَدَّتْ مِنَ الْغَيْمِ وَالرِّيحِ، وَكَانَ مَطَرٌ عَظِيمٌ"...

❖ نستطيع **بالانسحاق والتذلل**، أن ندعو الله لكي يفتح لنا. كما تذللت أم صموئيل وبكت. وكما فعل العشار، إذ وقف من بعيد، لا يجرؤ أن يرفع عينيه إلى السماء. وقرع صدره قائلًا: "اللّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئُ". وهكذا "نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا دُونَ ذَاكَ" الفريسي المتكبر (لو١٨: ١٣، ١٤).

❖ أيوب الصديق لما كان "بَارًّا فِي عَيْنَيْ نَفْسِهِ" (أي٣٢: ١) لا يعرف لنفسه خطية، بقى في تجربته. ولكنه لما انسحق في قلبه وقال للرب: "هَا أَنَا حَقِيرٌ، فَمَاذَا أُجَاوِبُكَ؟ وَضَعْتُ يَدِي عَلَى فَمِي" (أي٤٠: ٤) "قَدْ نَطَقْتُ بِمَا لَمْ أَفْهَمْ. بِعَجَائِبَ فَوْقِي لَمْ أَعْرِفْهَا... لِذلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ" (أي٤٢: ٣، ٦). لما وصل إلى التراب والرماد، حينئذ اِنتهت تجربته، واستعاد صحته وكرامته.

❖ يمكننا أيضًا أن ندعو الله ليفتح لنا، **بطلبنا لشفاعة القديسين**.

❖ وكذلك نطلبه **بالتوبة**. فنصطلح بها مع الله (٢كو٥: ٢٠)، ويستجيب.

جعلت أمَامك بَابًا مفتوحًا...

ويعرفون أني أحببتك

قال الرب لملاك كنيسة فيلادلفيا:

"هَنَذَا قَدْ جَعَلْتُ أَمَامَكَ بَابًا مَفْتُوحًا وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُغْلِقَهُ".

لأَنَّ لَكَ قُوَّةً يَسِيرَةً، وَقَدْ حَفِظْتَ كَلِمَتِي وَلَمْ تُنْكِرِ اسْمِي. هنَذَا أَجْعَلُ الَّذِينَ مِنْ مَجْمَعِ الشَّيْطَانِ، مِنَ الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ يَهُودٌ وَلَيْسُوا يَهُودًا، بَلْ يَكْذِبُونَ - هنَذَا أُصَيِّرُهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَ رِجْلَيْكَ، وَيَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا أَحْبَبْتُكَ" (رؤ٣: ٨، ٩).

✠ ✠ ✠

من أجل هذا كان أولاد الله باستمرار أقوياء. يسيرون في طريقهم باطمئنان وثقة، لأنهم يعرفون ويؤمنون أن الله قد جعل أمامهم بابًا مفتوحًا، لا يستطيع أحد أن يغلقه.

هكذا قال الرب لراعي كنيسة فيلادلفيا، وقال له أيضًا.

"لأَنَّ لَكَ قُوَّةً يَسِيرَةً، وَقَدْ حَفِظْتَ كَلِمَتِي وَلَمْ تُنْكِرِ اسْمِي".

لأنك ضعيف وقوتك قليلة، ومع ذلك حفظت كلمتي: "لم تنكر اسمي، لذلك أنا جعلت أمامك بابًا مفتوحًا، من أجل ضعفك وحاجتك إلى المعونة، ولأني أنا الذي "أُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ" و"أَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ" (إش٦١: ١)، لذلك جعلت أمامك بابًا مفتوحًا. وبذلك أمكنك أن تحفظ كلمتي ولا تنكر اسمي.

✠ ✠ ✠

ونلاحظ أن ملاك كنيسة فيلادلفيا، لم يوجه الرب إليه أية توبيخات أو عقوبات مثل ملائكة خمس كنائس أخرى من الكنائس السبع.

ولا حتى إنذارات، إلا مجرد تحذير واحد قال له فيه: "تَمَسَّكْ بِمَا عِنْدَكَ لِئَلاَّ يَأْخُذَ أَحَدٌ إِكْلِيلَكَ" (رؤ٣: ١١).

لكنه منحه كلمة بركة وتشجيع "جَعَلْتُ أَمَامَكَ بَابًا مَفْتُوحًا وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُغْلِقَهُ". وكم قد منح الرب كلمات البركة والتشجيع لأولاده.

هكذا قال لبولس الرسول: "تَكَلَّمْ وَلاَ تَسْكُتْ، لأَنِّي أَنَا مَعَكَ، وَلاَ يَقَعُ بِكَ أَحَدٌ لِيُؤْذِيَكَ" (أع١٨: ٩، ١٠). ونفس الكلام تقريبًا، قاله الرب ليشوع: "لاَ يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ... لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ. تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ" (يش١: ٥، ٦).

وأيضًا نفس البركة والتشجيع قالها الرب لإرميا: "هأَنَذَا قَدْ جَعَلْتُكَ الْيَوْمَ مَدِينَةً حَصِينَةً وَعَمُودَ حَدِيدٍ وَأَسْوَارَ نُحَاسٍ... فَيُحَارِبُونَكَ وَلاَ يَقْدِرُونَ عَلَيْكَ، لأَنِّي أَنَا مَعَكَ، يَقُولُ الرَّبُّ، لأُنْقِذَكَ" (إر١: ١٨، ١٩).

إنه باب مفتوح أمام كل هؤلاء لا يستطيع أحد أن يغلقه.

✠ ✠ ✠

نفس الباب المفتوح، كان أمام القديس مار مرقس، وأمام الآباء الرسل، وأمام الشهداء...

أتى مار مرقس إلى مصر، وكانت هناك عقبات كثيرة أمامه: فضده قوة الديانات القديمة في مصر، وقوة الدولة الرومانية، ودسائس اليهود، وقوة الفلسفة الوثنية ومدارس الفلسفة... ومع ذلك كان أمامه باب مفتوح للكرازة، لم تستطع كل تلك القوات المضادة له أن تغلقه. فأمكنه أن يكرز ويملأ الدنيا إيمانًا بدون مانع ولا عائق.

وهكذا حدث مع باقي الرسل أيضًا... نفس الباب المفتوح. فكرزوا وبشروا بالمسيحية للخليقة كلها (مر١٦: ١٥). وظل الباب مفتوحًا. والقديسون الشهداء فتح الرب أمامهم باب الفردوس، فدخلوه، ولم تستطع أن تغلقه أمامهم كافة التهديدات والتعذيبات بكل قسوتها.

✠ ✠ ✠

تعجبني في قصة لعازر الدمشقي الذي ذهب ليختار خطيبة لأسحاق، قوله لأسرة لابان: "لاَ تُعَوِّقُونِي وَالرَّبُّ قَدْ أَنْجَحَ طَرِيقِي" (تك٢٤: ٥٦).

كان الرب قد جعل أمام لعازر الدمشقي بابًا مفتوحًا، تحقق به هدفه من رحلته

ونجح طريقه، وما عوقه أحد...

هكذا أنت كل الذي يمكنك أن تفعله، أن تطلب من الله أن يفتح الباب أمامك، أن يسهل طريقك... قل له: اِفتح لي يا رب باب نعمتك، اِفتح لي باب روحك القدوس وعمله فيَّ ومعونته لي. عندئذ سوف لا تقوى عليَّ كل إغراءات الخطية وكل العثرات وكل المعوقات التي تعترض طريقي الروحي. إن فتحت لي بابك هذا، سوف لا تقوى عليَّ شهوة الجسد ولا شهوة العين ولا تعظم المعيشة (١يو٢: ١٦).

✠ ✠ ✠

قد يقول البعض: إن لم يكن أمامي باب مفتوح. فماذا أفعل؟!

إن كان الله قد أغلق أمامي، وليس أحد يفتح! فماذا أفعل؟

إن كانت طرقك مسدودة، فلا تنسب الأمر إلى الله، فالله لا يسد طريق أحد. الأمر بلا شك راجع إليك أنت، وبسببك أصبحت الطرق مسدودة. غالبًا حياتك لا ترضي الله، أو الأمر الذي تطلبه لا يوافق مشيئة الله.

ويحدث أحيانًا أن الله يفتح لنا، ولكننا نحن نغلق. أو أن النعمة تخرج من عند الله، ونحن نمنع وصولها إلينا.

هو يفتح، ولا أحد من الخارج يغلق. ولكن إن أردنا نحن أن نغلق، فإن الله لا يرغمنا على الفتح إرغامًا. غير أن الله قد يتدخل أحيانًا إن كان الإنسان منجرفًا في طريق الخطية بلا وعي. فيغلق له الله هذه الطرق التي تقوده إلى الخطية، رحمة به. أي ينقذه من نفسه.

✠ ✠ ✠

إن الأبرار دائمًا ما يفتح الله الأبواب أمامهم.

لذلك نجد كثيرًا من الناس. إن تعقدت الأمور أمامهم يقولون: نُدخل فلانًا من الأبرار معنا في الموضوع، لعله ببركته تنفتح الأبواب وتسهل الطرق. أو يُدخلون في موضوعهم أحد القديسين، حتى أن الله بشفاعة هذا القديس يفتح لهم ما قد اِنغلق أمامهم.

عمومًا، الأبواب لا تنفتح بذكائنا ومهارتنا إنما بالإيمان نثق أن الله يتدخل ويفتح. فليس التوفيق راجعًا إلينا أو إلى وساطة بشرية.

وإنما يتوقف الأمر أولًا وأخيرًا على الله وهل هو يريد أم لا يريد.

إذًا علينا أن نكون على علاقة طيبة بالله، حتى يفتح لنا باستمرار. وأيضًا بالنسبة إلى الكنيسة، نصلي باستمرار ونقول: "يا رب اِجعل باب بيتك مفتوحًا أمامنا في كل زمان، وإلى آخر الأزمان، ولا تغلق باب بيعتك في وجوهنا"، نقول هذا ونحن نسدل الستر على باب الهيكل.

✠ ✠ ✠

يقول الرب أيضًا لملاك كنيسة فيلادلفيا:

"هنَذَا أَجْعَلُ الَّذِينَ مِنْ مَجْمَعِ الشَّيْطَانِ، مِنَ الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ يَهُودٌ وَلَيْسُوا يَهُودًا، بَلْ يَكْذِبُونَ - هنَذَا أُصَيِّرُهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَ رِجْلَيْكَ..." (رؤ٣: ٩).

في الحقيقة إنه مصير مؤثر... تصوروا أناسًا اِختارهم الله دون شعوب الأرض كلها، وأطلق عليهم هذا اللقب المحبوب: "شعب الله"، وأعطاهم المواعيد وأعطاهم الشريعة، وبارك أباهم وجعلهم أمة مختارة وشعبًا مقدسًا (١بط٢: ٩).

وأجرى من أجلهم معجزات كثيرة وينتهي بهم الأمر إلى أن يدعوهم الرب: "مَجْمَعِ الشَّيْطَانِ"! يا للهول، بل ويكرر الله هذا اللقب: مرة أخرى في رسالته إلى ملاك كنيسة سميرنا (رؤ٢: ٩). وهذه المرة في رسالته إلى ملاك كنيسة فيلادلفيا.

✠ ✠ ✠

حقًا لا يكفي أن الإنسان يجد نعمة عند الله، بل يجب أن يحافظ عليها.

ما أصعب أن نعمة نالوها بأن صاروا "شعب الله"، فيتطور الأمر إلى أن يلقبهم الله بأنهم مجمع شياطين! ليسوا مجرد أتباع الشياطين، بل هم أنفسهم صاروا مجمع شياطين. أين إذًا ذلك الماضي الجميل؟ إنهم لم يحافظوا عليه ففقدوه.

وكأن الله يقول لهم: أنا أردت لكم الخير. ولكنكم أردتم لأنفسكم الشر والهلاك. "ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ تُكَمَّلُونَ الآنَ بِالْجَسَدِ" (غلا٣: ٣). وهكذا ضاع منكم لقب شعب الله،

وضـاعت المكانة العظيمة التي كانت لكم أيام الآباء: إبراهيم وإسـحاق ويعقوب، وأيام الأنبياء موسى وداود.

✠ ✠ ✠

هؤلاء "الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ يَهُودٌ وَلَيْسُوا يَهُودًا، بَلْ يَكْذِبُونَ".

كان لهم لقب إسرائيل القديم، واليوم أصبح لهذا الاسم معانٍ أخرى فهو يرمز إلى الكنيسة المسيحية الجديدة، فأعضاؤها هم أبناء إبراهيم بالروح، حسب الإيمان، وليس حسب الجسد. لأن الذين من إيمان إبراهيم، أولئك هم أبناء إبراهيم (غلا٣: ٧). هم إسرائيل حسب الجسد. ولكن ليس حسب الروح. لذلك قال عنهم الرب: إنهم ليسوا يهودًا، بل يكذبون. لم يعودوا شعب الله.

ينطبق عليهم قول الرب: الحق أقول لكم "إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ" (مت٧: ٢٣). كانوا خاصته و"إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ" (يو١: ١١). فقدوا هذا اللقب أيضًا. وأصبح خاصته هم الذين آمنوا به.

كانوا يهودًا، وهم الآن ليسوا يهودًا. لأنهم كانوا في بدء أمرهم مؤمنين.

ثم صاروا أعداء للإيمان وقاوموا المسيح بكل الطرق.

قاوموا المسيحية منذ نشأتها، قدموا السيد المسيح للوالي الروماني، وصرخوا بكل أصواتهم: "اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ" (يو١٩: ٦)، "دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا" (مت٢٧: ٢٥). وهم الذين قاوموا رسل المسيح، وألقوهم في السجن، وحاولوا منعهم من الكلام (أع٤، ٥). هم الذين رجموا أول شهيد في المسيحية، القديس استفانوس (أع٧). وكانوا برسائل من رئيس الكهنة، يجرّون من المسيحيين رجالًا ونساءً إلى السجن، كما كان يفعل شاول الطرسوسي حينما كان واحدًا منهم (أع٩: ٢).

واستمروا في اِضطهاد المسيحية إلى النهاية، فغضب الرب عليهم. إنهم درس لكل من يرتد ويستحق العقوبة. كما قال القديس بولس الرسول: "إِنْ كَانَ اللهُ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى الأَغْصَانِ الطَّبِيعِيَّةِ فَلَعَلَّهُ لاَ يُشْفِقُ عَلَيْكَ أَيْضًا! (على التي طُعمت)" (رو١١: ٢١).

✠ ✠ ✠

يقول الرب: "أُصَيِّرُهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَ رِجْلَيْكَ" (رؤ٣: ٩).

ما أعظم هذه النصـرة على الأعداء التي يعطيها الرب لأحبائه! كنا قديمًا نفرح بالآية التي تقول: "إِذَا أَرْضَتِ الرَّبَّ طُرُقُ إِنْسَانٍ، جَعَلَ أَعْدَاءَهُ أَيْضًا يُسَالِمُونَهُ" (أم١٦: ٧). فكم بالأكثر قول الرب هنا أنه يجعلهم يأتون ويســـجدون أمام رجليه! ولكن أليس هو القائل: "لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْـــجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ" (مت٤: ١٠). فكيف يجعل هؤلاء الأعداء يسجدون أمام راعي فيلادلفيا؟!

إنه سجود الاحترام والخشوع، وليس سجود العبادة.

ولعل هذه الآية تذكرنا بالبركة التى نالها يعقوب أبو الآباء:

"لِيُسْـتَعْبَدْ لَكَ شُـعُوبٌ، وَتَسْـجُدْ لَكَ قَبَائِلُ. كُنْ سَـيِّدًا لإِخْوَتِكَ، وَلْيَسْـجُدْ لَكَ بَنُو أُمِّكَ" (تك٢٧: ٢٩).

وأيضًـا البركة التي نالها يوسـف، إذ يسـجد له إخوته، كما في الحلمين اللذين أظهرهما له الله (تك٣٧: ٥– ٨). وقد كان (تك٤٤: ١٤).

وقد سجد أبونا إبراهيم أمام بني حث (تك٢٣: ٧) وسجد يعقوب وزوجته وأبناؤه أمام عيسو (تك٣٣) وسجد كثيرون أمام داود الملك (١مل١).

ولم يكن شيء من هذا كله وأمثاله سجود عبادة بل سجود احترام.

✠ ✠ ✠

إن وعد الرب لراعي كنيسـة فيلادلفيا ردّ صـريح وواضـح للذين يلومننا على السجود أمام أجساد القديسين وأمام رؤساء الكهنوت.

فهنا ليس مجرد ســماح من الله بالســجود، بل أمر منه بذلك وهذا الســجود المسموح به على نوعين: نوع الاحترام والتوقير، والنوع الآخر هو سجود الخضوع. كما حدث ليوســف بعد الإذلال الســابق الذي ناله من إخوته، وكما يحدث لراعي كنيســة فيلادلفيا من اليهود الذين اِضــطهدوا الكنيســة وهذا أيضًــا يذكرنا بالطلبة التي تطلبها الكنيســة من أجل الأب البطريرك أو الأســقف أن يخضــع الرب أعداء الكنيســة عند

قدميه.

✠ ✠ ✠

على الأقل – في هذا السجود – لا نطلب مجرد خضوع الأعداء من البشر، بل بالأكثر نطلب إخضاع الشياطين وقوى الشر.

إن كان المطلوب هو خضـوع الأعداء تحت أقدام الكنيسـة، فإن أخطر عدو منهم هو الشـيطان: نطلب من الرب أن يخضـعه ويبعده ويقول له عبارته الخالدة: "اذْهَبْ يَا شَـيْطَانُ" (مت٤: ١٠). نحن لا نريد منه خضـوعًا تحت أقدامنا، إنما يكفي بُعده عنا.

ولو أن قديسين كبارًا كانوا يطردون الشياطين، بل يعذبونهم: قديس منهم كان في قلايته، فجاء الشـيطان يحاربه، فربطه خارج القلاية، وجاء شـيطان آخر فربطه أيضًـا، وكذلك فعل بشـياطين آخرين، فظلوا يصـرخون، فقال لهم: "أمضـوا وأخزوا". فمضـوا في خزي شـديد أما أنت فعليك أن تصـلي، نجني يا رب من هؤلاء الذين يضـطهدونني، "فإنَّ الغُرَباءَ قَدْ قاموا عَلَيَّ والأقْوِياءَ طَلَبوا نَفْسـي، لَمْ يَجْعلوا اللهَ أمامَهُم" (مز٥٤: ٣).

✠ ✠ ✠

وقال الرب في اِخضاعهم: "وَيَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا أَحْبَبْتُكَ".

لم يقل: فيعرفون أنك قوي أو شـجاع أو صـامد في محاربتهم، وإنما قال: "فيعرفون أني أنا أحببتك. محبة الله لنا هي التي تخضـع عدو مقاوم. ذلك لأن الحب للرب. وداود عندما وقف أمام جليات الجبار قال له: "الْيَوْمَ يَحْبِسُـكَ الرَّبُّ فِي يَدِي، فَأَقْتُلُكَ... فَتَعْلَمُ كُلُّ الأَرْضِ أَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ" (١صـم١٧: ٤٦). ما أكثر القصـص في سير القديسين عن علاقة الرب بهم، وكثرة إحساناته إلى الناس بسببهم، يكفي قوله في قصة حرق سادوم: إن وُجد عشرة أبرار في المدينة "لاَ أُهْلِكُ (المدينة) مِنْ أَجْلِ الْعَشَرَةِ" (تك١٨: ٣٢).

اكتب إلىَ مَلاك كَنيسَة اللاوديكيين

قال الرب للقديس يوحنا الرائي:

"وَاكْتُبْ إِلَى مَلاَكِ كَنِيسَـــةِ اللاَّوُدِكِيِّينَ: هذَا يَقُولُهُ الآمِينُ، الشَّـــاهِدُ الأَمِينُ الصَّـــادِقُ، بَدَاءَةُ خَلِيقَةِ اللهِ: أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ، أَنَّكَ لَسْـــتَ بَارِدًا وَلاَ حَارًّا. أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَتَقَيَّأَكَ مِنْ فَمِي. لأَنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْـــتَغْنَيْتُ، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَـــيْءٍ، وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَئِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ. أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَبًا مُصَـــفًّى بِالنَّارِ لِكَيْ تَسْـــتَغْنِيَ، وَثِيَابًا بِيضًـــا لِكَيْ تَلْبَسَ، فَلاَ يَظْهَرُ خِزْيُ عُرْيَتِكَ. وَكَحِّلْ عَيْنَيْكَ بِكُحْلٍ لِكَيْ تُبْصِرَ" (رؤ٣: ١٤– ١٨).

✠ ✠ ✠

يبدو أن راعي كنيسة لاوديكية هذا، كان من أسوأ الرعاة.

يكفي أنه وصـــل إلى الحالة التي يقول له فيها الرب: "أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَتَقَيَّأَكَ مِنْ فَمِي"! ولا أحد يتقيأ إلا الشـــيء الذي لا يتقبله جوفه على الإطلاق. ويكون ما يتقيأه شـيئًا قذرًا وكريه الرائحة جدًا، ويسـبقه غثيان. أي أن هذا الراعي قد وصـل إلى أسـوأ حالاته.

إنه أيضًا يعطينا فكرة عن عدم عصمة البشر، أيًا كانت درجاتهم.

إنه واحد من الكواكب السبعة الذين كان الرب يمسكهم في يمينه (رؤ١). ولُقب باسـم ملاك. وقد ائتمنه الله على رعاية شـعب. ومع ذلك وصـل إلى حالة يقول فيها الرب: "أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَتَقَيَّأَكَ مِنْ فَمِي"!!

✠ ✠ ✠

وهنا نلاحظ رقة الرب ولطفه: إنه ما زال يحتفظ له بلقبه ووظيفته فيدعوه ملاك الكنيســة، مع أنه لا يحمل أية صــفة من صــفات الملاك الروحية! بل على العكس هو شقي وبائس وفقير وأعمى وعريان...!! أي أن غالبية الأوصاف الرديئة قد تركزت فيه...

إن الرب بهذا يعلمنا آداب الحديث، وأسلوب التخاطب حتى مع الساقطين، مهما كانت حالتهم سيئة. إنه الأسلوب المهذب الذي يتحدث به الرب، وطريقة معاملة رجال الكهنوت مهما ساء وضعهم، بدلًا من العنف الذي يتكلم به البعض...

إن أخطاء ملاك كنيسة اللاوديكيين لم تسقط عنه رتبته. فهو ما زال ملاك الكنيسة وراعيها حتى لو كان شقيًا وبائسًا وفقيرًا، وأعمى وعريانًا...

✠ ✠ ✠

يتحدث الرب في هذه الرسالة عن بعض صفاته فيقول:

هذا يقوله الأمين، الشاهد الأمين الصادق.

وكلمة "آمين" كلمة عبرانية معناها "الحق". ووردت هذه الآية في بعض الترجمات هكذا... وهو يقول الحق. والحق اسم من أسماء الله. والسيد المسيح قد قال عن نفسه: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ" (يو١٤: ٦). وقد سمى نفسه الأمين، أو الحق، لأن هذا لقبه كأقنوم.

وعبارة "الشَّاهِدُ الأَمِينُ" يقولها بصفته البشرية، باعتباره أنه شاهد على كل وصايا الله، وشاهد على كل أعمال البشر، وبكل أمانة. فحينما يقول لأي ملاك من ملائكة الكنائس السبع: "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ"، بما في ذلك ملاك كنيسة لاوديكية، إنما يقولها كشاهد أمين.

✠ ✠ ✠

أما عبارة "بَدَاءَةُ خَلِيقَةِ اللهِ"، فتحتاج إلى شرح دقيق.

إن كلمة أركي أو أرشي (ἀρχή) المستعملة هنا تحمل معنيين هما البداءة أو الرئاسة. كما نقول "أرشيدياكون" بمعنى أول الشمامسة أو رئيس شمامسة. كذلك "أرشي إيرفس" بمعنى الكاهن الأول أو رئيس الكهنة. وأيضًا "إت أركي أنتي صوفيا" بمعنى بدء الحكمة أو رأس الحكمة. كما في الآيتين: "بدء الحكمة مخافة الله"، "رأس الحكمة مخافة الله".

فيمكن ترجمة الآية (رؤ٣: ١٤) "رئيس خليقة الله" باعتبار أن المسيح له الرئاسة على كل الخليقة. أو أنها لو ترجمت بمعنى البداية، يكون المقصود أنه هو الذي بدأ خلق كل الخليقة. كما قيل في أول إنجيل يوحنا: "كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ" (يو١: ٣).

ليس أنه هو الذي بدأ، بل الخليقة بدأت به، بخلقه لها. أي أنه كان السبب في بدايتها.

✠ ✠ ✠

يقول بعدها: "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ".

وهي عبارة توحي بلاهوته، على اعتبار أنه يعرف أعمال كل أحد. فهذا الراعي، الذي أمام الناس كانت له كرامته وله وقاره، كان الرب يعرف أعماله ويكشف حقيقته إنه الشقي البائس الفقير الأعمى والعريان!

إنها عبارة تكشف كل أحد، ربما يكون مستورًا أمام الناس. أما أمام الله فهو عريان ومسكين. ليتنا نضع أمامنا هذه الآية التي تكشف رياءنا. ولا يظن أحد منا أنه غير ظاهر، مهما كانت أخطاؤه في الخفاء، ولا يعرفها أحد! لكن الله يقول له: "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ".

✠ ✠ ✠

أنا عارف أعمالك أنك لست باردًا أو حارًا.

أي في حالة فتور. ليتك كنت باردًا أو حارًا. فأنا مزمع أن أتقيأك من فمي. فما معنى هذا؟ الإنسان الذي في حالة حرارة روحية، هو مقبول أمام الله. وكذلك فإن البارد، تدفعه البرودة إلى التوبة، إذ تشعره بسوء حالته.

اثنان دموعهما حاضرة: إما إنسان حار في الروح. فمن حرارته تنسكب دموعه. أو إنسان في خطيته، يرى نفسه مذلولًا ومهزومًا، وحقيرًا أمام نفسه، مزدرى في عيني ذاته. ومن احتقاره لنفسه وسقوطه، يبكي أمام الله. فبرودته تعطيه حرارة من نوع آخر، حرارة الحزن والندم على حالته.

✠ ✠ ✠

أما الشخص الذي ليست له حرارة النشطاء في الروح، ولا شعور الساقط الحزين على برودته. لا عنده جمال الحياة الروحية، ولا جمال الإحساس بالحاجة إلى التوبة. إنما هو ماشٍ في الطريق. له مزموران يقولهما برغبة أو بغير رغبة! وبعض قراءات من الكتاب، يقرأها بفهم وتأمل، أو بغير فهم ولا تأمل! وهو يذهب إلى الكنيسة، ولو بغير مشاعر في قلبه. هذا إنسان فاتر، يتصرف بروتين في روحياته. لا هو بارد، مبتعد تمامًا عن الكنيسة. ولا يشعر هو بحرارة الحياة مع الله. إنما هو فاتر. يقول له الرب: "أنا مزمع أن أتقيأك من فمي"!

إنه كإنسان: لا تعرف هل هو لابس أم عريان! إنه يتغطى بأشياء، لا هي لبس كامل، ولا عري كامل. يمثل حالة الفاتر.

✠ ✠ ✠

هناك أشخاص وصلوا إلى الله في عمق حرارتهم، كالقديسين الكبار. وآخرين وصلوا إلى الله في عمق برودة حياتهم:

كالمرأة التي ضُبطت في ذات الفعل (يو٨). وكالعشار الذي وقف من بعيد، لا يجرؤ أن يرفع عينيه إلى فوق (لو١٨). وكالمرأة الخاطئة التي بللت قدمي المسيح بدموعها، ومسحتهما بشعر رأسها (لو٧).

كثير من هؤلاء كانوا في حالة برودة شديدة، دفعتهم دفعة كبيرة إلى قدام، فوصلوا إلى الله في مشاعر التوبة والخزي والانسحاق.

لا نقصد برودة مستمرة. بل برودة تدفع إلى تغيير الحياة.

✠ ✠ ✠

هذا الملاك راعي كنيسة لاوديكية، يقول له الرب:

"لأَنَّكَ فَاتِرٌ، وَلَسْتَ بَارِدًا وَلاَ حَارًّا، أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَتَقَيَّأَكَ مِنْ فَمِي".

على أن عبارة "مُزْمِعٌ" تحمل لونًا من ألوان الرحمة.

لم يقل له: ها قد لفظتك من فمي إلى خارج. إنما أنا مُزمع أن أفعل هذا. إنه مجرد إنذار له بسوء حالته، وما ينتظره من خطر. مثل شخص له شعور بالقيء. ومع ذلك هناك مجال أن يأخذ دواء يمنع القيء والغثيان، ولم يتم القيء بعد. هناك فرصة لإيقافه. هناك رجاء.

وهكذا يفتح أمامه بابًا للرجاء، فيقول له في آخر الرسالة: "هنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ أَحَدٌ فَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي" (رؤ٣: ٢٠). وماذا يقول أيضًا؟

✠ ✠ ✠

يقول له: "أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَبًا مُصَفًّى".

صدقوني، وقفت أمام هذه العبارة في أول مرة مرتبكًا ومتحيرًا.

كيف يا رب يمكن أن يحدث هذا؟! تقول له أن يشتري ذهبًا مصفى!! وتقول لمن؟ لشخص قلت عنه إنه شقي وبائس وفقير!! ألعله يبيع ثيابه لكي يشتري منك ذهبًا مصفى؟! ما أبعد هذا الإنسان عن الذهب!

لعله يقول: كيف يا رب أشتري منك، وأنا لا أملك شيئًا؟! وكأن الرب يجيبه: يكفي أنك تملك هذه العبارة "أنا لا أملك شيئًا". أنا سأفيض عليك بنعمتي، فتستغني، وتشتري مني دون أن تدفع شيئًا...

حقًا، إن الله هو الوحيد الذي تشتري منه، بلا مقابل...!

ما يعيطك إياه هو مجرد منحة مجانية منه. ولكنه لكي يرفع معنوياتك، لا يقول إنها منحة، بل يقول: "تشتري مني"! ما أرقك يا رب! أشتري منك ولا أدفع شيئًا! بل ستدفع أنت. ولكن ماذا يا رب يمكنني أن أدفع؟

✠ ✠ ✠

اشترِ مني ذهبًا مصفى بانسحاق روحك. اشترِه بتواضع قلبك.

أشير عليك أن تشتري هذا الذهب المصفى بانكسار قلبك وشعورك بالذنب بسبب خطاياك. بنظرك إلى تلك المرآة الروحية، التي ترى فيها نفسك إنك بائس وعريان. وبالبصيرة الروحية ترى أنك أعمى.

حينئذ سوف لا تشتري ذهبًا مصفى بالنار، بل ستصير أنت نفسك ذهبًا مصفى بالنار.

بالنار التي تشتعل فيك كمحرقة سرور للرب (لا١: ٩، ١٣، ١٧). نار دائمة لا تطفأ (لا٦: ١٢، ١٣) وكأن الله يقول له ما ينبغي أن يكون عليه. ولكنه كان غير ذلك تمامًا! فماذا كان إذًا؟ يقول له الرب:

✠ ✠ ✠

"لأَنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَئِسُ وَفَقِيرٌ".

إن أصعب ما في الحياة الروحية هو هذا: أن يكون الإنسان فقيرًا، ولا يشعر بفقره! ويكون عريانًا من الفضائل، ولا يشعر بعريه! إنه يثق بنفسه أنه قد وصل، وهو لم يصل إلى شيء! يقول: أنا أستغنيت، ولا حاجة لي إلى شيء! لذلك هو لا يقرع على باب الله، ولا يسأل ولا يطلب!

هنا نرى أن مقاييس الله غير مقاييس البشر.

مقياس البشر يقول: "أنا غني، وقد أستغنيت، ولم تعد لي حاجة إلى شيء!"، ومقياس الله يقول: "إنك فقير وبائس وعريان، ولا تعلم".

سعيد هو الإنسان الذي يشعر بفقره في حياة الروح، ويمد يده إلى الله لكي يعطيه. يشعر أنه خاطئ، ويطلب من الله مغفرة.

✠ ✠ ✠

اِعترف لله بفقرك وبعريك. وانزع عنك ورقة التين التي تغطيك. واطلب من الله أن يصنع لك ثيابًا من جلد، ويغطيك.

بل يعطيك ثيابًا بيضًا، لكي تلبس، ولا يظهر خزي عريتك.

وهنا يظهر تواضع الرب في قوله "أُشِيرُ عَلَيْكَ".

لم يقل له: أنا آمرك. وإنما ســـأقدم لك نصـــيحة أو مشـــورة. ما أعجبه من تواضـع! يقول له: "أُشِيرُ عَلَيْكَ". إنها مجرد مشورة، تنفذها أو لا تنفذها. أنت لا تزال في حرية إرادتك، تفعل ما تشاء.

أنا لكي أعطيك نعمة النقاوة، لا أسحب منك نعمة الحرية.

إنه نفس كلام الرب، كما ورد في آخر سفر التثنية، بعد أن منح الرب الشريعة للشـــعب. قال له: "قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا" (تث٣٠: ١٩).

✠ ✠ ✠

أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَبًا مُصَفًّى، أي أثمن الأشياء.

إنك اشـتريت من العالم أمجاده ومديحه، فلم تسـتفد شـيئًا. فاشـترِ مني ذهبًا مصفى بالنار. والنار هنا للتنقية وليس للعقوبة.

ويفتح الرب أمامه أملًا بأنه سـيلبس ثيابًا بيضًـا، رمزًا للسـتر وللنقاوة. وأيضًـا سيكحل عينيه لكي يبصر.

ثم يرطب الله قلب هذا الراعي، بعد الكلمات الشديدة التي سمعها. وكأنه يربت على كتفيه ويقول له:

"إِنِّي كُلُّ مَنْ أُحِبُّهُ أُوَبِّخُهُ وَأُؤَدِّبُهُ. فَكُنْ غَيُورًا وَتُبْ" (رؤ٣: ١٩).

لا تظن أن عبارة "أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَتَقَيَّأَكَ مِنْ فَمِي" تدل على أني قد رفضـــتك! كلا، بل أنا أحبك. وعبارة التوبيخ كانت لمجرد قيادتك إلى التوبة.

وفي هذه التوبة، قال له: "لست أنت الذي ستسعى ورائي، بل أنا الذي سأسعى إليك". وهأنذا واقف على بابك وأقرع.

✠ ✠ ✠

وأخيرًا يضع أمامه اِحتمال أن يغلب، فتكون له المكافأة:

"مَنْ يَغْلِبُ فَسَـــأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِي فِي عَرْشِـــي، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيْضًـــا وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ" (رؤ٣: ٢١).

غريبة وعجيبة محبتك يا رب، وغير محدود هو كرمك في العطاء! كنت أظن أنني في توبتي، تسمح لي أن أجلس عند قدميك، وتكون هذه منك بركة عظيمة. ولكن أن أجلس معك، فهذا كرم غير محدود. أما أن أجلس معك في عرشـك، فهذا ما يفوق خيالي وتصوري...!

وليسـت هناك أية أوجه للمقارنة بين غلبتك الدائمة المعصـومة عن كل خطأ، وبين أن أغلب أنا بعد كفاح مرير وبعد سقطة تحتاج إلى توبة.

لك المجد في كل ما تعطيه، ليس عن اِستحقاق منا، بل هو كرم منك.

رسَائل الربّ إلىَ الكَنائس السَبع

في وقت ما، لم يكن يتوقعه القديس يوحنا، ولا ملائكة تلك الكنائس ظهر الرب، وأرسل لهم رسالة، لكل واحد منهم.

كانت كل كنيسة تحتاج إلى رسالة معينة، في ذلك الوقت الذي اِختاره الرب، وكلّف به قديسه يوحنا الرسول. كلّفه أن يكتب إلى ملاك كل كنيسة يبلغه ما يقوله الروح للكنائس.

حقًا "لاَ يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ بِمُرَاقَبَةٍ" (لو١٧: ٢٠). نحن لا نعلم متى يصل إلينا صوت الرب، ولا كيف يصل، ولا أين؟ والقديس يوحنا الرسول كان وقتذاك منفيًا في جزيرة بطمس. ولا شك أنه كان في حاجة إلى شيء من التعزية. وقد جاءته عن طريق ظهور الرب له هناك، وتكليفه بمهمة.

✠ ✠ ✠

قد يظن الإنسان وهو في المنفي أن عمله قد توقف.

أو هكذا أراد له الحاكم الذي نفاه. ولكن الرب كانت له مشيئة أخرى. إنه لا يستغنى عن أولاده، حتى ولو كانوا خارج دائرة عملهم الرسمي، أو لو بدوا بلا قوة! إنه يعطي المعيى قوة. ويشعر العاجز أنه يستطيع أن يعمل عملًا. بل أنه أعطى يوحنا فرصة لعملين: أحدهما بالنسبة إلى الأرض: من جهة الكنائس السبع ورعاتها وأخبارها، ومعرفة "مَا لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَنْ قَرِيبٍ" (رؤ١: ١). والعمل الثاني أن يصعد إلى السماء ويرى (رؤ٤: ١). وكان ذلك هو إعلان الرب الذي أراه إياه، والذي أوصله يوحنا إلى جميع المسيحيين في الأرض كلها.

مبارك هو الرب في تعزيته لأولاده، وافتقادهم في ضيقتهم، وتعزيتهم بأنواع وطرق شتى.

✠ ✠ ✠

ولقد قدّم الرب نفسه لتلميذه يوحنا، ولملائكة الكنائس السبع بأسماء وألقاب معينة، يعلن فيها نفسه لكل واحد بما يناسبه:

فبالنسبة إلى يوحنا، قال له: "أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ. الأَوَّلُ وَالآخِرُ" (رؤ١: ١١). وقال له أيضًا: "لاَ تَخَفْ، أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ! آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ" (رؤ١: ١٧، ١٨). وهنا يعلن لاهوته وناسوته وسلطانه: لاهوته من حيث هو الألف والياء، الأول والآخر. وهذا هو اللقب الذي لقب به الله ذاته أكثر من مرة، في سفر إشعياء في العهد القديم.

وأعلن ناسوته في قوله عن نفسه: "الْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا" أي أنه شخص السيد المسيح القائم من الأموات الذي ظهر شبه ابن الإنسان (رؤ١: ١٨).

وأعلن سلطانه بقوله: "وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ"...

✠ ✠ ✠

❖ **ولملاك كنيسة أفسس** قال عن نفسه إنه "الْمُمْسِكُ السَّبْعَةَ الْكَوَاكِبَ فِي يَمِينِهِ، الْمَاشِي فِي وَسَطِ السَّبْعِ الْمَنَايِرِ الذَّهَبِيَّةِ" (رؤ٢: ٢).

وهنا يعلن الرب عمله الرعوي من جهة الكنائس ورعايتها.

فهو ليس بعيدًا عن الكنائس، لأنه الماشي في وسطها، يفتقدها. وهو مركز لها. كما أنه ليس بعيدًا عن رعاتها، بل هو ممسك بهم في يمينه. ليس فقط النشيط منهم الذي قال له: "قَدِ احْتَمَلْتَ وَلَكَ صَبْرٌ، وَتَعِبْتَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي وَلَمْ تَكِلَّ" (رؤ٢: ٣)، وليس فقط المجتهد في عمله الذي قال له: "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ وَمَحَبَّتَكَ وَخِدْمَتَكَ وَإِيمَانَكَ وَصَبْرَكَ، وَأَنَّ أَعْمَالَكَ الأَخِيرَةَ أَكْثَرُ مِنَ الأُولَى" (رؤ٢: ١٩) ... بل حتى الذي يسكن حيث كرسي الشيطان (رؤ٢: ١٣)، وحتى الفاتر (رؤ٣: ٦)، والذي له قوة يسيرة (رؤ٣: ٨).

كلهم في يمين الرب، وهو ممسك بهم. وكما قال مرة أخرى عن خاصته هؤلاء: "وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي" (يو١٠: ٢٨). بلا شك أنه كلام معزّ للكل، حتى للضعفاء أيضًا...

✠ ✠ ✠

❖ ولملاك كنيسة سميرنا، كرر لقبه الذي ذكره لتلميذه يوحنا بعبارة:

"هذَا يَقُولُهُ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، الَّذِي كَانَ مَيْتًا فَعَاشَ" (رؤ٢: ٨).

إنه للإنسان الذي في مرارة الاضطهاد والضيق، يعلن لاهوته وقيامته.

لكي يعرف أنه في رعاية هذا الإله الذي هو الأول والآخر. وأنه حتى إن مات في ذلك الاضطهاد، فسوف يقوم كما قام المسيح "الَّذِي كَانَ مَيْتًا فَعَاشَ" أو كما قال قبلًا: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا" (يو١١: ٢٥). إنه كلام مشجع ومعزِ...

❖ **ولملاك كنيسة برغاموس** التي فيها هرطقات يعلن نفسه بعبارة:

"هذَا يَقُولُهُ الَّذِي لَهُ السَّيْفُ الْمَاضِي ذُو الْحَدَّيْنِ" (رؤ٢: ١٢).

هنا يعلن قوته وجزاءه لمن ينكر الإيمان كأولئك الهراطقة.

أولئك الذين كان بينهم النيقولاويون، والمتمسكون بتعاليم بلعام. لذلك قال عنهم أيضًا: "وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ سَرِيعًا وَأُحَارِبُهُمْ بِسَيْفِ فَمِي" (رؤ٢: ١٦).

✠ ✠ ✠

❖ **ولملاك كنيسة ثياتيرا**، الذي عنده الخاطئة إيزابل التي تغوي عبيد الرب، أعلن عن نفسه بعبارة: "هذَا يَقُولُهُ ابْنُ اللهِ، الَّذِي لَهُ عَيْنَانِ كَلَهِيبِ نَارٍ، وَرِجْلاَهُ مِثْلُ النُّحَاسِ النَّقِيِّ" (رؤ٢: ١٨).

هنا يعلن الرب غضبه على الخطية. فعيناه كلهيب نار من حدة غضبه. وليس كما قيل عنه في سفر النشيد: "عَيْنَاهُ كَالْحَمَامِ... مَغْسُولَتَانِ بِاللَّبَنِ" (نش٥: ١٢).

في سفر النشيد تتكلم الكنيسة عن الرب حبيبها. أما هنا فيظهر الرب حزمه في معاملة الخطاة الذين لا يتوبون. هؤلاء الذين قال لهم القديس بولس الرسول: "مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ الْحَيِّ!" (عب١٠: ٣١).

إنه هو ابن الله القدوس (لو١: ٣٥) وأيضًا العادل، الذي يقول عن نفسه في نفس الرسالة إلى ملاك كنيسة ثياتيرا:

"فَسَتَعْرِفُ جَمِيعُ الْكَنَائِسِ أَنِّي أَنَا هُوَ الْفَاحِصُ الْكُلَى وَالْقُلُوبِ، وَسَأُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ" (رؤ٢: ٢٣)

وهذا لقب آخر، وإعلان عن لاهوته، وأنه هو الديان.

✠ ✠ ✠

❖ ولملاك الكنيسة التي في ساردس المحتاج إلى توبة، يعلن عن ذاته بعبارة: "هذَا يَقُولُهُ الَّذِي لَهُ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ وَالسَّبْعَةُ الْكَوَاكِبُ" (رؤ٣: ١).

أي أنه الذي له رؤساء الملائكة السبعة الذين في السماء، وملائكة الكنائس السبع الذين على الأرض، أي ملك السمائيين والأرضيين.

❖ ولملاك الكنيسة التي في فلادلفيا، الذي لم يوبخه على شيء، يعلن نفسه بعبارة: "هذَا يَقُولُهُ الْقُدُّوسُ الْحَقُّ، الَّذِي لَهُ مِفْتَاحُ دَاوُدَ، الَّذِي يَفْتَحُ وَلاَ أَحَدٌ يُغْلِقُ، وَيُغْلِقُ وَلاَ أَحَدٌ يَفْتَحُ" (رؤ٣: ٧).

وهنا يعلن لاهوته: لأنه هو القدوس، بل هو وحده القدوس كما ورد أيضًا في سفر الرؤيا (رؤ١٥: ٤). وأنه هو الحق، ومنه المواهب. هو الذي يمنح ويمنع. وهذا يثبت لاهوته أيضًا.

✠ ✠ ✠

❖ وبالنسبة إلى ملاك كنيسة اللاوديكيين الذي كان فاترًا، أعلن الرب نفسه له بقوله: "هذَا يَقُولُهُ الآمِينُ، الشَّاهِدُ الأَمِينُ الصَّادِقُ، بَدَاءَةُ خَلِيقَةِ اللهِ" (رؤ٣: ١٤).

كلّمه كشاهد أمين صادق على حالته.

✠ ✠ ✠

وسفر الرؤيا في رسائل الرب السبع إلى الكنائس، أرانا أن رعاتها كان بينهم الكثير من التنوع، وحالة كل واحد منهم غير حالة غيره، على الرغم من أنهم دعوا ملائكة.

❖ بعضـــهم كانوا أبرياء مجاهدين لأجل الكنيســـة. والبعض على الرغم من تعبهم واحتمالهم، نرى من بينهم من قد ترك محبته الأولى وســـقط ويحتاج إلى توبة، كملاك كنيسة أفسس (رؤ٢: ٤، ٥).

❖ **والبعض يلومه الرب على وجود هراطقة في كنيسته.**

مثال ذلك ملاك كنيســة **برغاموس** الذي يقول له الرب: "أَنَّ عِنْدَكَ هُنَاكَ قَوْمًا مُتَمَسِّــكِينَ بِتَعْلِيمِ بَلْعَامَ، الَّذِي كَانَ يُعَلِّمُ بَالاَقَ أَنْ يُلْقِيَ مَعْثَرَةً أَمَامَ بَنِي إِسْــرَائِيلَ: أَنْ يَأْكُلُوا مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ، وَيَزْنُوا. هكَذَا عِنْدَكَ أَنْتَ أَيْضًـا قَوْمٌ مُتَمَسِّكُونَ بِتَعْلِيمِ النُّقُولاَوِيِّينَ الَّذِي أُبْغِضُــهُ" (رؤ٢: ١٤، ١٥). بينما يقول لملاك كنيسـة أفسـس: "عِنْدَكَ هذَا: أَنَّكَ تُبْغِضُ أَعْمَالَ النُّقُولاَوِيِّينَ الَّتِي أُبْغِضُهَا أَنَا أَيْضًا" (أف٢: ٦).

✠ ✠ ✠

❖ وملاك كنيســة **ثياتيرا**، على الرغم من محبته وإيمانه وصــبره، وأن أعماله الأخيرة كانت أكثر من الأولى، إلا أن الرب أخذ عليه تســيّب المرأة إيزابل التي تغوي الناس أن يزنوا ويأكلوا ما ذُبح للأوثان (رؤ٢: ٢٠).

❖ وملاك كنيسـة **سـاردس** كانت حالته سيئة جدًا: أن له اسـمًا أنه حيّ وهو ميت (رؤ٣: ١). ومع ذلك كانت عنده أسماء في ساردس لم ينجسوا ثيابهم.

وملاك كنيسـة **لاوديكية** كانت حالته أيضًـا سـيئة جدًا. ما كان حارًا ولا باردًا، بل كان فاترًا. والرب مزمع أن يتقيأه من فمه. وكان أيضًـا شـقيًا وبائسًـا وفقيرًا وأعمى وعريانًا. ومع ذلك يقول: "إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ" (رؤ٣: ١٧).

✠ ✠ ✠

وقد وجه الرب إنذارات ونصائح لملائكة هذه الكنائس:

❖ فقال لملاك كنيسـة **أفسـس:** "اذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَـقَطْتَ وَتُبْ، وَاعْمَلِ الأَعْمَالَ الأُولَى، وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ عَنْ قَرِيبٍ وَأُزَحْزِحُ مَنَارَتَكَ مِنْ مَكَانِهَا، إِنْ لَمْ تَتُبْ" (رؤ٢: ٥).

❖ ونصـح ملاك كنيسـة **سـميرنا** قائلًا: "لاَ تَخَفِ الْبَتَّةَ مِمَّا أَنْتَ عَتِيدٌ أَنْ تَتَأَلَّمَ بِهِ" وقال له أيضًا: "كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ" (رؤ٢: ١٠).

❖ وقال لملاك كنيسة **برغاموس:** "تُبْ وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ سَرِيعًا وَأُحَارِبُهُمْ (أي الهراطقة)، بِسَيْفِ فَمِي" (رؤ٢: ١٦).

❖ ولملاك كنيسة **ثياتيرا**، وجه الإنذارات إلى الخاطئة إيزابل مع عقوبة. وقال إنه الفاحص الكلى والقلوب وسيعطي كل واحد حسب أعماله (رؤ٢: ٢٢، ٢٣). أما عن الباقين، فقال لهم: "لاَ أُلْقِي عَلَيْكُمْ ثِقْلاً آخَرَ، وَإِنَّمَا الَّذِي عِنْدَكُمْ تَمَسَّكُوا بِهِ إِلَى أَنْ أَجِيءَ" (رؤ٢: ٢٤، ٢٥).

✠ ✠ ✠

❖ ولملاك كنيسة **ساردس**، قال له: "اذْكُرْ كَيْفَ أَخَذْتَ وَسَمِعْتَ، وَاحْفَظْ وَتُبْ، فَإِنِّي إِنْ لَمْ تَسْهَرْ، أُقْدِمْ عَلَيْكَ كَلِصٍّ، وَلاَ تَعْلَمُ أَيَّةَ سَاعَةٍ أُقْدِمُ عَلَيْكَ" (رؤ٣: ٣).

❖ ولملاك كنيسة **فلادلفيا**، قال له: "هَا أَنَا آتِي سَرِيعًا. تَمَسَّكْ بِمَا عِنْدَكَ لِئَلاَّ يَأْخُذَ أَحَدٌ إِكْلِيلَكَ" (رؤ٣: ١١).

ونلاحظ أن الرب لم يوبخ ملاك فيلادلفيا على شيء، بل على العكس اِمتدحه وباركه، بأنه سيجعل أعداءه يأتون ويسجدون أمام رجليه. وقال له أيضًا: "هَنَذَا قَدْ جَعَلْتُ أَمَامَكَ بَابًا مَفْتُوحًا وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُغْلِقَهُ" (رؤ٣: ٨، ٩). كما وعده بأنه سوف يحفظه من ساعة التجربة العتيدة أن تأتي على العالم كله (رؤ٣: ١٠).

وملاك كنيسة **اللاوديكيين** نصحه الرب أن يشتري منه ذهبًا مصفى بالنار، وثيابًا بيضًا لكي يلبس ولا يظهر خزي عريته (رؤ٣: ١٨). وأراه أن من يحبه الرب يؤدبه (رؤ٣: ١٩).

✠ ✠ ✠

نلاحظ في رسائل الرب إلى السبع الكنائس عنصر الرجاء في إمكانية الغلبة. فقال لكل منهم "مَنْ يَغْلِبُ" وأتبعها بمكافأة.

حتى بالنسبة إلى كل من سقط ويحتاج إلى التوبة، حتى للذي له اسم أنه حي وهو ميت. وأيضًا بالنسبة إلى الفاتر الذي الرب مُزمع أن يتقيأه من فمه.

وفي الرجاء قال عن عمله في الخاطئين: "هنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي" (رؤ٣: ٢٠).

ما أعظم رقة الرب في أنه يفتح باب الغلبة للكل...

✠ ✠ ✠

أما عن المكافأة التي وعد بها الرب في تلك الرسائل فهي كثيرة.

❖ قال لملاك كنيسة **أفسس:** "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ اللهِ" (رؤ٢: ٧).

❖ وقال لملاك كنيسة **سميرنا:** "مَنْ يَغْلِبُ فَلاَ يُؤْذِيهِ الْمَوْتُ الثَّانِي" (رؤ٢: ١١).

❖ وقال لملاك كنيسة **برغاموس:** "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنَ الْمَنِّ الْمُخْفَى، وَأُعْطِيهِ حَصَاةً بَيْضَاءَ، وَعَلَى الْحَصَاةِ اسْمٌ جَدِيدٌ مَكْتُوبٌ لاَ يَعْرِفُهُ أَحَدٌ غَيْرُ الَّذِي يَأْخُذُ" (رؤ٢: ١٧).

ولملاك كنيسة **ثياتيرا،** قال: "مَنْ يَغْلِبُ وَيَحْفَظُ أَعْمَالِي إِلَى النِّهَايَةِ فَسَأُعْطِيهِ سُلْطَانًا عَلَى الأُمَمِ، فَيَرْعَاهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ... وَأُعْطِيهِ كَوْكَبَ الصُّبْحِ" (رؤ٢: ٢٦- ٢٨).

✠ ✠ ✠

❖ ولملاك كنيسة **ساردس،** قال: "مَنْ يَغْلِبُ فَذلِكَ سَيَلْبَسُ ثِيَابًا بِيضًا، وَلَنْ أَمْحُوَ اسْمَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَسَأَعْتَرِفُ بِاسْمِهِ أَمَامَ أَبِي وَأَمَامَ مَلاَئِكَتِهِ" (رؤ٣: ٥، ٦).

❖ ولملاك كنيسة **فيلادلفيا،** قال: "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأَجْعَلُهُ عَمُودًا فِي هَيْكَلِ إِلهِي، وَلاَ يَعُودُ يَخْرُجُ إِلَى خَارِجٍ" (رؤ٣: ١٢).

❖ ولملاك كنيسة **اللاوديكيين،** قال: "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِي فِي عَرْشِي، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيْضًا وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ" (رؤ٣: ٢١).

بَابٌ مَفتوح في السَماء...

قال القديس يوحنا الرائي:

"بَعْدَ هذَا نَظَرْتُ وَإِذَا بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي السَّمَاءِ، وَالصَّوْتُ الأَوَّلُ الَّذِي سَمِعْتُهُ كَبُوق يَتَكَلَّمُ مَعِي قَائِلاً: «اصْعَدْ إِلَى هُنَا فَأُرِيَكَ مَا لاَ بُدَّ أَنْ يَصِيرَ بَعْدَ هذَا».. وَلِلْوَقْتِ صِرْتُ فِي الرُّوحِ، وَإِذَا عَرْشٌ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَعَلَى الْعَرْشِ جَالِسٌ. وَحَوْلَ الْعَرْشِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ عَرْشًا. وَرَأَيْتُ عَلَى الْعُرُوشِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ شَيْخًا (كاهنًا) جَالِسِينَ مُتَسَرْبِلِينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ، وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ أَكَالِيلُ مِنْ ذَهَبٍ. وَمِنَ الْعَرْشِ يَخْرُجُ بُرُوقٌ وَرُعُودٌ وَأَصْوَاتٌ. وَأَمَامَ الْعَرْشِ سَبْعَةُ مَصَابِيحِ نَارٍ مُتَّقِدَةٌ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ" (رؤ٤: ١– ٥).

✠ ✠ ✠

لقد تدرج الرب مع رسوله يوحنا. ولم ينقله دفعة واحدة إلى السماء.

إنما في الأول ظهر له على الأرض وهو في جزيرة بطمس. ولم يظهر له في عرشه، وإنما "شِبْهُ ابْنِ إِنْسَانٍ" (رؤ١: ١٣). ولكن في رؤيا عجيبة: "رَأْسُهُ وَشَعْرُهُ فَأَبْيَضَانِ كَالصُّوفِ الأَبْيَضِ كَالثَّلْجِ، وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ... وَوَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَهِيَ تُضِيءُ فِي قُوَّتِهَا" (رؤ١: ١٤، ١٦). وبعدما تكلم مع يوحنا، ونما يوحنا في الروح، فتح له بابًا في السماء لكي ينظر. ثم قال له كلمة عجيبة وعميقة، احترت في فهمها، وهي: "اصْعَدْ إِلَى هُنَا فَأُرِيَكَ مَا لاَ بُدَّ أَنْ يَصِيرَ بَعْدَ هذَا" (رؤ٤: ١).

حقًا كيف يمكنه أن يصعد من الأرض إلى السماء، ويدخل من ذلك الباب المفتوح في السماء؟ هنا يقول القديس يوحنا: "وَلِلْوَقْتِ صِرْتُ فِي الرُّوحِ".

✠ ✠ ✠

إن القديس بولس الرسول، حينما صعد إلى السماء الثالثة، وسمع كلمات لا يُنطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها، قال عن حالته وقتذاك: "**أَفِي الْجَسَدِ أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللهُ يَعْلَمُ**" (٢كو١٢: ٢، ٣). لم يكن القديس بولس يعرف

كيف تم ذلك؟ وكيف كانت حالته الروحية في ذلك الوقت.

كذلك القديس يوحنا الرائي، "صِـرْتُ فِي الرُّوحِ". ولم يقل بعدها "صـعدت إلى السماء ورأيت". إنما من تواضعه اكتفى بأن قال: "وللوقت إذا أمامى عرش". طبعًا هذا الذي رآه حينما صعد إلى السماء، بناءً على قول الرب له "اصْعَدْ إِلَى هُنَا فَأُرِيَكَ"...

✠ ✠ ✠

ليتنا نلاحظ هذا التدرج في العلاقة بالروح:

في الرؤيا الأولى قال عن نفسـه: "كُنْتُ فِي الرُّوحِ فِي يَوْمِ الرَّبِّ" (رؤ١: ١٠) والآن يقول: "صِرْتُ فِي الرُّوحِ" (رؤ٤: ٢). فما الفرق بينهما؟

هنا سيكون في إعلانات أسمى، وفي مناظر أعظم وأعلى وأعمق.

لذلك يحتاج إلى دفعة روحانية أخرى، تعطيه قامة روحية أعلى، يسـتطيع بها أن يصعد إلى السماء، ويرى أشياء عالية جدًا، ويكتبها.

من أجل هذا قال: "فصرت في الروح" أي أخذت دفعة روحية أكبر. الرب بعد القيامة نفخ في وجوه تلاميذه القديسـين، وقال لهم: "اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ" (يو٢٠: ٢٢، ٢٣). فأخذوا سـلطان الكهنوت. وفي يوم الخمسـين، حل الروح القدس عليهم كألسـنة من نار (أع٢) فأخذوا موهبة التكلم بألسـنة، وكرزوا ونجحوا في الكرازة.

ثم بعد ذلك كانت لهم عطايا أخرى من الروح. فنسـمع كلمة الامتلاء من الروح، وعبارة القديس يوحنا الرائي "صِرْتُ فِي الرُّوحِ".

✠ ✠ ✠

لقد أخذوا نفخة الروح، وحلّ عليهم الروح، وامتلأوا من الروح، وصـاروا يأخذون من الروح أكثر. ونحن ما هو وضعنا؟

نقرأ عن هؤلاء الآباء الرسل، فتصغر نفوسنا بالمقارنة...

إن القديس بولس الرسول، على الرغم من كل ما أخذه من الروح، وعلى الرغم من اختطافه إلى السماء الثالثة، فإنه يقول: "أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَا لَسْتُ أَحْسِبُ نَفْسِي أَنِّي

قَدْ أَدْرَكْتُ. وَلكِنِّي أَفْعَلُ شَـيْئًا وَاحِدًا: إِذْ أَنَا أَنْسَـى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ، أَسْعَى نَحْوَ الْغَرَضِ" (في٣: ١٣، ١٤).

ما هو هذا السعي إلى قدام، الذي يسعاه هذا الرسول العظيم؟!

ونحن ههنا قابعون على الأرض: لم نصـعد إلى شـيء مما صـعده أولئك الآباء، ولم ننال شيئًا مما نالوه. لكننا نقرأ عن سيرهم، ونتأمل...

✠ ✠ ✠

يقول القديس يوحنا الرسول: "نَظَرْتُ وَإِذَا بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي السَّمَاءِ".

إن أول شخص رأى هذا الباب المفتوح في السماء هو يعقوب أبو الآباء.

وذلك حينما رأى سلمًا بين السماء والأرض، ورأى الملائكة صاعدين ونازلين عليه، من أعلاه كلمة الله. فقال أبونا يعقوب: "مَا أَرْهَبَ هذَا الْمَكَانَ! مَا هذَا إِلاَّ بَيْتُ اللهِ، وَهذَا بَابُ السَّمَاءِ" (تك٢٨: ١٧).

إنها أول مرة نقرأ فيها عبارة "بَابُ السَّـمَاءِ". وهوذا القديس يوحنا الرائي يقول: "نَظَرْتُ وَإِذَا بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي السَّمَاءِ".

أما نحن فإننا ننظر إلى السماء، ولا نرى إلا السحب والغيوم، وقد نرى الشمس والقمر والنجوم، وليس أكثر. أما القديس يوحنا، فرأى بابًا مفتوحًا في السـماء. وأي سماء؟ إنها التي قيل عنها: "السَّمَاءِ لأَنَّهَا كُرْسِيُّ اللهِ" (مت٥: ٣٤) أي عرش الله.

وكان القديس يوحنا أول من شرح لنا ما هو داخل باب السماء...

✠ ✠ ✠

إنه شـرح ذلك، بعد أن قال الرب: "مَنْ يَغْلِبُ فَسَـأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِي فِي عَرْشِي، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيْضًا وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ" (رؤ٣: ٢١).

وهنا يبدو التتابع بين آخر الأصحاح الثالث من سفر الرؤيا، وأول الأصحاح الرابع منه.

القديس يوحنا رأى عرش الله ووصفه، وتمتع بمذاقة الملكوت.

كثير من القديسـين يتمتعون بمذاقة الملكوت وهم على الأرض. بل لقد قال

بعض الآباء: "الذي لا يذوق ملكوت الله على الأرض، لا يمكن أن يتمتع به في السماء". لاحظوا أنه قال: "ملكوت الله، وليس ملكوت السماوات". ذلك لأن: "مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ" (لو١٧: ٢١) في القلب وفي العقل.

وما أجمل ما قاله داود النبي في مزاميره عن مذاقة الملكوت، قوله: "ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ!" (مز ٣٤: ٨).

✠ ✠ ✠

أخشى ما أخشاه أيها الأحباء أن نذهب إلى السماء كغرباء، ليست لنا علاقة بها، لم نذق شيئًا من أمورها السماوية! ولم نعرف أهلها!

بينما يقول القديس بولس الرسول: "فَلَسْتُمْ إِذًا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلاً، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ" (أف٢: ١٩).

فهل لكلٍ منا صداقة مع هؤلاء القديسين وأهل بيت الله؟ هل لنا معرفة عميقة وعلاقة وطيدة مع أهل بيت الله من الملائكة الرسل والأنبياء والشهداء وأبطال الإيمان وآباء البرية ورعاة الكنيسة؟ حتى إذا ما صعدنا إلى السماء، لا نجد أنفسنا غرباء عنهم، ولا هم غرباء عنا، بل نجد أنفسنا أهل بيت الله...

ليت كل واحد منا يكوّن له علاقة بالسماء قبل ذهابه إليها. من الآن، كوّنوا علاقة وصداقة مع سكان السماء.

✠ ✠ ✠

إن قول يوحنا الرسول: "نَظَرْتُ وَإِذَا بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي السَّمَاءِ" تذكرنا بعتاب ضمني في قول الرب: "هنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ" (رؤ٣: ٢٠).

إن الرب واقف يقرع على أبوابنا المغلقة، لعلنا نفتح له فيدخل ويتعشى معنا، بينما بابه مفتوح أمامنا في السماء، كما رآه يوحنا. إن معاملتنا لله، غير معاملته هو لنا. هذا الذي يأتي: "طَافِرًا عَلَى الْجِبَالِ، قَافِزًا عَلَى التِّلاَلِ" (نش٢: ٨). يقول لكل نفس من نفوسنا: "اِفْتَحِي لِي يَا أُخْتِي، يَا حَبِيبَتِي، يَا حَمَامَتِي، يَا كَامِلَتِي! لأَنَّ رَأْسِي

امْتَلأَ مِنَ الطَّلِّ، وَقُصَصِي مِنْ نُدَى اللَّيْلِ" (نش٥: ٢)، وهو يقرع على أبوابنا المغلقة أمامه!!

وهكذا يقول الرب: "إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْه" (رؤ٣: ٢٠) "إن سمع، إن فتح" إنها عبارة عتاب عميقة ومؤثرة...

✠ ✠ ✠

جميل هو قول القديس يوحنا الرائي: "نَظَرْتُ وَإِذَا بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي السَّمَاءِ" وقول الرب له: "اصْعَدْ إِلَى هُنَا فَأُرِيَكَ". عبارات معزية بلا شك.

إن الله هنا، هو الذي يبدأ معنا، وهو الذي يدعو...

لذلك يا أخي، إن سرت في الأرض، ووجدت أبواب الناس مغلقة في وجهك، فتذكر أن هناك بابًا مفتوحًا في السماء.

إن ضاقت الدنيا أمامك، وأوصدت كل السبل على الأرض... إن دعوت وليس من مجيب، وبحثت وليس من صديق... اذكر هذه العبارة فتتعزى "نَظَرْتُ وَإِذَا بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي السَّمَاءِ".

إنها عبارة يقولها كل إنسان في ضيقة، أو هي مرسلة لكل إنسان في ضيقة...

✠ ✠ ✠

بل إن كنت خاطئًا، ولم تُفتح لك أبواب التوبة، ولم تستطع أن تتخلص من الخطية، فاذكر الباب المفتوح في السماء.

وقل للرب الذي يفتح ولا أحد يغلق (رؤ٣: ٧). قل له بكل إيمان وتضرع: "تَوِّبْنِي فَأَتُوبَ" يا رب (إر ٣١: ١٨). حينئذ سترى بابًا مفتوحًا في السماء، من الله الذي لا يشاء موت الخاطئ، بل أن يرجع ويحيا (حز١٨: ٢٣).

صحيح إن عبارة الباب المفتوح في السماء، قد قيلت من القديس يوحنا في مجال آخر، ولكن لها معنى معزّ ننتفع به.

المهم أننا نرفع أنظارنا إلى السماء، لنرى بابها المفتوح لنا.

لأننا للأسف، كلما نقع في مشاكل أو ضيقات، نلتفت باستمرار إلى الأبواب التي على الأرض، ونادرًا ما ننظر إلى باب مفتوح في السماء! وهكذا نضيّع رجاءنا عبثًا، بينما إن رفعنا نظرنا إلى فوق إلى السماء، يزول منا القلق واليأس، ونتخلص من التعب والضيقة.

✠ ✠ ✠

والأمثلة كثيرة في الكتاب المقدس وفي تاريخ الكنيسة:

❖ كان الشعب في قلق أمام البحر الأحمر، والعدو خلفه. ولكن موسى النبي نظر وإذا باب مفتوح في السماء. فطمأن الشعب قائلًا: "الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ" (خر١٤: ١٤). ونفس الوضع عندما نزل لهم المن من السماء، وحينما ضرب الصخرة فتفجر منها الماء.

❖ أيضًا حينما ألقوا دانيال النبي في جب الأسود، كان أمامه باب مفتوح في السماء، نزل منه ملاك فسدّ أفواه الأسود (دا٦: ٢٢).

❖ كان هناك أيضًا باب مفتوح في السماء، خرج منه ملاك فأنقذ بطرس الرسول من السجن (أع١٢: ٧- ٩). وحدثت معجزة مماثلة مع بولس الرسول (أع١٦: ٢٥- ٢٧).

❖ كذلك كم حدث مع القديس أثناسيوس الرسولي من مرات انفتح فيها باب في السماء، فأنقذه فيما لاقاه من اضطهادات لأجل الإيمان.

✠ ✠ ✠

القديس يوحنا الرائي انفتح أمامه باب في السماء دون أن يطلب.

لا هو طلب هذا الباب المفتوح، ولا طلب أن يرى كل ما رآه من الإعلانات السمائية. وهكذا غالبية عطايا الله يعطيها لنا دون أن نطلب. يقول لنا: "وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ" (مت٦: ٣٣) "لأَنَّ أَبَاكُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ" (مت٦: ٨).

هذا هو الباب المفتوح في السماء، الذي يقول صاحبه إنه "يَفْتَحُ وَلاَ أَحَدٌ يُغْلِقُ"، وبهذا الباب المفتوح يرى المؤمن أن كل أموره أصبحت متيسرة وسهلة وموفقة.

لذلك أفضل شيء لنا أننا لا نحفر لنا في الأرض "أَبْآرًا مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً" (إر ٢: ١٣). بل نبحث عن الباب السماوي المفتوح لنا.

✠ ✠ ✠

المهم أن نحتفظ بهذا الباب مفتوحًا أمامنا على الدوام.

وهكذا يصلي الكاهن وهو يسدل ستر الهيكل، ويقول: "اجعل يا رب باب بيعتك مفتوحًا أمامنا في كل زمان، وإلى آخر الزمان. ولا تغلق باب بيعتك في وجوهنا". وهذه البيعة المقدسة تشّبه بالسماء. بابها باب السماء.

قال الرب ليوحنا الرائي: "اصْعَدْ إِلَى هُنَا فَأُرِيَكَ".

ولقد احترت كثيرًا أمام هذه العبارة! كيف يمكن يا رب أن يصعد إنسان إلى السماء، ويدخل من الباب المفتوح في السماء! والعجيب أن الرب قال هذه العبارة لإنسان منفي في جزيرة نائية، لم يجد حنانًا على الأرض، ولم يجد عدلًا على الأرض. وربما أي إنسان في مثل موقفه يظن أن الرب قد تخلى عنه وأسلمه إلى أيدي أعدائه...!

هذا الأسير المنفي أغلقت أمامه أبواب الأرض، ففتح له الله بابًا في السماء. وقال له: "اصْعَدْ إِلَى هُنَا فَأُرِيَكَ"... ويريه العرش الإلهي والقوات السمائية المحيطة بعرش الله... ولم يظهر له هذه الرؤيا وهو في أورشليم أو في الهيكل، بل في جزيرة بطمس، في النفي!

✠ ✠ ✠

حقًا إن ملكوت الله لا يأتي بمراقبة. لا نعرف متى يكلمنا الروح، ولا متى يدعونا. ولكن المهم أن نكون مستعدين لنداء الروح ولعمله فينا. نفتح له قلوبنا، فيفتح لنا الرب بابًا في السماء.

نكون مستعدين أننا نصعد في مستوانا الروحي، حتى يقول الرب لنا: "اصْعَدْ إِلَى هُنَا فَأُرِيَكَ...". وهكذا يصعدنا إلى فوق، إن صرنا في الروح.

عَرش اللَـه

قال القديس يوحنا الرائي:

"وَلِلْوَقْتِ صِـرْتُ فِي الرُّوحِ، وَإِذَا عَرْشٌ مَوْضُـوعٌ فِي السَّـمَاءِ، وَعَلَى الْعَرْشِ جَالِسٌ. وَكَانَ الْجَالِسُ فِي الْمَنْظَرِ شِـبْهَ حَجَرِ الْيَشْـبِ وَالْعَقِيقِ، وَقَوْسُ قُزَحَ حَوْلَ الْعَرْشِ فِي الْمَنْظَرِ شِـبْهُ الزُّمُرُّدِ. وَحَوْلَ الْعَرْشِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْـرُونَ عَرْشًـا. وَرَأَيْتُ عَلَى الْعُرُوشِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ شَيْخًا جَالِسِينَ مُتَسَرْبِلِينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ، وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ أَكَالِيلُ مِنْ ذَهَبٍ. وَمِنَ الْعَرْشِ يَخْرُجُ بُرُوقٌ وَرُعُودٌ وَأَصْوَاتٌ. وَأَمَامَ الْعَرْشِ سَبْعَةُ مَصَابِيحِ نَارٍ مُتَّقِدَةٌ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ" (رؤ٤: ٢– ٥).

✠ ✠ ✠

هناك عبارة لم أستطع يا أخوتي أن أفهمها، ولا أظن أنني سأفهمها في يوم من الأيام، لأن فهمها فوق طاقة عقلي...!

من الجائز أن الروح يعطي شيئًا من المعرفة، أما فهم العقل، فلا. أُنظروا ماذا يقول القديس في رؤياه: "وَلِلْوَقْتِ صِـرْتُ فِي الرُّوحِ، وَإِذَا عَرْشٌ مَوْضُـوعٌ فِي السَّـمَاءِ، وَعَلَى الْعَرْشِ جَالِسٌ".

أما الذي لم أفهمه في هذه العبارة فهو هذا:

كيف استطاع يوحنا أن يرى الله، ويصفه لنا؟!

وأن يراه وهو جالس على عرشه! هذا أمر فوق طاقتي أن أفهمه. القديس يوحنا نفسـه، يقول في إنجيله: "اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْـنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ" (يو١: ١٨). أي أنه لم ير أحد الله الآب. ولما أراد أن يعطينا فكرة عنه، قدم لنا ابنه في الجسد، هذا الذي قال: "اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ" (يو١٤: ٩).

فكيف رأيت الله على عرشه أيها الرسول القديس؟!

✠ ✠ ✠

لقد قال الرب لموسى النبي: "لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ" (خر٣٣: ٢٠).

وقال الرب لموسى: "فَتَقِفُ عَلَى الصَّخْرَةِ. وَيَكُونُ مَتَى اجْتَازَ مَجْدِي، أَنِّي أَضَعُكَ فِي نُقْرَةٍ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَأَسْتُرُكَ بِيَدِي حَتَّى أَجْتَازَ. ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنْظُرُ وَرَائِي، وَأَمَّا وَجْهِي فَلاَ يُرَى" (خر٣٣: ٢١ – ٢٣).

موسى العظيم الذي قضى أربعين يومًا مع الله. موسى أعظم نبي في العهد القديم، لم يستطع أن يرى وجه الله. ولما رأى بكل احتياط شيئًا من مجد الله، صار وجهه يلمع، حتى أن بني إسرائيل خافوا أن يقتربوا إليه، فجعل على وجهه برقعًا (خر٣٤: ٢٩– ٣٣).

وأنت يا أبي يوحنا، كيف صعدت إلى السماء، ورأيت الله جالسًا على عرشه، وأخذت تصفه لنا؟! لست أفهم...

✠ ✠ ✠

إن القديس يوحنا نفسه في أول سفر الرؤيا، قال إنه لما رأى الرب، وهو شبه ابن إنسان: "سَقَطْتُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ كَمَيِّتٍ" (رؤ١: ١٣– ١٧).

ذلك لأنه على الرغم من ظهوره شبه ابن إنسان، كان "وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَهِيَ تُضِيءُ فِي قُوَّتِهَا... وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ".

"وَأَمَّا رَأْسُهُ وَشَعْرُهُ فَأَبْيَضَانِ كَالصُّوفِ الأَبْيَضِ كَالثَّلْجِ" (رؤ١: ١٦، ١٤). فخاف يوحنا ووقع كميت.

إذًا كيف في هذه الرؤيا، استطاع أن يرى عرش الله، ويصف هذا الجالس على عرشه؟! أنا في حيرة من أمري ومن أمره...

هل قوله: "صِرْتُ فِي الرُّوحِ" (رؤ٤: ٢)، تعني أنه صار في حالة روحية فائقة يمكن فيها أن يرى الله، لأن الإنسان في الجسد لا يستطيع أن يرى الله ويعيش؟!

✠ ✠ ✠

إن الآية الوحيدة التي تفتح لي طاقة من النور لأفهم هي:

"الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ" (١كو٢: ١٠).

وقد كان يوحنا: "فِي الرُّوحِ فِي يَوْمِ الرَّبِّ" (رؤ١: ١٠). وقال أيضًا: "صِرْتُ فِي الرُّوحِ" (رؤ٤: ٢) قبل أن يرى عرش الله.

أما قول الرب لموسى إن الإنسان لا يمكن أن يراني ويعيش، فتعني أن الإنسان في هذا الجسد المادي الهيولي لا يستطيع أن يرى وجه الله. ولكن عندما تنطلق الروح من هيولية هذا الجسد، ولو على الأرض، وتصعد إلى فوق، حينئذ تفحص كل شيء حتى أعماق الله!

مبارك هو الرب الذي أعطانا مثل هذه الروح، في كل قوتها وفي إمكانياتها. وفي كل ما يصبغه عليها من النعمة، حتى تستطيع أن ترى ما لا يُرى، وأن ترى الرب وتعيش.

✠ ✠ ✠

هناك طريقة أخرى نستطيع أن نرى الله، وهي قوله:

"طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ" (مت٥: ٨).

يعاينون الله غير المرئي، غير المدرك، غير المفحوص، الذي هو "نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ" (١تي٦: ١٦). فبنقاوة القلب يمكن أن نراه.

أما ونحن في النجاسة والدنس وفي وسخ الخطية، أما ونحن في الجسد الخاطئ الذي أذلته خطايا العالم، فلن نستطيع أن نرى الله. خطايانا مثل حائط كثيف يفصل بيننا وبين الله، ومثل غشاوة حول العينين تحجب الرؤية لا نستطيع أن نبصر الله، لأننا في الجسد، نسلك حسب الجسد.

أما القديس يوحنا الرائي، فقال عبارته العميقة "صِرْتُ فِي الرُّوحِ" أي أنه تخلى عن كثافة الجسد الهيولي، وصار نقيًا في الروح، واستطاع في روحانية أن يصعد إلى السماء. ويرى عرش الله...

✠ ✠ ✠

وهنا سؤال أوجهه إلى أبي القديس: ما هو العرش الذي رأيته؟ أليست السماء هي عرش الله، أو هي كرسي الله؟

كما قال السيد الرب: "لاَ تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ، لاَ بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَا كُرْسِيُّ اللهِ، وَلاَ بِالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ" (مت٥: ٣٤). وكرسي الله أي عرشه.

وما دام الله غير محدود، يكون عرشه أيضًا غير محدود. السماء أيضًا لا تسعه. كما نقرأ هذا في صلاة سليمان الملك عند تدشين الهيكل، حينما قال للرب: "هُوَذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لاَ تَسَعُكَ، فَكَمْ بِالأَقَلِّ هذَا الْبَيْتُ الَّذِي بَنَيْتُ؟" (١مل٨: ٢٧).

فإن كانت السماء هي عرش الله، وإن كانت سماء السماوات لا تسعه فما هو ذلك العرش الذي رآه يوحنا الرسول؟

ما رآه يوحنا كان مجرد رمز لعظمة الله، كان قبسًا بسيطًا من عظمته، فالله أعظم وأكبر من أن يراه إنسان محدود.

لقد أراد الله أن يعطينا شيئًا من المعرفة عن ذاته، بما تستطيع عقولنا أن تدركه، وكفى... مجرد فكرة بسيطة.

ولكي نفهم هذا الأمر بأسلوب بسيط أضرب مثلًا، لنفرض أن عالمًا عظيمًا في الرياضيات كأينشتاين مثلًا، أتاه تلميذ في التعليم الابتدائي يسأله سؤالًا: هل يستطيع أينشتاين العظيم أن يفرغ علمه في الرياضيات في عقل طفل كهذا؟! كلا، بل لكي يفهم هذا الطفل، يظل أينشتاين ينزل إلى مستواه، وينزل إلى الحد الذي يفهمه هذا الصغير.

وعلى هذا القياس، عندما يكشف لنا الله ذاته، يكشف لنا شيئًا بسيطًا من نوره ومن مجده ومن جلاله، ومن كمال صفاته، على قدر ما تحتمل قلوبنا الرضيعة أن تنهل ولو قطرة من لبن معرفته.

✠ ✠ ✠

قال يوحنا: نظرت وإذا عرش في السماء وعلى العرش جالس.

هذا الجالس لا أستطيع أن أدركه، فإدراكه فوق طاقتي.

وطبعًا لا يوجد في السماء عرش يجلس عليه أحد سوى الله. هنا نرى الله في السماء ملكًا يجلس على عرشه. وليس كما رأيناه عندما أخلى ذاته وتجسد: في مزود، أو على جبل التجلي، أو على شاطئ البحيرة، أو على جبل الجلجثة وعلى خشبة الصليب. "لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ... وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ" (إش٥٣: ٢).

إنما نراه هنا على عرشه مثل صورة الله الـ PANTOKRATOR ضابط الكل الذي نراه في شرقية الهيكل، وعرشه محمول على الأربعة أحياء: الأول شبه أسد، والثاني شبه الثور، والثالث شبه نسر، والرابع شبه إنسان، محمولًا على الشاوربيم.

يقول القديس يوحنا: "وَكَانَ الْجَالِسُ فِي الْمَنْظَرِ شِبْهَ حَجَرِ الْيَشْبِ وَالْعَقِيقِ، وَقَوْسُ قُزَحَ حَوْلَ الْعَرْشِ فِي الْمَنْظَرِ شِبْهُ الزُّمُرُّدِ" (رؤ٤: ٣).

اليشب والعقيق والزمرد. كلها أحجار كريمة ثمينة جدًا، لست أدري كيف وصل القديس يوحنا الرسول إلى معرفتها، وقد كان صيادًا فقيرًا بعيدًا عن هذه الجواهر. لعله كشف من الله له.

وهكذا نرى سفر الرؤيا فيه إشارات كثيرة إلى هذه الأحجار الكريمة، وبخاصة حينما تحدث عن المدينة المقدسة أورشليم الجديدة في الأصحاح الحادي والعشرين. فذكر اثني عشر نوعًا من الجواهر في أساسات المدينة، وقال إن كل باب من أبوابها الاثني عشر من لؤلؤة واحدة، والمدينة ذهب نقي (رؤ٢١: ١٨– ٢١). هذا ما رآه وما كشفه له الله.

✠ ✠ ✠

منظر الجالس شبه حجر اليشب والعقيق، تذكرنا بسفر النشيد حيث تقول العروس عن الرب: "حَبِيبِي أَبْيَضُ وَأَحْمَرُ" (نش٥: ١٠).

فحجر اليشب حجر شديد الشفافية، والعقيق حجر كريم أحمر اللون، وهكذا يكون وصف الجالس على العرش كما في سفر النشيد، أبيض وأحمر. أبيض في نقاوته، وأحمر في فدائه. أبيض في نوره، وأيضًا أحمر في ناره. لأن إلهنا نور ونار.

ونقول عن السيد المسيح أنه: "نور من نور" نور مولود من نور. والله نار كما يقول الكتاب: "إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ" (عب١٢: ٢٩) والروح القدس، روح الله، يشبه بالنار.

✠ ✠ ✠

وقال القديس يوحنا: وَقَوْسُ قُزَحَ حَوْلَ الْعَرْشِ... شِبْهُ الزُّمُرُّدِ.

وحديثه عن قوس قزح يذكر بوعد الله بعد رسو فلك نوح.

أبونا نوح قدم محرقات، واشتم منها الله رائحة الرضا (تك٨: ٢٠، ٢١). وقال الله: "أُقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلاَ يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضًا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ... وَضَعْتُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ مِيثَاق بَيْنِي وَبَيْنَ الأَرْضِ. فَمَتَى كَانَتِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، أُبْصِرُهَا لأَذْكُرَ مِيثَاقًا أَبَدِيًّا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ عَلَى الأَرْضِ... فَلاَ تَكُونُ أَيْضًا الْمِيَاهُ طُوفَانًا لِتُهْلِكَ كُلَّ ذِي جَسَدٍ" (تك٩: ١١– ١٦).

إذًا قوس قزح هو رمز أنه لا يكون فناء للبشرية فيما بعد. وحسن أن القديس يوحنا رآه حول عرش الله، ليذكرنا بميثاق الله الذي يرمز إلى الخلاص من الفناء. وهو شبه الزمرد. والزمرد لونه أخضر. والخضرة رمز للهدوء وللسلام.

✠ ✠ ✠

ثم تحدث القديس يوحنا عن الأربعة والعشرين كاهنًا الجلوس عند عرش الله على كراسيهم، وعن أربعة وعشرين إكليلًا من ذهب على رؤوسهم.

حقًا إن كان مجد ليوحنا الرسول أن يصعد ويرى عرش الله، فكم هو أعظم بالأكثر أولئك المقيمون بصفة مستمرة حول العرش الإلهي، ولهم عروش حوله، ويتمتعون بصحبة الرب على الدوام، وليس بلقاء عابر كما حدث ليوحنا في رؤياه في يوم ما صعد فيه إلى السماء.

إنني أشعر بهيبة كبيرة أمام هؤلاء القديسين الأربعة والعشرين قسيسًا، الجالسين على عروشهم في حضرة الله.

وعجيب أنهم جلوس بينما نقول للرب: "أنت هو القيام حولك (أي الوقوف) الملائكة ورؤساء الملائكة والسلاطين والأرباب".

إذًا ما أعظم هؤلاء الجالسين حول عرش الله.

✠ ✠ ✠

ومما يزيد عظمتهم أن لهم أكاليلًا من ذهب على رؤوسهم.

أي يلبسون تيجانًا. فهم إذًا ملوك، أو هي تيجان الكهنوت. أو هم بذلك ملوك وكهنة، كما قيل في أول سفر الرؤيا: "وَجَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً" (رؤ١: ٦). هم ملوك لأنهم يجلسون على عروش، ولأنهم يلبسون تيجانًا، بل قيل عن تيجانهم إنها من ذهب، رمزًا إلى عظمتها. أما عن كونهم كهنة، فلأنه قيل عنهم: "وَلَهُمْ كُلِّ وَاحِدٍ قِيثَارَاتٌ وَجَامَاتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوَّةٌ بَخُورًا هِيَ صَلَوَاتُ الْقِدِّيسِينَ" (رؤ٥: ٨).

وقد اِحتار البعض في من يكونون هؤلاء الأربعة والعشرين؟

✠ ✠ ✠

قيل إن رقم ٢٤ يرمز إلى ١٢ سبطًا في العهد القديم، و١٢ رسولًا في العهد الجديد، أي إلى القيادات الدينية في العهدين.

وقد وعد الرب تلاميذه بأنهم يجلسون على كراسي ليدينوا أسباط إسرائيل الاثني عشر (لو٢٢: ٣٠) وفي سفر الرؤيا ذكر عن أورشليم السمائية إن لها ١٢ بابًا وعليها أسماء مكتوبة هي أسماء أسباط إسرائيل الاثني عشر.

بينما أساسات المدينة الـ ١٢ عليها أسماء رسل المسيح الاثني عشر (رؤ٢١: ١٢، ١٤). الأبواب لأن المدخل إلى العهد الجديد هو العهد القديم، والأساسات في العهد الجديد. لأن الرسل هم الذين أسسوا الكنيسة، كما قيل: "مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ" (أف٢: ٣٠).

حَـول العَـرش

قال القديس يوحنا الرائي:

"وَمِنَ الْعَرْشِ يَخْرُجُ بُرُوقٌ وَرُعُودٌ وَأَصْـوَاتٌ. وَأَمَامَ الْعَرْشِ سَـبْعَةُ مَصَـابِيحِ نَارٍ مُتَّقِدَةٌ، هِيَ سَـبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ. وَقُدَّامَ الْعَرْشِ بَحْرُ زُجَاجٍ شِـبْهُ الْبَلُّورِ. وَفِي وَسَـطِ الْعَرْشِ وَحَوْلَ الْعَرْشِ أَرْبَعَةُ حَيَوَانَاتٍ مَمْلُوَّةٌ عُيُونًا مِنْ قُدَّامٍ وَمِنْ وَرَاءٍ: وَالْحَيَوَانُ الأَوَّلُ شِـــبْهُ أَسَـدٍ، وَالْحَيَوَانُ الثَّانِي شِـبْهُ عِجْل، وَالْحَيَوَانُ الثَّالِثُ لَهُ وَجْهٌ مِثْلُ وَجْهِ إِنْسَـانٍ، وَالْحَيَوَانُ الرَّابِعُ شِـبْهُ نَسْـرٍ طَائِرٍ. وَالأَرْبَعَةُ الْحَيَوَانَاتُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا سِـتَّةُ أَجْنِحَةٍ حَوْلَهَا، وَمِنْ دَاخِل مَمْلُوَّةٌ عُيُونًا، وَلاَ تَزَالُ نَهَارًا وَلَيْلاً قَائِلَةً: قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي" (رؤ٤: ٥– ٨).

✠ ✠ ✠

يقول: "وَمِنَ الْعَرْشِ يَخْرُجُ بُرُوقٌ وَرُعُودٌ وَأَصْوَاتٌ".

هذا كله دلائل على قوة الله، وهيبة الله، ومجد الله.

هذا المنظر ظهر حينما نزل الله على الجبل ليعطي الوصـايا العشـر. إذ ورد في سـفر الخروج: "وَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ لَمَّا كَانَ الصَّـبَاحُ أَنَّهُ صَـارَتْ رُعُودٌ وَبُرُوقٌ وَسَـــحَابٌ ثَقِيلٌ عَلَى الْجَبَلِ، وَصَـــوْتُ بُوقٍ شَـــدِيدٌ جِدًّا. فَارْتَعَدَ كُلُّ الشَّـــعْبِ الَّذِي فِي الْمَحَلَّةِ. وَكَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الأَتُونِ، وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جِدًّا" (خر١٩: ١٦– ١٨).

لاحظوا أن المنظر الذي رآه القديس يوحنا، هو عن الأيام الأخيرة والدينونة. ولكن عندما جاء المسيح في تجسده، لم يأتِ ببروق ورعود. أما في الدينونة، فالبروق والرعود إشـارة إلى هيبة الجالس على العرش وجلاله كملك السـماء. فالسـماء تظهر إجلالها له بالرعود والبروق.

✠ ✠ ✠

يقول: "وَأَمَامَ الْعَرْشِ سَبْعَةُ مَصَابِيحِ نَارٍ مُتَّقِدَةٌ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ".

"سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ" تعني السبعة أرواح التي لله، أي السبعة رؤساء الملائكة، لأن الملائكة أرواح. كما قيل في المزمور: "الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحًا، وَخُدَّامَهُ نَارًا مُلْتَهِبَةً" (مز ١٠٤: ٤). ولأنهم نار تلتهب، قيل عنهم: "سَبْعَةُ مَصَابِيحِ نَارٍ مُتَّقِدَةٌ". وكلمة "نار" هنا، لا تعني نارًا مادية، إنما هي رمز لقوتهم ونشاطهم.

وتفسير هذه الأرواح بأنهم رؤساء الملائكة، لأن الحديث كله في – هذا الفصل – هو عن القوات السمائية المحيطة بعرش الله.

وقد ورد من أسماء رؤساء الملائكة هؤلاء: ميخائيل في سفر دانيال النبي (دا١٠) وفي سفر الرؤيا (رؤ١٢)، وغبريال أي جبرائيل في البشارة بميلاد السيد المسيح، وميلاد يوحنا المعمدان (لو١) ورافائيل في سفر طوبيا.

✠ ✠ ✠

وقال أيضًا: "وَقُدَّامَ الْعَرْشِ بَحْرُ زُجَاجٍ شِبْهُ الْبَلُّورِ".

يرى البعض أن بحر الزجاج هذا يرمز إلى التطهر قبل الوصول إلى عرش الله. لأنه إن كان قد قيل في المزمور الخمسين: "اغْسِلْنِي فَأَبْيَضَّ أَكْثَرَ مِنَ الثَّلْجِ" (مز ٥١: ٧)، فإن البلّور أكثر بياضًا ولمعانًا من الثلج.

ومن الناحية الأخرى، فإن بحر البلّور هذا، يعكس جمال العرش الإلهي، وجمال القوات السمائية المحيطة به.

وقد يرمز بحر الزجاج هذا إلى الاغتسال قبل الاقتراب إلى العرش، كما قيل: "لكِنِ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ، بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلهِنَا" (١كو٦: ١١). وقيل أيضًا: "لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ الإِيمَانِ... مُغْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ" (عب١٠: ٢٢).

فأنت على الأرض بالتوبة تبيض أكثر من الثلج. أما في الملكوت، فتكون لك شفافية ولمعان البلّور، بعد أن تطرح الجسد المادي.

✠ ✠ ✠

قال: "وَفِي وَسَـطِ الْعَرْشِ وَحَوْلَ الْعَرْشِ أَرْبَعَةُ حَيَوَانَاتٍ مَمْلُوَّةٌ عُيُونًا مِنْ قُدَّامٍ وَمِنْ وَرَاءٍ".

هذه الأربعة حيوانات، أو الأربعة أحياء غير المتجسدين، ترمز إلى الكاروبيم، وتذكرنا بنفس الرؤيا التي رآها حزقيال النبي (حز ١) عند نهر خابور، بنفس الوجوه الأربعة، وهي ملآنة عيونًا (حز ١: ١٠، ١٨).

إنها حول العرش ووسـط العرش، أي قريبة منه جدًا، وبالتالي فهم يعرفون الله أكثر من غيرهم، ويدركون جلاله ويدركون جماله.

وكثرة عيونهم، تعني معرفتهم الواسعة. وكون العيون من قدام ومن وراء، يعني أنهم ينظرون في كل اِتجاه، ويرون الأمور من كافة نواحيها. ولهذا فإن البعض فسّـر الكاروبيم بأنهم يرمزون إلى ملء المعرفة.

✠ ✠ ✠

إنها ترى من قدام ومن وراء. بعكسنا نحن البشر الذين نرى من قدام فقط.

نرى من الشيء ما يظهر منه، ولا ندرك ما يختفي وراءه، أو ننظر إلى الأمور من زاوية واحدة دون أن نلّم بالكل. أو نسمع الكلام من وجهة نظر واحدة، دون معرفة وجهة النظر الأخرى التي ترد عليه.

إن الإنسـان الذي له فقط عيون من قدام، إنما يؤثر عليه ما يراه وما يسـمعه، دون أن يدرك خلفياته. وينطبق عليه قول الشاعر:

أثرّ البهتـــــــان فيـــــه وأنطــوى الزور عليــهِ

يا لــه من ببغـــــــــــاءِ عقله في أذنيـــــــــهِ

أما الكاروبيم، أو هؤلاء الحيوانات الأربعة، فلهم عيون من قدام ومن وراء، يدركون الأمور من كل ناحية.

✠ ✠ ✠

الحيوان الأول شــبه أســد، والثاني شــبه الثور. والثالث له وجه مثل وجه

إنسان. والرابع شبه نسر طائر.

الحيوان الأول شبه أسد، يمثل القوة والشجاعة والجرأة.

والثاني شبه الثور، يمثل الاحتمال والصبر والجلَد.

والثالث له وجه شبه إنسان، يمثل الحكمة والعقل والمعرفة.

والرابع شبه النسر، يمثل النشاط والانطلاق إلى فوق، والعلو وعدم السقوط. فالحيوانات الأربعة إذًا تمثل كل هذه الصفات...

ومن هنا نأخذ درسًا: أن الخدام الذين يريدهم الله، يكونون من هذا النوع. لهم الشجاعة التي يحملون بها رسالته، ويتكلمون بكلمته بغير خوف. ولهم صبر واِحتمال في كل ما يصيبهم. وأيضًا لهم حكمة بها ينشرون الكلمة بعقل ومعرفة. ولهم نشاط وسموٍ في خدمتهم.

✠ ✠ ✠

على أن الحيوانات الأربعة تمثل أمورًا أخرى.

الحيوان الأول شبه الأسد، يمثل الله كملك، وأولاد الله أيضًا كملوك. والثاني شبه الثور يمثل الذبائح التي كانت تقدم لله، وكذلك يمثل الكهنوت. كما قيل في سفر الرؤيا: "وَجَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً" (رؤ١: ٦). أما الذي له وجه إنسان فيمثل العبادة. والذي له وجه نسر طائر، فأنه في تحليقه العالي المرتفع إلى السماء، فيمثل القلب المتسامي إلى فوق، في علوه نحو الله.

✠ ✠ ✠

وأيضًا هذه الحيوانات الأربعة ترمز إلى الإنجيليين الأربعة.

فكل واحد من الإنجيليين الأربعة نضع أمامه صورة أحد هذه الحيوانات الأربعة. فالأول شبه أسد، لأن أول إنجيل قد كُتب هو إنجيل مار مرقس الذي يمثله الأسد، والذي يبدأ بصوت صارخ في البرية كصوت أسد.

والثاني شبه الثور، يرمز إلى إنجيل معلمنا لوقا الذي يبدأ بكهنوت زكريا وبالذبائح التي قدمت عن السيد المسيح (لو١: ٨) (لو٢: ١١- ٢٤).

والثالث شبه إنسان، يرمز إلى إنجيل متى الذي بدأ بنسب السيد المسيح كإنسان ابن داود ابن إبراهيم (مت١: ١).

والرابع شبه نسر، يمثل يوحنا الذي إرتفع بالحديث عن لاهوت الابن الكلمة، الذي به كان كل شيء، وبغيره لم يكن شيء مما كان.

✠ ✠ ✠

والحيوانات الأربعة ترمز أيضًا إلى السيد المسيح وعمله لأجل رعيته.

فالحيوان الأول شبه الأسد يرمز إلى المسيح الملك، الذي قيل إنه: "مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ" (رؤ١٩: ١٦) والذي قيل عنه أيضًا: "هُوَذَا قَدْ غَلَبَ الأَسَدُ الَّذِي مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، أَصْلُ دَاوُدَ" (رؤ٥: ٥).

والثاني شبه الثور، يرمز إلى السيد المسيح كذبيحة عن خطايانا، هذا الذي بذل ذاته عنا، فأصبح يمثل الذبائح القديمة.

والثالث شبه إنسان، لأن السيد المسيح لما أراد أن يفدينا: "أخلى ذاته وصار في الهيئة كإنسان" (في٢: ٧، ٨). ودُعي ابن الإنسان.

والرابع شبه النسر، يمثل السيد المسيح في صعوده إلى السماء، وفي أنه رفع الناس بفدائه إلى السماء. كما قال: "وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ... أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ" (يو١٢: ٣٢).

✠ ✠ ✠

والأربعة حيوانات، لكل واحد منها ستة أجنحة (رؤ٤: ٨).

وكما نقول في القداس الإلهي عن هذه الأجنحة الستة: "بجناحين يغطون وجوههم، وباثنين يغطون أرجلهم، ويطيرون باثنين". ولعل هذا الوصف مأخوذ من سفر إشعياء النبي (إش٦: ٢).

يغطون وجوهم بمشاعر من الخشوع. فهؤلاء الممتلئون أعينًا يعطون أعينهم خشوعًا، حتى لا يتفرسون في مجد الله. وهذا درس لنا، حتى لا تتشاغل حواسنا بشيء أثناء الصلاة، وبخاصة في الكنيسة.

وبجناحين يغطون أرجهلم كناية عن الحشمة. وهو درس للفتيات اللائي يكشفن أرجلهن. فإن كان الملائكة يغطون أرجلهم، فكم بالأولى البشر.

ويطيرون بجناحين، وهم مغطون وجوههم وأرجلهم، أي من فوق ومن تحت. وبهذا الخشوع وهذه الحشمة يسبحون الله.

✠ ✠ ✠

ويقولون: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي".

القديس يوحنا، بعد ما رأى عرش الله، ووصفه لنا، يتحدث الآن عن تسبيح الكائنات السمائية المحيطة بالعرش.

فهؤلاء الأحياء الأربعة، بعد أن رأوا جمال الله، وارتووا من محبته، لم يستطيعوا أن يسكتوا. كانوا في ملء الفرح والإحساس بجلال الله، فلم يقدروا أن يكتموا مشاعرهم، ولا أن يكبتوا إحساسهم الجواني. فأصبحوا "نَهَارًا وَلَيْلاً قَائِلَةً: قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ".

وعبارة "نَهَارًا وَلَيْلاً" تعني الاستمرارية والدوام، لأنه لا يوجد ليل في السماء (رؤ٢١: ٢٥). إنما عُبّر هنا عن تتابع الوقت.

وتسبحة الثلاثة تقديسات هذه التي صدرت من الكاروبيم، إنما تذكرنا أيضًا بتسبحة السارافيم، كما وردت في سفر إشعياء (إش٦).

✠ ✠ ✠

إنهم يسبحون الله في قداسته، وفي قدرته على كل شيء، وفي كينونته أيضًا: في الماضي، والحاضر والمستقبل.

أنا متعجب كيف اِستطاع هؤلاء الأحياء الأربعة، أن يحتملوا النظر إلى الله وعرشه! كثيرون لا يستطيعون النظر إلى الشمس في قوتها، فكيف يمكن النظر إلى الله وعرشه؟! لعله من أجل هذا، قيل إنهم بجناحين يغطون وجوههم...

إنهم يسبحون الله. لعلنا نلاحظ أنهم لم يطلبوا شيئًا، كما نفعل نحن كلما وقفنا للصلاة!

بل هم يسبحون فقط، متأملين في صفات الله الجميلة... الله القدوس، القادر على كل شيء. الكائن والذي كان، والذي يأتي...

✠ ✠ ✠

نحن نسبح الله "الذي يأتي"، لأننا ننتظر مجيئه. أما الملائكة الذين حول العرش، فلا ينتظرون مجيئه. لأنه معهم في كل حين...

لكنهم في هذه العبارة، ينوبون عنا، ويعبرون عن مشاعرنا نحن، ويذكرون أن الله سوف يأتي، إلينا نحن، وليس إليهم هم القائمين أمامه، الذين هم "وَفِي وَسَطِ الْعَرْشِ وَحَوْلَ الْعَرْشِ".

إن قداسة الله هي موضع تسبيح الملائكة، الكاروبيم والسارافيم. وقد أعطينا نحن البشر أن نشترك معهم بتسبحة الثلاثة تقديسات، التي نقولها كل يوم في صلواتنا، كما نقول له في قداساتنا أيضًا: قدوس قدوس قدوس. ذلك لأنه وحده قدوس (رؤ١٥: ٤).

✠ ✠ ✠

وكما أنه هو وحده قدوس، كذلك هو وحده القادر على كل شيء Almighty. وهذا اللقب يُعطى للآب وللابن أيضًا.

لأنه "مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ" (يو٥: ١٩).

وما دام الكاروبين قد قالوا: "الَّذِي يَأْتِي... الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (رؤ٤: ٨)، والذي يأتي هو الابن. إذًا الابن قادر على كل شيء. وهذا نفس ما ورد في (رؤ١١: ١٧). "نَشْكُرُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي" وما أكثر الأمثلة في سفر الرؤيا.

التمجيد والخشوع والسِفر المختوم

قال القديس يوحنا الرائي:

"وَحِينَمَا تُعْطِي الْحَيَوَانَاتُ مَجْدًا وَكَرَامَةً وَشُكْرًا لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ، الْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. يَخِرُّ الأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخًا قُدَّامَ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ، وَيَسْجُدُونَ لِلْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ، وَيَطْرَحُونَ أَكَالِيلَهُمْ أَمَامَ الْعَرْشِ قَائِلِين: أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ" (رؤ٤: ٩- ١١).

كلمة "تعطي مجدًا" معناها تعترف بمجده.

فالله لا ينقصه مجدًا يأخذه من أحد، ولا يحتاج إلى مجد من أي أحد من مخلوقاته. إنما مخلوقاته من القوات السمائية ومن البشر. تشعر بمجد الله، وتعترف بهذا المجد، أو تنطق بهذا المجد، فيُقال إنها تمجده.

ونحن في الكنيسة نعطي مجدًا لله، أي نعترف بمجده، فنقول: "المجد للآب والابن والروح القدس" "المجد لك يا محب البشر" كما هتفت الملائكة عند ميلاد السيد المسيح قائلة: "المجد لله في الأعالي". كلها تمجيد تسمى في التسبحة "ذكصولوجيات".

وما نقوله عن المجد نقوله عن الكرامة. فتعطي لله كرامة أي تعترف بكرامته أو تنطق بكرامته.

✠ ✠ ✠

فالأحياء الأربعة في تمجيد الله قالوا: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ" (رؤ٤: ٨).

وهذا مجرد اعتراف بطبيعة الله الكلية القداسة، وإجلال لهذه القدسية. وكذلك قولهم: "الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ...".

إنه تأمل في صفات الله الجميلة، يشبع النفس حين تنطق به...

يقول الرائي: "إن الأحياء الأربعة تعطي الله مَجْدًا وَكَرَامَةً وَشُكْرًا".

وهذا الشكر له أسباب عديدة بلا شك. يكفي أنه أنعم عليها بالوجود إذ خلقها. ولم يكتفِ بهذا، وإنما جعلها أيضًا حول عرشه، وأعطاها التنعم بعشرته وجماله ومجده.

تسبيح الأحياء الأربعة ترك تأثيره في الأربعة والعشرين شيخًا الجلوس على كراسيهم، وأربعة وعشرين إكليلًا من ذهب على رؤوسهم.

أي كائن يشعر أنه تافه، حينما يتذكر عظمة الله ومجده، فحينما سمع الشيوخ تمجيده، خروا ساجدين قدام الجالس على العرش.

شعروا أنهم لا يستحقون الجلوس على كراسيهم قدام عرشه، وأنهم لا يستحقون لبس التيجان في حضرته، فقاموا عن كراسيهم وخروا ساجدين وطرحوا أكاليلهم أمام العرش. فلا يلبس شخصًا تاجًا أمام الكبير بل يخلعه. كم بالأولى أمام الله الجالس على عرشه.

ولم يكتفِ الشيوخ بهذا، بل نطقوا هم أيضًا بتسبيحهم قائلين: "أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ".

✠ ✠ ✠

إنه درس لنا في تمجيد الله، وفي الخشوع قدامه:

إنه درس للذين يصلون وهم جلوس، وللذين يسمعون الإنجيل في الكنيسة وهم جلوس. بينما يصيح الشماس قائلًا: قفوا بخوف من الله، وأنصتوا لسماع الإنجيل المقدس.

وهو درس للذين يجلسون أثناء تقديس سر الإفخارستيا المقدس، وأثناء توزيعه، وينسون قول الأب الكاهن للرب أنت هو القيام حولك "أي الوقوف" الشاروبيم والسارافيم.

كل هؤلاء وأمثالهم لا يكونون شاعرين بعظمة الله وجلاله. فإن الذي يشعر بهذا تتملكه الهيبة والخشية، لأنه أمام الله...

ومن هنا كان الوقوف في الصلاة والركوع، والسجود، ورفع الأيدي وعدم

انشـغال الحواس أثناء الصـلاة... هوذا الشـماس يقول أثناء القداس الإلهي: "اسـجدوا أمـام الله بخوف ورعدة". ويقول المرتل في المزمور: "في اللَّيالي. ارْفَعوا أَيْديكُم إِلَى القُدسِ، وبارِكوا الرَّبَّ" (مز١٣٤: ١، ٢).

✠ ✠ ✠

والذي يشعر بهيبة الله، يشعر بالهيبة أمام كل ما يخص الله.

يشـــعر بهيبـة نحو بيت الله، فيقول مع المرتل في المزمور: "أَمَّا أَنَا فَبِكَثْرَةِ رَحْمَتِكَ أَدْخُلُ بَيْتَكَ، وَأَسْجُدُ قُدَّام هَيْكَلِ قُدْسِكَ بمَخَافَتكَ" (مز٥: ٧) ويشـعر بهيبة أمام مذبح الله، ويخشع أمامه وأمام الذبيحة المقدسة عليه. فلا يتكلم أثناء الصلاة، ولا يدير ظهره للمذبح.

ويشـعر بهيبة أيضًـا أمام كتاب الله المقدس، فلا يصـنع شـيئًا فوق كتاب الله سوى الصليب، ويقرأ الكتاب بما يليق به من التوقير.

ويشـعر بهيبة أيضًـا أمام كهنة الله ومسـحائه، كما قال داود النبي عن شـاول الملك – على الرغم من أخطائه – "حَاشَـــا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَعْمَلَ هذَا الأَمْرَ بِسَيِّدِي، بِمَسِيحِ الرَّبِّ، فَأَمُدَّ يَدِي إِلَيْهِ، لأَنَّهُ مَسِيحُ الرَّبِّ هُوَ" (١صم٢٤: ٦).

✠ ✠ ✠

قال الأربعة والعشرين شيخًا في تسبحتهم:

"أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ".

ونحن نتذكر مجد الرب في كل صـلواتنا. فالصـلاة الربية التي نقولها كل يوم وكل ساعة، نختمها بقولنا: "لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد، آمين".

وفي صلاة نصف الليل نكرر عبارة "المجد لك يا محب البشر".

وباستمرار نقول نحن: " ذوكصابتري...": المجد للآب والابن والروح القدس.

وفي تسـبحة البصـخة طوال أسـبوع الآلام نقول للرب: "لأن لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين".

إن مجد الله أمام أعيننا باستمرار كما تعلمنا الكنيسة. ليته إذًا يكون ظاهرًا في كل أفعالنا وتصرفاتنا، وليس فقط في صلواتنا وأقوالنا.

✠ ✠ ✠

"أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ".

لحن أكسيوس "مستحق" نقوله للرب في مناسبات عديدة، لأنه هو الوحيد المستحق. ومع ذلك نقول: "أكسيوس" لكثير من القديسين والآباء، لأن الله جعلهم مستحقين. ونحن نصلي كثيرًا ونقول: "اجعلنا مستحقين" أما الله فهو مستحق بطبيعته، لأن له القدرة التي خلق بها كل الأشياء فهو الخالق وحده. وكل ما في الكون من صنعة يديه. كل الكائنات به قد كانت، "وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ" (يو ١: ٣).

هو أراد فكانت. هي إذًا كائنة بإرادته، وبه قد خلقت. ليتنا نسبحه، لأنه خلق كل شيء لراحتنا، ولم يدعنا معوزين شيئًا من أعمال وكرامته.

هنا وينتهي الأصحاح الرابع من سفر الرؤيا.

السِفر المختـوم

ويبدأ الأصحاح الخامس بقول القديس يوحنا الرائي:

"وَرَأَيْـتُ عَلَى يَمِينِ الْجَـالِسِ عَلَى الْعَرْشِ سِـــفْراً مَكْتُوبًـا مِنْ دَاخِـلٍ وَمِنْ وَرَاءٍ، خْتُومًا بِسَبْعَةِ خُتُومٍ. وَرَأَيْتُ مَلاَكًا قَوِيًّا يُنَادِي بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: مَنْ هُوَ مُسْتَحِقٌّ أَنْ يَفْتَحَ السِّـــفْرَ وَيَفُكَّ خُتُومَهُ؟ فَلَمْ يَسْـــتَطِعْ أَحَدٌ فِي السَّـــمَاءِ وَلاَ عَلَى الأَرْضِ وَلاَ تَحْتَ الأَرْضِ أَنْ يَفْتَحَ السِّـــفْرَ وَلاَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ. فَصِـــرْتُ أَنَا أَبْكِي كَثِيرًا، لأَنَّهُ لَمْ يُوجَدْ أَحَدٌ مُسْـتَحِقّا أَنْ يَفْتَحَ السِّـفْرَ وَيَقْرَأَهُ وَلاَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ. فَقَالَ لِي وَاحِدٌ مِنَ الشُّـيُوخِ: لاَ تَبْكِ. هُوَذَا قَدْ غَلَبَ الأَسَـدُ الَّذِي مِنْ سِـبْطِ يَهُوذَا، أَصْـلُ دَاوُدَ، لِيَفْتَحَ السِّـفْرَ وَيَفُكَّ خُتُومَهُ السَّبْعَةَ".

✠ ✠ ✠

قال: وَرَأَيْتُ عَلَى يَمِينِ... الْعَرْشِ سِفْرًا... مَخْتُومًا بِسَبْعَةِ خُتُومٍ.

كون هذا الســـفر على يمين الجالس على العرش، معناه أهمية الســـفر أهمية قصـــوى. أما عن كونه مكتوبًا من داخل ومن وراء، فقد قال البعض إنه يمثل النبوات الواردة في العهد القديم، وفي العهد الجديد أيضًا.

وقال البعض إن عبارة مكتوب من الناحيتين تعني أنه مملوء كتابة...

أما كونه مختومًا بسبعة ختوم. تعني أنه في منتهى السرية. بحيث لم يستطع أحد من القوات السمائية ولا من سكان الأرض أن يفك ختومه. فإن كان قد قيل شيء من هذا عن بعض من ســـفر الرؤيا، فهذا يعني أنه ليس كل شـــيء في هذا الســـفر واضـــحًا أمامنا. وليس عيبًا أن يقول الحكيم: "لا أعرف". فالقديس يوحنا الحبيب نفســه وقف أمامه وهو لا يعرف، وتساوى معه في عدم المعرفة الأربعة والعشرون كاهنًا في كل ما يمثلونه من رموز.

✠ ✠ ✠

ومعنى هذا أنه ليس في مقدورنا أن نعرف ونفسر كل شيء وإلا كان الواحد

منا "يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ" (رو١٢: ٣).

فلا نحاول – بالحق وبالباطل – أن ندعي تفسير كل ما في سفر الرؤيا. وبالتالي يكون لنا معرفة الغيب والمستقبل!!

من المفروض أن بعض نبوءات سفر الرؤيا مختومة بسبعة ختوم، لأنها في علم الله وحده، مهما حاول البشر بأنواع وطرق شتى أن يتنبأوا بشيء عن المستقبل بغير وحي من الله.

يقول الرائي: "لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ فِي السَّمَاءِ وَلاَ عَلَى الأَرْضِ وَلاَ تَحْتَ الأَرْضِ أَنْ يَفْتَحَ السِّفْرَ". أي ليس الأمر في مقدور السمائيين ولا الأرضيين، ولا الشياطين الذين تحت الأرض. فلا يجوز إطلاقًا أن ندعي معرفة أمور هي فوق قدرتنا.

✠ ✠ ✠

يقول القديس يوحنا الرائي: "فَصِرْتُ أَنَا أَبْكِي كَثِيرًا، لأَنَّهُ لَمْ يُوجَدْ أَحَدٌ مُسْتَحِقًّا أَنْ يَفْتَحَ السِّفْرَ وَيَقْرَأَهُ وَلاَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ".

القديس يوحنا يصل به التأثر الشديد، إلى البكاء بشدة. هذا يدل بلا شك على مقدار حساسية هذا الرسول، ومقدار عاطفته وحنوه، ومقدار تقديره للموقف وانفعاله به. لقد كتب القديس يوحنا كثيرًا عن المحبة، مما يدل على أنه كان رقيقًا ولطيفًا للغاية. فلما وجد كل الذين أمامه عاجزين تمامًا، تأثر وظل يبكي كثيرًا. ولم يستطع أن يخفي انفعاله.

هناك من يرون غيرهم عاجزين، فينتقدونهم، ويقولون كيف أنهم غير قادرين؟ وكيف أنهم لا يعرفون؟! أما يوحنا فبكى.

وكان غريبًا أن يبكي أحد في السماء، بالقرب من عرش النعمة، في الموضع الذي هرب منه الحزن والكآبة والتنهد، في مواضع القديسين؟

مفروض أن سعادة القرب من عرش الله تطغي على كل حزن. على أن القديس يوحنا لم يكن يبكي من أجل نفسه. وإنما من أجل أنه لم يوجد أحد مستحق أن يفك ختوم السفر أو حتى أن ينظر إليه.

إننا في انفعالنا الأرضـي من أجل الآخرين، نبكي من أجل أخوتنا الأرضـيين. ولكن العجيب أن يوحنا بكى لأجل السـمائيين العاجزين!! إذ يرى كل الملائكة والقوات السمائية في عجز أمام السفر المختوم.

✠ ✠ ✠

على أن بكاء القديس يوحنا، قد ترك تأثيره في أحد الشـــيوخ. فقال له: "لاَ تَبْكِ. هُوَذَا قَدْ غَلَبَ الأَسَدُ الَّذِي مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا".

هذا الشـيخ عزاه، بأن هناك من سـوف يفك ختوم السـفر. وهذا يظهر لنا حنو أهل السماء على غيرهم. فذلك الشيخ لم يحتمل بكاء يوحنا فعزاه بأن المسيح قادر أن يغلب. إن عجز السـمائيون والأرضـيون ومن تحت الأرض، إن وقع أحد منكم أيها الأخوة في مشـكلة، ولم يجد من يحلها وكأنها قد ختمت بختوم سـبعة، فليتذكر الأسـد الخارج من سبط يهوذا.

مشـكلة القديس يوحنا على الرغم من قلبه الواسـع ومن قداسـته العظيمة، أنه جعل تفكيره وقتذاك في المخلوقات التي في السماء وعلى الأرض وما تحت الأرض!!

ولم يفكر وقتذاك في من أعلى من كل هؤلاء، القادر على كل شـيء... فنبهه ذلك الشيخ إلى الأسد الخارج من سبط يهوذا.

✠ ✠ ✠

وهذه شـــهادة أن الأســـد الخارج من ســـبط يهوذا، كان أعلى من جميع السمائيين، ومن جميع الأرضيين، ومن تحت الأرض.

هذا الذي كان من نسـل داود، وهو أيضًـا أصـل داود (رؤ٥: ٥) (رؤ٢٢: ١٦)... نلاحظ أن الشيخ الذي ساعد يوحنا وعزاه، فعل ذلك دون أن يطلب منه يوحنا، لأن السمائيين يحسون بإحساساتنا. وأنهم أيضًـا أرواح عطوفة وخدومة ترقب البشر وتحن عليهم...

لقد غلب الأسد الخارج من سبط يهوذا، لأنه سبق فغلب العالم أيضًا (يو١٦: ٣٣).

السيد المسيح أسد، وفي نفس الوقت كان كأنه مذبوح.

أسَد وحَمل...

وجَامات وبخور وقيثارات

كتب القديس يوحنا الرائي يقول:

"فَقَالَ لِي وَاحِدٌ مِنَ الشُّيُوخِ: لاَ تَبْكِ. هُوَذَا قَدْ غَلَبَ الأَسَدُ الَّذِي مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، أَصْلُ دَاوُدَ، لِيَفْتَحَ السِّفْرَ وَيَفُكَّ خُتُومَهُ السَّبْعَةَ.

وَرَأَيْتُ فَإِذَا فِي وَسَطِ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ الأَرْبَعَةِ وَفِي وَسَطِ الشُّيُوخِ حَمَلٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ، لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ الْمُرْسَلَةُ إِلَى كُلِّ الأَرْضِ. فَأَتَى وَأَخَذَ السِّفْرَ مِنْ يَمِينِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ. وَلَمَّا أَخَذَ السِّفْرَ خَرَّتِ الأَرْبَعَةُ الْحَيَوَانَاتُ وَالأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخًا أَمَامَ الْحَمَلِ، وَلَهُمْ كُلِّ وَاحِدٍ قِيثَارَاتٌ وَجَامَاتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوَّةٌ بَخُورًا هِيَ صَلَوَاتُ الْقِدِّيسِينَ. وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ وَجَعَلْتَنَا لإِلَهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً، فَسَنَمْلِكُ عَلَى الأَرْضِ" (رؤ٥: ٥- ١٠).

✠ ✠ ✠

قال: هوذا قد غلب الأسد الذي من سبط يهوذا، أصل داود ليفتح السفر، ويفك ختومه السبعة.

كان لا يمكن أن يفتح السفر ويفك ختومه، إلا شخص قد غلب. والسيد المسيح هو الذي غلب العالم والخطية. وغلب الموت أيضًا. غلب العالم إذ قال: "ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يو١٦: ٣٣).

وغلب الخطية، لأنه قدوس (لو١: ٣٥). وقد تحدى اليهود قائلًا: "مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟" (يو٨: ٤٦). وغلب الشيطان إذ قال: "رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ" (لو١٠: ١٨). وكذلك غلب الموت بقيامته هذا الذي: "أَبْطَلَ الْمَوْتَ

وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ" (٢تي١: ١٠). وقال في سفر الرؤيا: "وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ" (رؤ١: ١٨).

لقد غلب لأنه الأسد، وهو من سبط يهوذا الذي هو سبط الملك أصل داود الملك، وكملك قد غلب...

✠ ✠ ✠

هو أسد، وفي نفس الوقت شُبه بخروف كأنه مذبوح.

لقد شبه بأسد في القوة والرئاسة، وفي الهيبة والملك، وليس مثل الشيطان الذي شبه بأسد في وحشيته، لأنه: "زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ" (١بط٥: ٨). وفي التشبيه يؤخذ وجه الشبه المناسب.

والمسيح أسد كملك، كابن داود، من سبط الملك يهوذا، قيل في البشارة به: "وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ" (لو١: ٣٢، ٣٣)

وفي نفس الوقت يقول القديس يوحنا الرائي: "وَرَأَيْتُ فَإِذَا فِي وَسَطِ الْعَرْشِ... خَرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ..." (رؤ٥: ٦).

✠ ✠ ✠

فما معنى قائم، كأنه مذبوح؟ وله سبعة قرون؟

إننا لا ننسى ذبيحة المسيح، حتى في السماء، فهو الذبيحة التي تشفع فينا فوق السماء، عبارة "كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ" تشير إلى موته عنا. أما عبارة "قَائِمٌ" فتشير إلى حياته وإلى انتصاره على الموت.

العبارتان معًا "قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ" فهو ذبيح، ولكن الموت لم ينتصر عليه. وماذا عن صفاته أيضًا؟ "لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ".

القرن يرمز إلى القوة ورقم سبعة يرمز إلى الكمال.

إذًا عبارة "لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ" ترمز إلى كمال قوته.

فما دامت له كل هذه القوة والقدرة، فلماذا عبارة "كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ"؟ إنها تعني بلا

شك أنه تقدم إلى الذبح بإرادته، كما سبق وقال عن نفسه: "لأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لآخُذَهَا أَيْضًا. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي" (يو١٠: ١٨).

✠ ✠ ✠

قيل عنه أيضًا "لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ الْمُرْسَلَةُ إِلَى كُلِّ الأَرْضِ" (رؤ٥: ٦). فما هي هذه الأعين؟

وعبارة "سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ" سبق أن تكررت في (رؤ٤: ٥) إذ قيل: "وَأَمَامَ الْعَرْشِ سَبْعَةُ مَصَابِيحِ نَارٍ مُتَّقِدَةٌ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ". أو الأرواح المرسلة من الله...

وقلنا وقتذاك إنها ترمز إلى رؤساء الملائكة السبعة، فالملائكة أرواح فإن كانت العيون ترمز إلى الرؤية أي إلى المعرفة، والرقم سبعة يرمز إلى الكمال، فهل السبع أعين ترمز إلى كمال المعرفة، فالسيد الرب يرى كل شيء ويعرف كل شيء. وهو أقنوم المعرفة وقد قيل عنه أنه: "الْمُذَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ" (كو٢: ٣) وأنه "حِكْمَةِ اللهِ" (١كو١: ٢٤).

✠ ✠ ✠

"فَأَتَى وَأَخَذَ السِّفْرَ مِنْ يَمِينِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ"، وفك ختومه.

لا شك أن هذا السفر كان يحوي الأمور الخاصة بالمستقبل، أو بما "لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَنْ قَرِيبٍ" (رؤ١: ١). وهذه الأمور العتيدة أن تكون معرفتها في يد الله وحده، لذلك قيل إن السفر كان عن يمين الجالس على العرش، ولا يمكن أن يعرف إلا بإعلان من الله ولهذا: "فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ فِي السَّمَاءِ وَلاَ عَلَى الأَرْضِ وَلاَ تَحْتَ الأَرْضِ أَنْ يَفْتَحَ السِّفْرَ" (رؤ٥: ٣).

أي لم يستطع أحد من الملائكة لا في السماء، ولا من البشر على الأرض، ولا من الأرواح التي تحت الأرض، أن يفتح السفر. فكان لا يمكن أن يتم ذلك إلا عن طريق ابن الله، أقنوم المعرفة، المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم...

✠ ✠ ✠

حينئذ سجد الأربعة والعشرين شيخًا أمام الخروف لا شك أن هؤلاء الأربعة

والعشرين شيخًا كانوا بشرًا مثلنا.

ذلك لأنهم قالوا للرب في تسبحتهم: "مُسْتَحِق أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا للهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، وَجَعَلْتَنَا لإِلهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً" (رؤ٥: ٩، ١٠) ... فهذا كلام لا يقوله إلا بشر، من كل القبائل والشعوب والأمم.

ثم أنهم كانت لهم جامات من ذهب مملوءة بخورًا، أي أنهم كانوا كهنة. وهذا دليل آخر على أنهم بشر، كما أنهم ينوبون عن البشر في قولهم: "ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا للهِ بِدَمِكَ".

أما سجودهم، فيدل على خشوعهم أمام الله، كما يدل على رهبتهم في موقف تفك فيه الختوم، وتعلن أسرار الله الخاصة بالمستقبل.

✠ ✠ ✠

ويقول الرائي أيضًا عن هؤلاء الشيوخ الأربعة والعشرين "وَلَهُمْ... جَامَاتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوَّةٌ بَخُورًا هِيَ صَلَوَاتُ الْقِدِّيسِينَ".

وهنا نسأل كيف يمكن أن صلوات القديسين تصعد إلى فوق، في المجامر التي في أيدي هؤلاء الشيوخ؟ لماذا لم تصعد إلى عرش الله مباشرة، وإنما تذهب إلى جامات هؤلاء الشيوخ أولًا لكي يوصلوها إلى عرش الله؟!

ألا يدل هذا في وضوح على شفاعة هؤلاء الشيوخ الذين أمام العرش في توصيل الصلوات إلى الله.

ألا يذكرنا هذا أيضًا بما يفعله الأب الكاهن، حينما يمر بالبخور أثناء قراءة البولس على الشعب، ثم يعود إلى الهيكل ويقول: "يا الله الذي قبل اعتراف اللص على الصليب، اِقبل إليك اعترافات شعبك"، فيا ليت كل واحد أثناء مرور الأب الكاهن بالبخور، يقدم طلباته إلى الله، لكي تجمع هي أيضًا وتدخل في الجامات الأربع والعشرين.

✠ ✠ ✠

ثم ما معنى أن صلوات القديسين تصعد إلى الله كرائحة بخور؟

رائحة البخور دائمًا تصعد إلى فوق، وكذلك صلوات القديسين.

ليس كذلك الأشرار، ليسوا كذلك. فالكتاب يقول: "ذَبِيحَةُ الأَشْرَارِ مَكْرَهَةُ الرَّبِّ" (أم١٥: ٨). أما صلوات القديسين فهي التي تصعد إلى فوق.

وتصعد كرائحة بخور، لأن البخور رائحته زكية، تدخل إلى السماء كنسيم عطر، يتنسم الرب منها رائحة الرضا (تك٨: ٢١).

وصلوات القديسين تشبه برائحة البخور، لأن البخور يحترق بالنار أولًا ثم يصعد إلى فوق، ولا يمكن أن يصعد إلى فوق إلا إذا احترق أولًا.

هكذا القديسون يسكبون ذواتهم سكيبًا، والمحبة التي في قلوبهم مثل النار، تحول صلواتهم إلى بخور، فتشتعل وتفوح وتصعد وتنتشر.

✠ ✠ ✠

فهل صلاتك أيها القارئ العزيز تصعد إلى فوق، كرائحة بخور، مثل صلوات القديسين؟ أم هي لا تصعد أبدًا؟!

هل هي "مُعَطَّرَةً بِالْمُرِّ وَاللُّبَانِ وَبِكُلِّ أَذِرَّةِ التَّاجِرِ؟" (نش٣: ٦)؟

أعني هل فيها الإيمان والحب والخشوع والفهم والاتضاع، وباقي هذه الصفات التي تصعدها كرائحة بخور...؟

اهتم جدًا بهذه النقطة، لأنك تقول لله في صلاتك: لتدخل طلبتي إلى حضرتك، ولتكن صلواتي مقبولة. "لِتَسْتَقِمْ صَلاتِي كالْبَخور قُدّامِكَ، ولِيَكُن رَفْعُ يَدي كذبيحَةٍ مَسائِيَّةٍ" (مز ١٤١: ٢).

✠ ✠ ✠

نقول هذا، لأنه ليست كل صلاة تصعد إلى فوق...

بل هناك خطايا تجذب صلوات البعض إلى أسفل، فلا تصعد.

مثال ذلك صلوات المرائين، الذين: "يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشَّـــوَارِعِ، لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ" (مت٦: ٥). حقًا إن كل صـــلاة مخلوطة بالبر الذاتي لا يقبلها الله، كصلاة الفريسي في مثال الفريسي والعشار (لو١٨: ١١، ١٢).

كذلك صـــلاة الحقد التي تطلب فيها ضـــررًا لعدوك، هذه يجذبها الحقد إلى أسفل، فلا يمكن أن تصعد إلى فوق، عكس ذلك صلاة القديس اسطفانوس الشماس الذي قال أثناء رجمه: "يَا رَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ" (أع٧: ٦٠).

هذه بلا شك قد صعدت إلى السماء كرائحة بخور، لأنها كانت مخلوطة بمحبة الأعداء، حسب وصية الرب: "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ" (مت٥: ٤٤).

✠ ✠ ✠

هناك صلوات أخرى يرفضها الله.

كصلوات أولئك الخطاة الذين قال لهم الرب: "حِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ، وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصَّلاَةَ لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا" (إش١: ١٥).

وأيضًـــا مثل الذين قال عنهم الرب: "يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هذَا الشَّـــعْبُ بِفَمِهِ، وَيُكْرِمُني بِشَـــفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا" (مت١٥: ٨). إن الصـــلاة التي تخرج من الفم فقط، وليس من القلب لا يمكن أن تصعد إلى فوق.

أيضًا الصلاة الخالية من التوبة ومن الاتضاع هي مرفوضة من الله. عكسها صلاة العشار الذي قال بكل انسحاق: "اللّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئُ" (لو١٨: ١٣).

وكذلك صلاة اللص التائب حينما قال: "اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ" (لو٢٣: ٤٢). إن صلاة التوبة والاتضاع، هي التي تصعد كرائحة بخور.

هناك أشـخاص لم تكن صـلواتهم فقط كرائحة بخور، بل حياتهم كلها رائحة بخور.

مثال ذلك ما قلناه في تأملاتنا في سفر النشيد عن الآية التي تقول: "مَنْ هذِهِ الطَّالِعَةُ مِنَ الْبَرِّيَّةِ كَأَعْمِدَةٍ مِنْ دُخَانٍ، مُعَطَّرَةً بِالْمُرِّ وَاللُّبَانِ وَبِكُلِّ أَذِرَّةِ التَّاجِرِ؟" (نش٣: ٦).

✠ ✠ ✠

الشيوخ الأربعة والعشرون لم تكن لهم فقط جامات من ذهب مملوءة بخورًا، إذ كانت لهم أيضًا قيثارات من ذهب، وهم يترنمون ترنيمة جديدة.

كل واحد منهم له قيثارة، يعزف عليها لحنًا جديدًا، ويغني للرب أغنية جديدة. يشدو بجمال الرب وجمال ملكوته.

إن كنت أيها القارئ العزيز لم تعرف الموسيقى على الأرض، ولم تعرف القيثارة والمزمار والعشرة الأوتار، فسوف تتعلم الموسيقى فوق في السماء. بل ستجد حياتك كلها أنشودة موسيقية ولحنًا. أتخيل قديسًا مثل داود النبي وهو موسيقي ممتاز يقف فوق في السماء وهو يقول لجماعة المفديين: "رَنِّمُوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً" (مز٩٦: ١) (مز٩٨: ١).

بل يقف وينشد أمام الله أنشودة من كل القلب، ممزوجة بكل المشاعر العميقة، وبكل عواطف الحب. والرب يسمعها ويقول: "لأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي" (١مل١١: ١٣).

✠ ✠ ✠

هذه الموسيقى هي التي دعا إليها القديس بولس الرسول.

فقال: "بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ... مُتَرَنِّمِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ" (كو٣: ١٦).

وقال نفس العبارة في (أفسس٥: ١٩).

بل أنا أتصور السماء كلها كفرقة موسيقية تغني للرب وتسبح وقد ذكر سفر الرؤيا فرقة موسيقية أخرى متخصصة في ترنيمة جديدة، "يَتَرَنَّمُونَ كَتَرْنِيمَةٍ جَدِيدَةٍ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الأَرْبَعَةِ الْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ. وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَتَعَلَّمَ التَّرْنِيمَةَ إِلاَّ الْمِئَةُ وَالأَرْبَعَةُ وَالأَرْبَعُونَ أَلْفًا" (رؤ١٤: ٢، ٣). "وكان صوتهم "كَصَوْتِ ضَارِبِينَ بِالْقِيثَارَةِ يَضْرِبُونَ بِقِيثَارَاتِهِمْ".

قيثارات وتسبحَة

قال القديس يوحنا الرائي عن الأربعة والعشرين شيخًا:

"وَلَهُمْ كُلِّ وَاحِدٍ قِيثَارَاتٌ وَجَامَاتٌ مِنْ ذَهَبٍ... وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، وَجَعَلْتَنَا لإِلَهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً، فَسَنَمْلِكُ عَلَى الأَرْضِ".

"وَنَظَرْتُ وَسَمِعْتُ صَوْتَ مَلاَئِكَةٍ كَثِيرِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ رَبَوَاتِ رَبَوَاتٍ وَأُلُوفَ أُلُوفٍ، قَائِلِينَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: مُسْتَحِقٌّ هُوَ الْحَمَلُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ. وَكُلُّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ وَتَحْتَ الأَرْضِ، وَمَا عَلَى الْبَحْرِ، كُلُّ مَا فِيهَا، سَمِعْتُهَا قَائِلَةً: لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْحَمَلِ الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ".

"وَكَانَتِ الْحَيَوَانَاتُ الأَرْبَعَةُ تَقُولُ آمِينَ. وَالشُّيُوخُ الأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ خَرُّوا وَسَجَدُوا لِلْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (رؤ٥: ٨- ١٤).

✠ ✠ ✠

نرى من كل هذا: أنه يوجد في السماء موسيقى وترتيل وإنشاد.

ومن البدء أرانا الله أنه يحب الموسيقى والغناء. فقد خلق طيورًا لها أصوات تغني، وبلابل لها صوت موسيقى. وكل طير له من صوته نغمة خاصة. ومن جميعها معًا تتكون سيمفونية طبيعية، عجيبة في صوتها.

وأعطى الرب للملائكة نعمة التسبيح، بأصواتهم الملائكية الجميلة.

وفي سفر الرؤيا، يقول القديس يوحنا الرائي: "وَسَمِعْتُ صَوْتًا كَصَوْتِ ضَارِبِينَ بِالْقِيثَارَةِ يَضْرِبُونَ بِقِيثَارَاتِهِمْ، وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ كَتَرْنِيمَةٍ جَدِيدَةٍ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الأَرْبَعَةِ الْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ. وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَتَعَلَّمَ التَّرْنِيمَةَ إِلاَّ الْمِئَةُ وَالأَرْبَعَةُ وَالأَرْبَعُونَ أَلْفًا الَّذِينَ اشْتُرُوا مِنَ الأَرْضِ" (رؤ١٤: ٢، ٣).

✠ ✠ ✠

في السماء توجد الأغاني، ولكنها أغاني روحية.

فيها التسابيح والتراتيل. وتعبر عن مشاعر الفرح، كما يقول الكتاب: "أَمَسْرُورٌ أَحَدٌ؟ فَلْيُرَتِّلْ" (يع٥: ١٣). وفي السماء يوجد فرح بالرب وبالخلاص، لذلك يكثر الترتيل والتسبيح. كذلك قد يعبر هذا التسبيح عن الخشوع في حضرة الرب، مثل تسبحة الثلاثة تقديسات.

وفي الأرض يهتف المرتل قائلًا: "غَنُّوا للهِ. رَنِّمُوا" (مز٦٨: ٤، ٣٢). "اِهْتِفِي لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الأَرْضِ. اهْتِفُوا وَرَنِّمُوا وَغَنُّوا. رَنِّمُوا لِلرَّبِّ بِعُودٍ. بِعُودٍ وَصَوْتِ نَشِيدٍ. بِالأَبْوَاقِ وَصَوْتِ الصُّورِ" (مز٩٨: ٤- ٦).

ويقول أيضًا: "سَبِّحوا الرَّبَّ فإنَّ المزْمورَ جَيِّدٌ، لإلَهِنا يَلذُّ التَّسْبيحُ" (مز١٤٧: ١). ويسرد المرتل أعمال الرب التي يليق بها التسبيح.

✠ ✠ ✠

بل الطبيعة كلها مدعوة إلى تسبيح الله.

فيقول المرتل في المزمور: "لِيَعِجَّ الْبَحْرُ وَمِلْؤُهُ الْمَسْكُونَةُ وَالسَّاكِنُونَ فِيهَا. الأَنْهَارُ لِتُصَفِّقْ بِالأَيَادِي الْجِبَالُ لِتُرَنِّمْ مَعاً. أَمَامَ الرَّبِّ" (مز٩٨: ٧- ٩).

ويقول سفر إشعياء النبي: "تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ... اِهْتِفِي يَا أَسَافِلَ الأَرْضِ. أَشِيدِي أَيَّتُهَا الْجِبَالُ تَرَنُّمًا، الْوَعْرُ وَكُلُّ شَجَرَةٍ فِيهِ" (إش٤٤: ٢٣).

وفي سفر أيوب: "تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعًا" (أي٣٨: ٧).

وفي سفر المزامير: "لِتَفْرَحِ السَّمَاوَاتُ وَلْتَبْتَهِجِ الأَرْضُ، لِيَعِجَّ الْبَحْرُ وَمِلْؤُهُ. لِيَجْذَلِ الْحَقْلُ وَكُلُّ مَا فِيهِ، لِتَتَرَنَّمْ حِينَئِذٍ كُلُّ أَشْجَارِ الْوَعْرِ أَمَامَ الرَّبِّ" (مز٩٦: ١١- ١٣). وما أكثر ما نقول عن تسبيح الطبيعة في الإبصلمودية المقدسة.

ولعل هذا يذكرني ببعض أبيات قلتها وأنا ساكن في الجبل:

هدوء الليل موسيقى وأنغام تداعبني

وصوت الريح في رفق يصب اللحن في أذني

✠ ✠ ✠

نلاحظ في تسبحة الشيوخ عبارة: "وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً" (رؤ٥: ٩).

إنها جديدة في نغماتها وموسيقاها، وجديدة في مشاعرها وعواطفها، وأيضًا في ألفاظها ومعانيها. وليست مجرد كلام مكرر، أو روتين معاد.

وهذا ما نلاحظه أيضًا في تسابيح المزامير: إذ يقول المرتل: "رَنِّمُوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً. رَنِّمِي لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الأَرْضِ. رَنِّمُوا لِلرَّبِّ، بَارِكُوا اسْمَهُ، بَشِّرُوا مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ بِخَلاَصِهِ. حَدِّثُوا بَيْنَ الأُمَمِ بِمَجْدِهِ، بَيْنَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ بِعَجَائِبِهِ" (مز٩٦: ١-٣). هذه موضوعات للترنيمة الجديدة.

ويقول في مزمور آخر: "رَنِّمُوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً، لأَنَّهُ صَنَعَ عَجَائِبَ... أَعْلَنَ الرَّبُّ خَلاَصَهُ. لِعُيُونِ الأُمَمِ كَشَفَ بِرَّهُ" (مز٩٨: ١، ٢).

وأحيانًا نقول: "سَبِّحوا الرَّبَّ تَسْبيحًا جَديدًا".

✠ ✠ ✠

وأحيانًا يترجمونها "غنوا للرب أغنية جديدة".

"Sing unto the LORD a new song" (Ps.96: 1) NIV

ويقول المزمور: "احْمَدُوا الرَّبَّ بِالْعُودِ. بِرَبَابَةٍ ذَاتِ عَشَرَةِ أَوْتَارٍ رَنِّمُوا لَهُ. غَنُّوا لَهُ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً. أَحْسِنُوا الْعَزْفَ بِهُتَافٍ" (مز٣٣: ٢، ٣). وفي سفر إشعياء النبي: "غَنُّوا لِلرَّبِّ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَهُ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ" (إش٤٢: ١٠).

وهذه الأغاني الروحية ورد ذكرها في رسالتي بولس الرسول إلى أفسس وإلى كولوسي. فقال: "بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرَتِّلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ" (أف٥: ١٩) (كو٣: ١٦).

وقيل إن داود النبي وشعبه أصعدوا تابوت الله: "بِكُلِّ عِزٍّ وَبِأَغَانِيَّ وَعِيدَانٍ وَرَبَابٍ وَدُفُوفٍ وَصُنُوجٍ وَأَبْوَاقٍ" (١أي١٣: ٨).

✠ ✠ ✠

والله الذي أوجد هذا الغناء الروحي وأحبه، خلق للإنسان في جسده آلة

موسيقية عجيبة في حنجرته تفوق كل الآلات الموسيقية.

وهي تعبر عن عواطفه ومشاعره، وترتبط بقلبه كل الارتباط.

ولهذا، فإن الكنيسة في ألحانها، تهتم بالصوت البشري أكثر من صوت الآلات الموسيقية. وحينما تستخدم الدف والترياننو، فإن ذلك يكون لمجرد ضبط النغمة. ولكن لا تقبل أن يسيطر صوت الآلة على الصوت البشري، كما يستخدم في الغرب في استخدام الأورج.

ولا يجوز لبعض الشمامسة أن يستخدموا الدف بطريقة تغطي على الصوت. الموسيقى الصوتية هي أجمل من صوت القيثار. والأوتار الصوتية التي خلقها الله للإنسان، هي أجمل وأوقع من أوتار أية آلة موسيقية أخرى. طبعًا ليس جميع الناس يملكون هذه الموهبة.

✠ ✠ ✠

ولكن في السماء: أية كلمة يقولها للرب إنسان روحي، هي أجمل عنده من أية موسيقى.

إنها موسيقي الروح كما يقول القديس: "أُرَتِّلُ بِالرُّوحِ، وَأُرَتِّلُ بِالذِّهْنِ أَيْضًا" (١كو١٤: ١٥).

تصوروا أمًا لها طفل رضيع يناغيها بكلمات ربما لا تكون مفهومة، ولكنها في أذن أمه أجمل من أي لحن في الدنيا، وأجمل عندها من أية أغنية لأحد مشاهير المغنيين. كذلك الإنسان الذي في عمق قلبه يصلي إلى الله، تكون صلاته عبارة عن نغمة موسيقية جميلة. لا يهم فيها الصوت الطبيعي، إنما هي تخرج من فمه كلحن.

لحنها ليس مثل السوليفيج الموسيقي. إنما هزة منها فيها خشوع، وأخرى هزة حب، وثالثة هزة تأمل، ورابعة هزة تواضع، وهكذا... وكل هذه الهزات تكوّن سلمًا موسيقيًا يصعد إلى الله.

✠ ✠ ✠

يقول القديس الرائي إن الأربعة والعشرين قسيسًا كانت لهم قيثارات من

ذهب، وهم يترنمون بترنيمة جديدة.

وكأن السماء كلها فرقة موسيقية، كل فريق منها له دوره في لحن سماوي، وبعضهم يقول آمين. والجو كله يموج بالتسبيح والترتيل.

بينما الذين في الجحيم يكونون في حزن شديد، وهم يرون أولئك المفديين يسبحون وينشدون ويغنون ويرتلون، وفي أيديهم القيثارات، وفي قلوبهم الفرح... بينما أهم ما يحزن سكان الجحيم أنهم محرومون من فرح ذلك الجو الروحي، الذي في مجمع القديسين. إنهم يذكروننا بالذين كانوا في سبي بابل:

قالوا: "عَلَى الصَّفْصافِ... عَلَّقنا قيثاراتنا. لأَنَّهُ هُناكَ سَأَلَنا الَّذينَ سَبَوْنا سَبِّحوا لَنا تَسْبِحَةً مِنْ تَسابيحِ صِهْيونَ. كَيفَ نُسَبِّحُ تَسْبِحَةَ الرَّبِّ في أَرْضٍ غَريبَةٍ؟!" (مز ١٣٧).

✠ ✠ ✠

النفس الخاطئة هي نفس حزينة كئيبة لا تستطيع أن تغني أو تسبح أو ترتل! بعكس ما يظنه البعض من كثرة الغناء عند الخطاة!

إن غناءهم يشغل الحواس من الخارج. ولكنهم إذا ما خلوا إلى أنفسهم، يجدون في القلب فراغًا، لا يغنيه غناؤه، حتى إن غنى على ليلاه... أو غنى على بلواه.

بعكس ذلك الإنسان الروحي، الذي يغني للرب أغنية جديدة، ويفرح بالرب فرحًا حقيقيًا (في٤: ٤). ومن فرحه يغني...

لقد اِنهمك أغسطينوس بالعالم وشهواته، ولم يجد في ذلك سعادته. إلى أن تاب. ومن جهة حياته الأولى الطائشة، قال في صلاته للرب: "سيظل قلبي قلقًا، إلى أن يجد راحته فيك".

✠ ✠ ✠

يا أخوتي، حاولوا أن تصنعوا لكم قيثارات ذهبية، أعني قيثارات روحية، تغنون بها أغنيات محبة للرب.

وتتغنون فيها بصفات الله الجميلة التي تشبع قلوبهم، وبأعمال الله العجيبة التي تشعرون فيها بقوته وذراعه الحصينة. بل تتغنون أيضًا بعمل الله في حياتكم. وتقولون مع المرتل في المزمور: "بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَكُلُّ مَا فِي بَاطِنِي لِيُبَارِكِ اسْمَهُ الْقُدُّوسَ. بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَلاَ تَنْسَيْ كُلَّ حَسَنَاتِهِ" (مز١٠٣: ١، ٢).

إن الفرح العالمي الجسداني لا يفرح القلب ولا الروح ولا العقل فرحًا حقيقيًا. بل الفرح الحقيقي هو الفرح بالرب. الذي يبدأ معنا هنا، ويستمر في الأبدية أيضًا.

✠ ✠ ✠

إن الشيوخ، عندما سبحوا الرب على قيثاراتهم، تذكروا عمل الخلاص والفداء، الذي قام به من أجل العالم.

فقالوا له: "مُسْتَحِق أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا للهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، وَجَعَلْتَنَا لإِلهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً" (رؤ٥: ٩، ١٠).

نحن لا ننسى مطلقًا الدم الذي سُفك من أجلنا، نيابة عنا، لكي يفدينا من حكم الموت، ويهبنا الحياة الأبدية. ولذلك فإننا نذكر هذا الخلاص وهذا الفداء، كل يوم، في صلاة الساعة السادسة.

وبهذا الدم المسفوك، نذكر محبة الله لنا، ونذكر قيمة الإنسان عند الله حتى افتداه. ونظل نلهج بالشكر لهذا الفداء الشامل الذي خلص به الرب كل قبيلة ولسان وشعب وأمة. أي العالم كله...

✠ ✠ ✠

أما عبارة "وَجَعَلْتَنَا لإِلهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً"، فقد تكررت في الأصحاح الأول.

إذ قال القديس يوحنا أيضًا: "الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً للهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ" (رؤ١: ٥، ٦). إنها عبارة يقولها المفديون من البشر.

وهي تدل على أن الشيوخ الأربعة والعشرين هم أيضًا بشر استحقوا الوجود في السماء. وهم هناك يذكرون خلاصهم وفداءهم.

ويذكرون أن الله جعلهم ملوكًا وكهنة: ملوكًا بمعنى أنهم يملكون مع الله في ملكوته، وليس بالمعنى الأرضي الحرفي. كذلك جعلهم كهنة بالمعنى الروحي أيضًا. وإن كان أعضاء منهم كهنة فعلًا.

غير أن الكهنوت في السماء لا يقدم ذبائح، لأنه لا يوجد مذبح هناك ولا هيكل (رؤ٢١: ٢٢)، ولا ذبائح لمغفرة الخطايا.

وفي السماء يشترك الكل في التسبيح والتمجيد:

فما أن قال الشيوخ تسبحتهم هذه وتمجيدهم، حتى نظر يوحنا وسمع: "صَوْتَ مَلاَئِكَةٍ كَثِيرِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ رَبَوَاتِ رَبَوَاتٍ وَأُلُوفَ أُلُوفٍ، قَائِلِينَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: مُسْتَحِقٌّ هُوَ الْخَرُوفُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ" (رؤ٥: ١١، ١٢). ولا شك أن هذه الصفات السبع من صفات الرب، تحتاج وحدها إلى كتاب خاص للتأمل فيها. وليس هذا وقته.

ولم يتقصر الأمر في التمجيد على القوات الملائكية، بل يقول القديس الرائي: "وَكُلُّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ وَتَحْتَ الأَرْضِ، وَمَا عَلَى الْبَحْرِ، كُلُّ مَا فِيهَا، سَمِعْتُهَا قَائِلَةً" وذكر تمجيدها أيضًا "وَكَانَتِ الْحَيَوَانَاتُ الأَرْبَعَةُ تَقُولُ: آمِينَ".

فكّ ختوم السِفر

قال القديس يوحنا الرائي:

"وَنَظَرْتُ لَمَّا فَتَحَ الْحَمَلُ وَاحِدًا مِنَ الْخُتُومِ السَّبْعَةِ، وَسَمِعْتُ وَاحِدًا مِنَ الأَرْبَعَةِ الْحَيَوَانَاتِ قَائِلًا كَصَوْتِ رَعْدٍ: هَلُمَّ وَانْظُرْ!... فَنَظَرْتُ، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضُ، وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ مَعَهُ قَوْسٌ، وَقَدْ أُعْطِيَ إِكْلِيلًا، وَخَرَجَ غَالِبًا وَلِكَيْ يَغْلِبَ. وَلَمَّا فَتَحَ الْخَتْمَ الثَّانِيَ، سَمِعْتُ الْحَيَوَانَ الثَّانِيَ قَائِلاً: هَلُمَّ وَانْظُرْ. فَخَرَجَ فَرَسٌ آخَرُ أَحْمَرُ، وَأُعْطِيَ لِلْجَالِسِ عَلَيْهِ أَنْ يَنْزِعَ السَّلاَمَ مِنَ الأَرْضِ، وَأَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأُعْطِيَ سَيْفًا عَظِيمًا.

"وَلَمَّا فَتَحَ الْخَتْمَ الثَّالِثَ، سَمِعْتُ الْحَيَوَانَ الثَّالِثَ قَائِلاً: هَلُمَّ وَانْظُرْ! فَنَظَرْتُ وَإِذَا فَرَسٌ أَسْوَدُ، وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ مَعَهُ مِيزَانٌ فِي يَدِهِ. وَسَمِعْتُ صَوْتًا فِي وَسَطِ الأَرْبَعَةِ الْحَيَوَانَاتِ قَائِلاً: ثُمْنِيَّةُ قَمْحٍ بِدِينَارٍ، وَثَلاَثُ ثَمَانِيِّ شَعِيرٍ بِدِينَارٍ. وَأَمَّا الزَّيْتُ وَالْخَمْرُ فَلاَ تَضُرَّهُمَا".

"وَلَمَّا فَتَحَ الْخَتْمَ الرَّابِعَ، سَمِعْتُ صَوْتَ الْحَيَوَانِ الرَّابِعِ قَائِلاً: هَلُمَّ وَانْظُر. فَنَظَرْتُ وَإِذَا فَرَسٌ أَخْضَرُ، وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ اسْمُهُ الْمَوْتُ، وَالْهَاوِيَةُ تَتْبَعُهُ، وَأُعْطِيَا سُلْطَانًا عَلَى رُبْعِ الأَرْضِ أَنْ يَقْتُلاَ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْمَوْتِ وَبِوُحُوشِ الأَرْضِ" (رؤ٦: ١- ٨).

✠ ✠ ✠

ما هو السفر المختوم بسبعة ختوم؟

كلمة "سفر" معناها كتاب. وربما كان دَرَجًا أي لفة من لفات البردي مكتوبة من أمام ومن خلف، أي أن كلامًا كثيرًا كان مكتوبًا فيها.

وكان هذا السفر مختومًا بسبعة ختوم. والختوم ترمز إلى السرية. ورمز ٧ يرمز إلى الكمال. إذًا الختوم السبعة ترمز إلى كمال السرية، أي إلى سرية كاملة. بحيث لم يستطع أحد أن يفك ختومه، لا من في السماء ولا على الأرض، ولا تحت

الأرض. فعدم المعرفة شملت الجميع، حتى أن القديس يوحنا بكى. أما الذي استطاع أن يفك ختوم السفر فهو الأسد الخارج من سبط يهوذا، أي السيد المسيح. لذلك هللت له كل الطغمات السمائية، وسجدت له في خشوع.

✠ ✠ ✠

في فتح الختوم الأربعة الأولى، كان واحد من الحيوانات الأربعة، يصرخ عند فتح كل ختم منها، ويصيح قائلًا: "هَلُمَّ وَانْظُرْ".

فالحيوان الأول الذي هو شبه أسد صرخ بصوت كأنه الرعد، يليق به كأسد، ليعلن ماذا نتج عن فتح الختم الأول. وإذا فرس أبيض، والجالس عليه معه قوس، وقد أعطى إكليلًا. وخرج غالبًا ولكي يغلب.

وقد اختلف المفسرون في الفرس الأبيض والجالس عليه: هل هو السيد المسيح أم لا؟ مقارنين بين هذا الفرس، وما ورد في (رؤ١٩: ١١– ١٦).

واضح في (رؤ١٩) أن الجالس على الفرس الأبيض هو السيد المسيح، لأنه "مُتَسَرْبِلٌ بِثَوْبٍ مَغْمُوسٍ بِدَمٍ، وَيُدْعَى اسْمُهُ: كَلِمَةَ اللهِ" كذلك لأنه "يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ. وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ تِيجَانٌ كَثِيرَةٌ". أما الفرس الأبيض في فتح الختم الأول، فلم يرد عنه شيء من هذه الأوصاف كلها. فإلى أي شيء يرمز؟!

✠ ✠ ✠

ربما الأفراس الأربعة في فتح الختوم الأربعة الأولى، ترمز إلى أربعة عصور مرت أو تمر على البشرية.

وقد يرمز الفرس الأبيض على عصر الآباء الرسل في بدء المسيحية.

اللون الأبيض يرمز إلى نقاوة التعليم، ونقاوة الإيمان، وقداسة السيرة. وقيل إن الجالس على الفرس الأبيض "مَعَهُ قَوْسٌ". ولم يرد أن معه سهامًا يضربها. فقد دخل الآباء حربًا في ذلك الحين، يحتملون ولا يضربون أحدًا.

ومع ذلك فإن الجالس على الفرس الأبيض "قَدْ أُعْطِيَ إِكْلِيلاً".

إنه "إكليل البر" كما قال القديس بولس الرسول: "جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ" (٢تي٤: ٧، ٨).

وقد يكون الإكليل في نفس الوقت هو إكليل الجهاد.

✠ ✠ ✠

قيل أيضًا عن الفرس الأبيض: "وَخَرَجَ غَالِبًا وَلِكَيْ يَغْلِبَ".

على الرغم من التعرض لاستشهاد مرّ ولأنواع اِضطهادات كثيرة، إلا أن العصر الرسولي خرج منها غالبًا. فاستطاع الآباء بصمودهم وكرازتهم، أن يغلبوا مؤمرات اليهود، وقسوة الدولة الرومانية ومحاكماتها وسجونها وسيفها. كما أنهم غلبوا أيضًا الوثنية السائدة وكل الفلسفات المعاصرة. واستمرت غلبتهم ظاهرة من عهد نيرون إلى عهد دقلديانوس، وما قبل ذلك. وتُوجت بإعلان قسطنطين الملك مرسوم ميلان للتسامح الديني سنة ٣١٣م.

وهكذا صارت المسيحية هي الديانة الرسمية للدولة الرومانية. وخرجت المسيحية غالبة. ولكي تغلب فيما بعد أيضًا.

والسيد المسيح نفسه، قال لتلاميذه القديسين: "فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يو١٦: ٣٣).

✠ ✠ ✠

قال القديس يوحنا الرائي إنه عند فتح الختم الثاني "خَرَجَ فَرَسٌ آخَرُ أَحْمَرُ، وَلِلْجَالِسِ عَلَيْهِ أُعْطِيَ أَنْ يَنْزِعَ السَّلاَمَ مِنَ الأَرْضِ، وَأَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا".

يتحدث القديس يوحنا عن الأيام التالية "عما هو عتيد أن يكون". ويرمز هذا الفرس إلى الحروب وعمليات القتل التي تشمل الأرض كلها.

ولعل بدء الدماء التي سفكت، كانت في عصر الاستشهاد، حيث حاول الحكام أن ينزعوا السلام من الأرض، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينزعوا السلام من القلوب. فتقبل المسيحيون عصر الاستشهاد بكل فرح. وما أكثر الكتب التي كتبها الآباء وقتذاك

بعنوان "حث على الاستشهاد".

وفي الاستشهاد المسيحي، كان السلام ينزع من الخارج، وليس من الداخل. بل كانت توجد شهوة في القلوب هي شهوة الاستشهاد. وكان المؤمنون يذهبون بأنفسهم إلى ساحات الاستشهاد وهم يغنون، معلنين إيمانهم.

✠ ✠ ✠

على أن النبوءة في الكتاب يمكن أن تتحقق في عصور متعددة.

فلا يعني الفرس الأحمر حالة الاستشهاد في بدء المسيحية، بل أيضًا على مدى العصور.

وربما يعني أيضًا ما حدث من الهراطقة والمبتدعين من محاولة نزع السلام من الأرض. كما قيل للقديس أثناسيوس الرسولي، أثناء الهرطقة الأريوسية، "العالم كله ضدك يا أثناسيوس"... ونذكر ما لاقاه هذا القديس من نفي واضطهاد، وكذلك ما لاقاه القديس ساويرس الأنطاكي من نفي أيام حكم الإمبراطور جستنيان، وما لاقاه القديس ديسقورس، وغيرهم.

كذلك ما يفعله أعداء الإيمان في كل زمان ومكان...

سواء بنزع السلام عن طريق الاضطهادات والانقسامات، أو عن طريق نشر الشكوك وبلبلة الأفكار، ومحاولة زعزعة الإيمان.

✠ ✠ ✠

وربما يرمز الفرس الأحمر إلى ما سوف يحدث في الأيام الأخيرة.

حيث يقول السيد الرب: "سوف تسمعون بحروب وأخبار حروب. تقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة"، "إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ! وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ" "سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ، حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا". وقال أيضًا: "لأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ ضِيقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْعَالَمِ إِلَى الآنَ وَلَنْ يَكُونَ. وَلَوْ لَمْ تُقَصَّرْ تِلْكَ الأَيَّامُ لَمْ يَخْلُصْ

جَسَـدٌ. وَلكِنْ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ تُقَصَّـرُ تِلْكَ الأَيَّامُ" (مت٢٤: ٥ – ٢٤) (مر١٣: ٦ – ٢٢).

✠ ✠ ✠

وقد يرمز الفرس الأحمر إلى أيام الارتداد العام، قبل المجيء الثاني. حيث يظهر ضد المسيح Anti Christ الذي يعتبر نفسه إلهًا.

وفي ذلك قال القديس بولس الرسول بخصوص مجيء المسيح ثانية:

"لأَنَّهُ لاَ يَأْتِي إِنْ لَمْ يَأْتِ الارْتِدَادُ أَوَّلاً، وَيُسْـتَعْلَنْ إِنْسَـانُ الْخَطِيَّةِ، ابْنُ الْهَلاَكِ، الْمُقَاوِمُ وَالْمُرْتَفِعُ عَلَى كُلِّ مَا يُدْعَى إِلهًا أَوْ مَعْبُودًا، حَتَّى إِنَّهُ يَجْلِسُ فِي هَيْكَلِ اللهِ كَإِلهٍ، مُظْهِرًا نَفْسَـهُ أَنَّهُ إِلهٌ." "الَّذِي مَجِيئُهُ بِعَمَلِ الشَّـيْطَانِ، بِكُلِّ قُوَّةٍ، وَبِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ كَاذِبَةٍ، وَبِكُلِّ خَدِيعَةِ الإِثْمِ، فِي الْهَالِكِينَ... الَّذِي الرَّبُّ يُبِيدُهُ بِنَفْخَةِ فَمِهِ، وَيُبْطِلُهُ بِظُهُورِ مَجِيئِهِ" (٢تس٢: ٣– ١٠).

لا شك أن هذا المدعي الألوهية، بما يحدثه من ارتداد عام، سوف ينزع السلام من الأرض، إلى أن يبيده الرب في ظهور مجيئه.

✠ ✠ ✠

يقول القديس الرائي عن هذا الجالس على الفرس الأحمر:

"أُعْطِيَ أَنْ يَنْزِعَ السَّلاَمَ مِنَ الأَرْضِ... وَأُعْطِيَ سَيْفًا عَظِيمًا".

إنه سـماح من الله للشـيطان وأعوانه، لأنها فرصـتهم الأخيرة في الصـراع مع البشرية، عالمين أنه لم تبقَ لهم سوى أيام قليلة، يُلقى بعدها الشيطان "فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ" (رؤ٢٠: ١٠). لذلك يعمل الشيطان بكل قوة.

نعم، مخيفة تلك الفترة الخطيرة التى فيها "يُحَلُّ الشَّـيْطَانُ مِنْ سِـجْنِهِ، وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ" (رؤ٢٠: ٧، ٨).

ومخيفة تلك الأيام التي قيل فيها عن الوحش إنه: "أُعْطِيَ أَنْ يَصْـنَعَ حَرْبًا مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَيَغْلِبَهُمْ، وَأُعْطِيَ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَأُمَّةٍ" (رؤ١٣: ٧).

إنها الأيام الأخيرة المرعبة، التي يُعطي فيه ســـيفًا عظيمًا، لكي يحارب ويقتل ويضلّ. قبل أن ينتهي.

✠ ✠ ✠

يقول القديس يوحنا الرائي، عند فتح الختم الثالث:

"فَنَظَرْتُ وَإِذَا فَرَسٌ أَسْوَدُ، وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ مَعَهُ مِيزَانٌ فِي يَدِهِ"...

إنـه يمثل أيام المجاعات التي تحلّ على الأرض، ويقال فيها "ثُمْنِيَّةُ قَمْحٍ بِدِينَارٍ، وَثَلاَثُ ثَمَانِيِّ شَـــعِيرٍ بِدِينَار" (رؤ٦: ٦). أي أنه بالكاد يجد الناس القمح والشـــعير، أي بالكاد يجدون غذاءهم. إنها تذكرنا بنبوءة حزقيال النبي: "يَأْكُلُونَ الْخُبْزَ بِالْوَزْنِ وَبِالْغَمِّ، وَيَشْـــرَبُونَ الْمَاءَ بِالْكَيْلِ وَبِالْحَيْرَةِ" (حز٤: ١٦، ١١). وعبارة بالوزن وبالكيل هنا، تذكرنا بقول الرائي عن الجالس على هذا الفرس "مَعَهُ مِيزَانٌ فِي يَدِهِ" (رؤ٦: ٥).

إنها مجاعات كثيرة حدثت عبر التاريخ في عصـــور متعددة، وبعضـــها في أعقاب الحروب، أو خلال قحط. وســـتكون هناك مجاعات أيضًـــا في الأيام الأخيرة حسب قول الرب:

"وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ وَزَلاَزِلُ فِي أَمَاكِنَ" (مت٢٤: ٧).

✠ ✠ ✠

إذًا في أواخر الأيام ســـوف تحدث كوارث متعددة: حروب، مجاعات، نزع السلام من الأرض. ولكن الله وضع أيضًا حدودًا.

حسبما قال هنا: "وَأَمَّا الزَّيْتُ وَالْخَمْرُ فَلاَ تَضُرَّهُمَا" (رؤ٦: ٦).

وهذا يذكرنا بقصـــة أيوب الصـــديق: ففي كل تجربة من التجربتين، كان الله يضع حدودًا للشيطان لا يتعداها في ضربته (أي١: ١٢) (أي٢: ٦).

ولعل في حفظ الزيت والخمر رمزًا معينًا.

على أن الكوارث موجودة في كل عصـر. ولكن حجمها وشـدتها وتأثيراتها في الأيام الأخيرة تكون أشـــد بدرجة كبيرة، حســـب قول الرب: "لأَنَّهُ يَكُونُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ

ضِـــيقٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْخَلِيقَةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ إِلَى الآنَ، وَلَنْ يَكُونَ" (مر١٣: ١٩).

✠ ✠ ✠

يقول القديس يوحنا الرائي، عند فتح الختم الرابع:

"نَظَرْتُ وَإِذَا فَرَسٌ أَخْضَـــرُ، وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ اسْـــمُهُ الْمَوْتُ، وَالْهَاوِيَةُ تَتْبَعُهُ، وَأُعْطِيَا سُلْطَانًا عَلَى رُبْعِ الأَرْضِ أَنْ يَقْتُلاَ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْمَوْتِ وَبِوُحُوشِ الأَرْضِ".

إنه خراب مدمر يشـمل مئات الملايين من البشـر. لأنه إن كان في الصـين حاليًا أكثر ١١٠٠ مليونًا، وفي الهند أكثر من ٧٠٠ مليون. فربع هاتين الدولتين فقط يكون حوالي ٥٠٠ مليون. فكم بالأكثر يكون ربع الأرض كلها!

يبدو أنها سـتكون ضـربة من ضـربات الإفناء والإهلاك. وسـتحدث بواسـطة السيف والجوع والموت ووحوش الأرض.

ربما أراد الله بمثل هذه الضربة المخيفة أن يوقظ ضمائر الناس.

لأن الذين لا تستيقظ ضمائرهم بالضربات البسيطة، يمكن أن يوقظهم مثل هذا الهول، لكي يتوبوا. الذي ربما تزول فيه بعض الأقطار.

✠ ✠ ✠

هنا أســـباب كثيرة للموت: الذين لا يموتون في الحروب بالســـيف، ربما يموتون بالمجاعات، أو بوحوش الأرض، أو بالموت الطبيعي...

وما أكثر ما نرى الآن أسـبابًا للموت من أمراض يصـعب علاجها، مع بلاد أخرى يموت أهلها بالجوع، وبالكوارث الطبيعية...

ويهمنا أن نقف عند عبارة: "وَأُعْطِيَا سُـلْطَانًا" التي وردت بالنسـبة إلى الموت والهاوية (رؤ٦: ٧). وعبارة: "أُعْطِيَ أَنْ يَنْزِعَ السَّلاَمَ مِنَ الأَرْضِ" (رؤ٦: ٤). فنرى أنه سماح من الله بهذه الضربات، مما يدل على غضب الله الذي سيسكب على الأرض بسبب خطايا سكانها.

الزلزلة والغضب

قال القديس يوحنا الرائي:

"وَنَظَرْتُ لَمَّا فَتَحَ الْخَتْمَ السَّادِسَ، وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، وَالشَّمْسُ صَارَتْ سَوْدَاءَ كَمِسْحٍ مِنْ شَعْرٍ، وَالْقَمَرُ صَارَ كَالدَّمِ، وَنُجُومُ السَّمَاءِ سَقَطَتْ إِلَى الأَرْضِ كَمَا تَطْرَحُ شَجَرَةُ التِّينِ سُقَاطَهَا إِذَا هَزَّتْهَا رِيحٌ عَظِيمَةٌ. وَالسَّمَاءُ انْفَلَقَتْ كَدَرْجٍ مُلْتَفٍّ، وَكُلُّ جَبَلٍ وَجَزِيرَةٍ تَزَحْزَحَا مِنْ مَوْضِعِهِمَا. وَمُلُوكُ الأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ وَالأَغْنِيَاءُ وَالأُمَرَاءُ وَالأَقْوِيَاءُ وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرٍّ، أَخْفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَغَايِرِ وَفِي صُخُورِ الْجِبَالِ. وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ: اُسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْحَمَلِ. لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمُ غَضَبِهِ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ؟!" (رؤ٦: ١٢- ١٧).

✠ ✠ ✠

حقًا، مخيف هو ذلك اليوم الرهيب، يوم الغضب، والدينونة.

الله الوديع اللطيف، الذي قيل عنه: "لاَ يُخَاصِمُ وَلاَ يَصِيحُ، وَلاَ يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً مُدَخِّنَةً لاَ يُطْفِئُ" (مت١٢: ١٩، ٢٠). في ذلك اليوم نسمع عن غضبه: وإذا الأرض تتزلزل، والشمس تفقد ضياءها، والقمر يصير كالدم، والنجوم تتساقط من السماء، والناس يصرخون في خوف، هاربين من غضب الحمل.

إذا خاف الناس من غضب الأسد، يكون الأمر معقولًا. أما أنهم يخافون من غضب الحمل، فهذا أمر عجيب...!

إننا أيها الأخوة نتمتع بمحبة الله على الأرض. أما في يوم ظهوره للدينونة، فيقول الرسول: "مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ الْحَيِّ" (عب١٠: ٣١). ونقول في القداس الإلهي "وظهوره الثاني الآتي من السماوات، المخوف، المملوء مجدًا".

✠ ✠ ✠

هناك أناس أيها الأخوة، ينظرون إلى الله من زاوية واحدة، وهي زاوية الحنان والعطف. ولا ينظرون إليه من زاوية العدل والحق!

إن الحنان والعطف صفتان هامتان. ولكن لا يجوز أن يقودا إلى الاستهتار وعدم المبالاة بوصايا الله على اعتبار أنه حنون وشفوق.

ففتح الختم السادس، يظهر لنا عدل الله، ويظهر لنا أيضًا قوته وهيبته ومخافته. وكيف أن الأيام الأخيرة ستكون أيامًا صعبة، ويوم الرب سيكون يومًا مخيفًا.

✠ ✠ ✠

يقول إن "الشَّمْسُ صَارَتْ سَوْدَاءَ كَمِسْحٍ مِنْ شَعْرٍ"...

أي أنها ستفقد ضياءها. وليس هذا ببعيد، فما حدث عند فتح الختم السادس، حدث شيء منه في اليوم السادس وفي الساعة السادسة، في وقت صلب المسيح إذ قيل: "وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ" (مت٢٧: ٤٥) (لو٢٣: ٤٤).

وسيأتي وقت تفقد فيه الشمس كل إضاءتها. والعلماء أنفسهم يقولون إنه ظهرت بقع سوداء على الشمس. ولا ندرى ماذا يحدث إذا انتشرت.

وطبعًا إذا فقدت الشمس ضياءها، سيحدث المثل للقمر أيضًا، لأنه يستمد نوره من الشمس. وسيكون ذلك كله إنذارًا بمجيء الرب، لأنه قال عن الحالة قبل مجيئه: "وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ... وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ" (مت٢٤: ٢٩، ٣٠).

✠ ✠ ✠

سيكون المنظر مرعبًا. والناس يخافون ويخفون نفوسهم في المغاير وشقوق الجبال... عن وجه الجالس على العرش.

يقولون للجبال والصخور اسقطي علينا وأخفينا...! ولكن هل تستطيع الجبال والصخور أن تخفي شيئًا عن وجه الله العالم بالخفيات والظاهرات؟! ومن قبل، هل

اِستطاع آدم أن يختفي من وجه الله حين اختبأ وراء الشجر؟! (تك٣: ٨).

لعل هذا يذكرنا بقول داود النبي للرب: "أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ" (مز١٣٩: ٧، ٨).

لكن عبارة "يقولون للجبال والصخور: اسقطي علينا، وغطينا وأخفينا. إنما تدل على مقدار الرعب والخوف... وربما الخجل أيضًا...

✠ ✠ ✠

عجيب هذا الأمر: أناس يشتهون أن يروا الله، وآخرون يهربون من وجهه!!

البعض يشتاق إلى الله. ويقول له: "طَلَبْتُ وجْهَك، ووَجْهَك يَا رَبُّ ألْتمِسُ. لا تَحْجبْ وجْهَك عنِّي" "لا تَردَّ وَجْهكَ عَنْ مَسيحِكَ" "لاَ تَطْرَحْنِي مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ" (مز٢٧: ٨، ٩) (مز١٣٢: ١٠) (مز٥١: ١١).

إن المحب لله، يعتبر البعد عن وجه الله أمرًا لا يُحتمل. أما الخطاة غير التائبين، فيخافون اللقاء بالله، ويخشون رؤية وجهه. ولا يستطيعون أن يرفعوا عيونهم إليه، خجلًا منه، ورعبًا من مواجهته. فلماذا تعرّضنا الخطية إلى الخوف وإلى الهروب من الله؟

أليس الأفضل لنا والأكثر أمنًا أن نقترب إلى الله بالحب. والقديس يوحنا يقول في رسالته الأولى: "لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ" (١يو٤: ١٨).

✠ ✠ ✠

يقول: "وَمُلُوكُ الأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ وَالأَغْنِيَاءُ وَالأُمَرَاءُ وَالأَقْوِيَاءُ وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرّ، أَخْفَوْا أَنْفُسَهُمْ".

إن الخوف في ذلك اليوم سوف يشمل الجميع، يتساوى فيه الكل، العبد والحرّ. ولكنه ذكر أولًا الملوك والعظماء والأغنياء. لأنه ربما غرور العالم، وغرور الغنى

والعظمة والقوة. كل ذلك قد أبعدهم عن الله، وشغلهم عنه، ولم يعطهم فرصة للتمتع بالله.

أنا لست أدري كيف اِحتمل القديس يوحنا هذا المنظر، وهو الإنسان المملوء حبًا، الذي علمنا أن "اَللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ" (١يو٤: ١٦). كيف اِستطاع صاحب هذا القلب المحب أن يرى هؤلاء الناس وهم يصرخون قائلين للجبال والصخور: اسقطي علينا وغطينا من وجه الجالس على العرش! ومن وجه الحمل، الذي هو المسيح، الذي كان يوحنا يحبه ويتكئ في صدره!

✠ ✠ ✠

يذكر الرائي "غَضَبِ الْخَرُوفِ"، لأنه قد جاء يوم غضبه. ومن يستطيع الوقوف.

السيد المسيح الوديع المتواضع الطويل الروح، الجزيل التحنن: إذا ما غضب... فمعنى هذا أنه أطال أناته إلى أبعد الحدود. فلما لم يستفد منها الخاطئ، ولم يستغلها للتوبة، بل اِستمر مُعرضًا نفسه للغضب الذي تسببه الخطية... أخيرًا كان كأس غضبه قد امتلأ. فلم يستطع الوقوف...

فليتنا من الآن، نلجأ إلى التوبة، قبل أن يمتلئ كأس الغضب، وقبل أن يُغلق الباب، ونسمع تلك العبارة المخيفة: "إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي" (مت٧: ٢٣). وحينئذ نصرخ قائلين للجبال غطينا وأخفينا من غضب الجالس على العرش ومن غضب الحمل.

إن التوبة هي التي تغطينا. ولكنها لا تغطينا وتخفينا من وجه الله. وإنما هي تغطي خطايانا وتخفيها. والله لا يعود يذكرها (إر ٣١: ٣٤).

✠ ✠ ✠

نحن نشكر الله الذي كشف لتلميذه يوحنا عن كل هذه الأسرار. وأعطاه أن يعرف الأمور الكائنة، والعتيدة أن تكون بعد حين (رؤ١: ١).

فأراه عرشه الإلهي، وأراه القوات السمائية: الأربعة الأحياء غير المتجسدين، والأربعة والعشرين شيخًا، والقيثارات والجامات. وأراه السبعة ختوم، وفتحها ختمًا ختمًا وما يحدث عن فتح كل ختم. وأراه الأربعة أفراس، وأرواح الشهداء الذين تحت المذبح. وقبل كل هذا كشف له عن الرسالة التي يرسلها الرب لكل كنيسة من الكنائس السبع التي في آسيا...

وقبل أن يتحدث القديس يوحنا عن فتح الختم السابع، وما سيحدث من الملائكة السبعة وأبواقهم المخفية، أراه الذين سوف يختمون على جباههم، والذين سينجون من الضربات التي تحدث بعد ضرب الأبواق.

ولكن قبل هذا كله، أود أن أتكلم عن موهبة الرؤى هذه:

✠ ✠ ✠

لا شك أن القديس يوحنا الحبيب قد وهبه الله العين التي ترى ما لا يراه الإنسان بالعين المادية المجردة.

إنها الموهبة التي قال عنها الرب لتلاميذه: "وَلكِنْ طُوبَى لِعُيُونِكُمْ لأَنَّهَا تُبْصِرُ، وَلآذَانِكُمْ لأَنَّهَا تَسْمَعُ" (مت١٣: ١٦). وهي الموهبة التى كان قد أخذها بلعام في أوائل حياته قبل سقوطه حينما قال عن نفسه: "الرَّجُلِ الْمَفْتُوحِ الْعَيْنَيْنِ... الَّذِي يَرَى رُؤْيَا الْقَدِيرِ، مَطْرُوحًا وَهُوَ مَكْشُوفُ الْعَيْنَيْنِ" (عد٢٤: ٣، ٤).

العين المبصرة هي مثل عين أليشع النبي حينما رأى قوات الرب محيطة بالمدينة لكي تنقذها من قوات الأعداء، وقال: "أَنَّ الَّذِينَ مَعَنَا أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ مَعَهُمْ" (٢مل٦: ١٦). ثم صلى من أجل تلميذه جيحزي قائلًا: "يَا رَبُّ، افْتَحْ عَيْنَيْهِ فَيُبْصِرَ. فَفَتَحَ الرَّبُّ عَيْنَيِ الْغُلاَمِ فَأَبْصَرَ" (٢مل٦: ١٧).

✠ ✠ ✠

نفس الوضع كان بالنسبة إلى شاول الطرسوسي في الرؤيا حينما ظهر له السيد الرب في طريق دمشق (أع٩).

كان يرى الرب والذين معه لا يرونه: "يَسْـــمَعُونَ الصَّـــوْتَ وَلاَ يَنْظُرُونَ أَحَدًا" (أع٩: ٧). وكان هو وحده يسمع صوت الرب، وهم لا يسمعونه. لذلك قال: "وَالَّذِينَ كَانُوا مَعِي نَظَرُوا النُّورَ وَارْتَعَبُوا، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الَّذِي كَلَّمَنِي" (أع٢٢: ٩). ما كانوا يستحقون سماع صوته...

ونفس بولس الرسول أعطاه الله فرصة أخرى حينما: "اخْتُطِفَ هذَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ... وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا، وَلاَ يَسُوغُ لإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا" (٢كو١٢: ٢، ٤). إنها الحواس المدربة روحيًا، والموهبة التي لها من الله: أن ترى وتسمع...

✠ ✠ ✠

إن هذا كله يذكرنا بما قاله القديس أنطونيوس للقديس ديديموس الضرير.

قال له: لا تحزن يا ديديموس أنك فقدت بصـــرًا ماديًا تتســـاوى فيه الوحوش والحشرات، إنما ينبغي أن تفرح وتسرّ أن الله قد وهبك بصرًا روحيًا تستطيع أن تنظر به نور اللاهوت.

والقديس الأنبا أنطونيوس أيضًـــا كان له النظر الروحي الذي رأى به روح القديس أمونيوس صاعدة تزفها الملائكة فعرف بوفاته...

وقديســـون آخرون كانوا يرون أرواحًا أو ملائكة. والمعروف أن ملائكة الرب حالة حول خائفيه، ولكن ليس الجميع يرونها.

وكثيرة هي ظهورات القديســـين، مثلما ظهرت القديســـة العذراء على قباب كنيستها في الزيتون. والبعض قد أبصرها، والبعض لم يبصروا.

✠ ✠ ✠

السيد المسيح نفسه موجود حولنا ومعنا، ونحن لا نبصره.

لقد قال: "حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْـــمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْـــطِهِمْ" (مت١٨: ٢٠). وها هي الآلاف تجتمع باســـمه كل يوم في الاجتماعات، وفي كل أسـبوع أثناء القداسـات. ولكن من له الموهبة أن يراه، أو من تسـمح حكمة الله له أن يراه، لغرض إلهي أو لرسالة تعطى له؟

ظهورات الله كثيرة في العهد القديم، كما لأبينا إبراهيم، ولموسى النبي، ولكثير من الأنبياء. وكثيرة أيضًا هي الرؤى التي أعلن بها الرب أمورًا أو نبوءات لهؤلاء، كما لدانيال النبي (د١٨). وكما حدث أيضًا لحزقيال النبي عند نهر خابور (حز١). وملائكة ظهروا لكثيرين في كلٍ من العهدين القديم والجديد، وبلغوهم رسالات.

ولكن ليس كل أحد يستحق أن يظهر له الرب أو يكلمه.

✠ ✠ ✠

لا شك أن أمورًا كثيرة مما لا نستطيع أن نراها على الأرض، إذ ليست لنا الموهبة التي ترى، سوف نراها في السماء.

وقد قال بولس الرسول عن نفسه من جهة هذا الأمر، كمثال:

"فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ، لكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لِوَجْهٍ. الآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ، لكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ" (١كو١٣: ١٢).

نحن الآن لنا عيون مادية تنظر الماديات فقط. ولكننا في القيامة سوف نقوم بأجساد روحانية، ولها عيون روحية تستطيع أن ترى الأرواح والروحيات. تستطيع أن ترى الملائكة وكل القوات السمائية، بل وأكثر بكثير مما رآه القديس يوحنا في رؤياه.

سوف يكشف لنا الله الكثير في ملكوته. بل سوف نعيش في رؤيا دائمة، أو في كشف مستمر Revelation.

ما أجمل تلك الحياة في الرؤى السمائية.

✠ ✠ ✠

إن الرؤى التي كشفها الله على الأرض، هي مجرد عربون للرؤى التي سوف نراها في ملكوته.

مبارك هو الرب في كل عطاياه.

الفهرس

مقَدمة الكتاب ٥

مقدمَة للسَفر ٦

كاتب السفر: ٦

مضمونه: ٦

الـرؤى: ٩

إعلان من اللـه ١٢

أنا يُوحَنا أخوكم وشريككم في الضيقة (رؤ١: ٩) ١٩

الرؤيَا الأولىَ ٢٦

الكنائس السَبع ٣٣

تأمل عَام في الرسَائل السَبع ٣٧

أُكتب إلىَ ملَاك كنيسَة أفسُس ٤٢

أُذكر مِن أيْن سَقطت وَتُب مَنْ له أذن للسَمع... مَنْ يغلب ٤٩

أُكتب إلىَ مَلاك كَنيسَة سميرنَا ٥٧

اكتب إلىَ مَـلاك كَنيسَة برغَامُوس ٦٥

مَن يغلب ٧٩

اكتب إلىَ مَلاك الكَنيسَة التي في ثيَاتيرا ٨٧

اكتب إلَى مَلاك الكنيسَة التي في سَاردس ١٠١

اكتب إلىَ مَلاك الكنيسَة التي في فيلادلفيا.....١١٥
الذي يفتح ولا أحَد يغلق ويغلق ولا أحَد يفتح (رؤ٣: ٧) ١١٧
جعلت أمَامك بَابًا مفتوحًا... ويعرفون أني أحببتك.....١٢٣
اكتب إلىَ مَلاك كَنيسَة اللاوديكيين.....١٣٠
رسَائل الربّ إلىَ الكَنائس السَبع.....١٣٨
بَابٌ مَفتوح في السَماء... .....١٤٥
عَرش اللَه.....١٥٢
حَول العَرش.....١٥٩
التمجيد والخشوع والسِفر المختوم.....١٦٦
السِفر المختوم.....١٧٠
أسَد وحَمل... وجَامات وبخور وقيثارات.....١٧٣
قيثارات وتسبحَة.....١٨٠
فكّ ختوم السِفر.....١٨٧
الزلزلة والغضب.....١٩٤